صُــراخ البـــرىء

فى بـــوق الحُــرِّيــــة

والذبائح التّــلمُــودية

تأليف

حبيب أفندى فارس

دراسة وتقديم الدكتور الشيخ

أحمد حجازى السقا

الناشر

مكتبة الإيمان

بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * ﴾

الطبعة الأولى بمصر

قتال بنى إسرائيل

فى سبيل الله

فى سفر المكّابيين الثانى:

"وحشَدَ يَهوذا المكّابى رجاله، وكانوا ستة آلاف مقاتل، وأخذ يُشجعهم على العدو،وأن لا يخافوا كثرة جيوش الأمم المُجتمعة عليهم، وأن يقاتلوا ببسالة،وأمام عينهم العار الذى ألحقوه بالهيكل المُقدَّس، والإهانة التى أنزلوها بأورشليم ومحاولة قضائهم على تقاليد الآباء. وقال أيضا: "هؤلاء يتَّكلون على سلاحهم وخشونتهم، وأما نحن فنتكل على الله القدير الذى يقدر فى لمحة أن يبيد المتمردين علينا، بل العالم كله". ثم ذكر لهم يهوذا المرات العديدة التى بها ساعد الرب آباءهم وما كان من إبادته المئة والخمسة والثمانين ألفا على عهد سنحاريب الآشورى.

ومن المعركة التى خاضوها فى بابل مع الغلاطيين حين تصدى لهم المقاتلون اليهود بثمانية آلاف رجل، يدعمهم أربعة آلاف من المكدونيين، وكيف أن الرعب دب فى صفوف المكدونيين. ومع ذلك، قتل أولئك الثمانية الآلاف بمئة وعشرين ألفا، بفضل العون الذى جاءهم من السماء، وعادوا بغنائم كثيرة.

وبعد أن قوى عزائمهم بهذا الكلام. وأصبحوا مستعدين للموت فى سبيل شريعتهم وأرضهم، قسمهم يهوذا أربع فرق، عدد كل واحدة ألف وخمسين مئة، فاستلم قيادة فرقة، وعين كل واحد من إخوته سمعان ويوسف ويوناثان قائدًا على فرقة. ثم أمر ألعازار الكاهن الأعظم أن يتلو عليهم من الكتاب المقدس، وأعطاهم كلمة السر وهى: "من الله العون".

وبعد ذلك هجم على نكانور فأعانهم الله القدير، فقتلوا من الأعداء ما يزيد على تسعة آلاف وتركوا أكثر جيش نكانور جرحى، وأجبروا الجميع على الهزيمة. وغنموا أموال الذين جاؤوا لشرائهم عبيدًا كما أذاع نكانور. ثم طاردهم مسافة بعيدة إلى أن اضطروا أخيرًا إلى العودة لأن يوم السبت داهمهم.

ولما جمعوا أسلحة العدو وأخذوا أسلابهم احتفلوا بالسبت وهم يشكرون الرب ويحمدونه على إنقاذهم ليعيدوا ذلك اليوم، ولأنه عاد وتكرم عليهم برحمته. وبعد السبت وزَّعوا على المساكين والأرامل واليتامى نصيبهم من الغنائم، واقتسموا الباقى بينهم وبين أولادهم. ثم أقاموا صلاة عامة وتضرعوا إلى الرب أن يصفح عن عبيده ويرحمهم. [٢مك٨]

معاصى اليهود

عدّد أنبياء بنى إسرائيل معاصى اليهود. ومن هؤلاء الأنبياء حزقيال النبى؛ فإنه فى سِفره يقول:

"وقال لى الرب: وأنت يا ابن البشر ألا تدين، ألا تدين أورشليم مدينة الدماء وتخبرها بكل أرجاسها؟ فقل: هكذا قال السيد الرب. أيتها المدينة التى تسفك الدم فى وسطها. أيتها المدينة التى تصنع الأصنام لتدنس نفسها. يجىء وقتك، أثِمتِ بالدم الذى سفكته وتدنست بالأصنام التى صنعتها، فها نهايتك تقترب. فلذلك جعلتك عارًا للأمم وسخرية لجميع البلدان. القريب والبعيد يسخر منك أيتها النجسة الاسم، الكثيرة الضوضاء.

رؤساء إسرائيل المقيمون فيك يسفكون الدم البرىء، كل واحد حسب طاقته، وأهلك يهينون فيك الأب والأم ويعاملون الغريب بالظلم، ويضطهدون اليتيم والأرملة. يحتقرون أمكنتى المقدسة ويدنسون يوم السبت. رجال نميمة يسفكون الدم البرىء فيك، وآخرون يأكلون على الجبال من ذبائح الأصنام وآخرون يرتكبون الفجور. فيك من يكشف عورة أبيه، وفيك من ينام مع امرأة متنجسة بطمثها. بعضهم يزنى مع امرأة قريبه، وبعضهم مع كنّتِهِ، وآخر مع أخته بنت أبيه. فيك تؤخذ الرشوة لسفك الدم، وأنت تأخذين الربا والربح الفاحش، وتبتزين من قريبك ماله، وتنسينني، يقول السيد الرب.

لذلك أعاقبك على ربحك الفاحش الذى أخذتِهِ، وعلى الدم المسفوك فى وسطك. فهل يحتمل قلبك أو تقوى يداكِ أيامَ أُجرى حسابى معك؟ أنا الرب تكلمت وسأفعل " (حزقيال ٢٢)

التقديم للكتاب

بقلم السيد الأستاذ الدكتور

خليل أحمد إبراهيم الحاج

ماذا يريد اليهود من أهل فلسطين؟ هل يريدون ذبح أولادهم لعمل فطائر عيد الفصح بدمائهم؟ بالتأكيد هذا هدف يسعون إليه. هل يريدون المرابـاة فـى أمـوالهم؟ إنهـم يأخذون الربا من الأجانب عنهم. وبالتأكيد هـذا هـدف يسـعون إليـه. ففـى التـوراة " لا تقرض أخاك بربا. ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مّا مما يقرض بربـا. للأجنبـى تقـرض بربا ،ولكن لأخيك لا تقرض بربا "[1] هذا هو ما كتبوه بأيديهم فى التوراة عـن حـل الربـا من الأجنبى. فماذا فى القرآن عن الربا؟{ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴿﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } ماذا يريد اليهود مـن أهـل فلسـطين؟ هـل يريـدون أن يُعلّمـوهم مكارم الأخلاق؟ إن فاقد الشيء لا يعطيه. ففى التوراة مكتوب: أن الأنبياء يكذبون. فكيف بالعامة؟ ففى التوراة:" ثم قال الملك لرجل الله ادخـل معـى إلـى البيـت وتقـوّت فأعطيـك أجرة. فقال رجل الله للملك: لو أعطيتنى نصف بيتك لا أدخل معـك ولا آكـل خبـزًا ولا أشرب ماء فى هذا الموضع. لأنى هكذا أُوصيت بكـلام الـرب قـائلاً: لا تأكـل خبـزًا ولا تشرب ماء ولا ترجع فى الطريق الذى ذهبت فيه.

فذهب فى طريق آخر ولم يرجع فى الطريق الذى جاء فيه إلى بيـت إيـل " وكـان نبى شيخ ساكنا فى بيت إيل. فأتى بنوه وقصوا عليه كل العمل الذى عمله رجل اللـه ذلـك اليوم فى بيت إيل، وقصوا على أبيهم الكلام الذى تكلم به إلى الملك" فقـال لهـم أبـوهم: من أى طريق ذهب؟ وكان بنوه قد رأوا الطريق الذى سار فيـه رجـل اللـه الـذى جـاء مـن يهوذا. فقال لبنيه: شدوا لى على الحمار. فشدوا له علـى الحمـار فركـب عليـه وسـار وراء رجل الله فوجده جالسًا تحت البلوطة. فقال له: أأنت رجـل اللـه الـذى جـاء مـن يهـوذا؟ فقال: أنا هو.

---

[1] سفر تثنية الاشتراع ٢٣: ١٩- ٢٠ .

فقال له: سر معى إلى البيت وكل خبزا. فقال: لا أقدر أن أرجع معك ولا أدخل معك ولا آكل خبزا ولا أشرب معك ماء فى هذا الموضع. لأنه قيل لى بكلام الرب: لا تأكل خبزا ولا تشرب هناك ماء ولا ترجع سائرا فى الطريق الذى ذهبت فيه.فقال له: أنا أيضا نبى مثلك وقد كلمنى ملاك بكلام الرب قائلا : ارجع به معك إلى بيتك فيأكل خبزا ويشرب ماء. كذب عليه. فرجع معه وأكل خبزا فى بيته وشرب ماء.

وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبى الذى أرجعه. فصاح إلى رجل الله الذى جاء من يهوذا قائلا هكذا قال الرب: من أجل أنك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التى أوصاك بها الرب إلهك فرجعت وأكلت خبزا وشربت ماء فى الموضع الذى قال لك: لا تأكل فيه خبزا ولا تشرب ماء، لا تدخل جثتك قبر آبائك. ثم بعدما أكل خبزا وبعد أن شرب؛ شد له على الحمار. أى للنبى الذى أرجعه. وانطلق. فصادفه أسد فى الطريق وقتله، وكانت جثته مطروحة فى الطريق والحمار واقف بجانبها والأسد واقف بجانب الجثة.

وإذا بقوم يعبرون فرأوا الجثة مطروحة فى الطريق والأسد واقف بجانب الجثة. فأتوا وأخبروا فى المدينة التى كان النبى الشيخ ساكنا بها. ولما سمع النبى الذى أرجعه عن الطريق قال: هو رجل الله الذى خالف قول الرب؛ فدفعه الرب للأسد فافترسه وقتله حسب كلام الرب الذى كلمه به.

وكلم بنيه قائلا : شدوا لى على الحمار. فشدوا فذهب ووجد جثته مطروحة فى الطريق والحمار والأسد واقفين بجانب الجثة ولم يأكل الأسد الجثة ولا افترس الحمار فرفع النبى جثة رجل الله، ووضعها على الحمار، ورجع بها ودخل النبى الشيخ المدينة ليندبه ويدفنه. فوضع جثته فى قبره، وناحوا عليه قائلين: آه يا أخى. وبعد دفنه إياه كلم بنيه قائلا : عند وفاتى ادفنونى فى القبر الذى دفن فيه رجل الله. بجانب عظامه ضعوا عظامى.[1]

وكتاب صراخ البرىء يُبصّر العالم أجمع بأن اليهود لا دين لهم ولا أخلاق. ويجب على كل دولة أن تطبق على اليهود الساكنين فيها حدّ الحرابة، وتنظر إليهم كما تنظر إلى الوحوش المفترسة.

{ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن

[1]) الأصحاح ١٣ الملوك الأول.

يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وقد قال سيدنا عيسى – عليه السلام– فى حقهم: إنهم يقتلون الأنبياء. وأنه من بعده ستخرب أورشليم وسينزع الله منهم الملك والشريعة. "يا أورشليم. يا أورشليم. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يُترك لكم خرابا".[1]

وفى الإنجيل للوقا:

"ورفع عينيه إلى تلاميذه وقال: طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله. طوباكم أيها الجياع الآن لأنكم تشبعون. طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون. طوباكم إذا أبغضكم الناس وإذا أفرزوكم وعيروكم وأخرجوا اسمكم كشرير من أجل ابن الإنسان. افرحوا فى ذلك اليوم وتهللوا. فهو ذا أجركم عظيم فى السماء. لأن آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء. ولكن ويل لكم أيها الأغنياء. لأنكم قد نلتم عزاءكم. ويل لكم أيها الشباعى لأنكم ستجوعون. ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون. ويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا. لأنهم هكذا كان آباءهم يفعلون بالأنبياء الكذبة.

لكنى أقول لكم أيها السامعون: أحبوا أعداءكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. باركوا لاعنيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم. من ضربك على خدك فاعرض له الآخر أيضا. ومن أخذ رداءك فلا تمنعه ثوبك أيضا. وكل من سألك؛ فأعطه. ومن أخذ الذى لك؛ فلا تطالبه. وكما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضا بهم هكذا. وإن أحببتم الذين يحبونكم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يحبون الذين يحبونهم.

وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يفعلون هكذا. وإن أقرضتم الذين ترجون أن تستردوا منهم فأى فضل لكم؟ فإن الخطاة أيضا يقرضون الخطاة لكى يستردوا منهم المثل. بل أحبوا أعداءكم وأحسنوا وأقرضوا وأنتم لا ترجون شيئا؛ فيكون أجركم عظيما، وتكونوا بنى العلى؛ فإنه منعم على غير الشاكرين والأشرار. فكونوا رحماء كما أن أباكم أيضا رحيم. ولا تدينوا؛ فلا تدانوا. لا تقضوا على أحد فلا يقضى عليكم. اغفروا يغفر لكم. أعطوا تعطوا. كيلا جيدا ملبدا مهزوزا

---

[1] متى ٢٣: ٣٧ – ٣٨.

فائضا يعطون فى أحضانكم. لأنه بنفس الكيل الذى به تكيلون يكال لكم.وضرب لهم مثلا : هل يقدر أعمى أن يقود أعمى؟ أما يسقط الاثنان فى حفرة؟ ليس التلميذ أفضل من معلمه. بل كل من صار كاملا يكون مثل معلمه.

لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك. وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها؟ أو كيف تقدر أن تقول لأخيك: يا أخى دعنى أخرج القذى الذى فى عينك. وأنت لا تنظر الخشبة التى فى عينك. يا مرائى أخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك. لأنه ما من شجرة جيدة تثمر ثمرا رديا. ولا شجرة ردية تثمر ثمرا جيدا. لأن كل شجرة تعرف من ثمرها. فإنهم لا يجتنون من الشوك تينا ولا يقطفون من العلّيق عنبا.

الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح؛ يخرج الصلاح. والإنسان الشريرمن كنز قلبه الشرير؛ يُخرج الشر. فإنه من فضلة القلب يتكلم فمه. ولماذا تدعوننى: يا رب يا رب وأنتم لا تفعلون ما أقوله؟ كل من يأتى إلى ويسمع كلامى ويعمل به. أريكم من يشبه؟ يشبه إنسانا بنى بيتا وحفر وعمق ووضع الأساس على الصخر. فلما حدث سيل صدم النهر ذلك البيت فلم يقدر أن يزعزعه لأنه كان مؤسسا على الصخر. وأما الذى يسمع ولا يعمل. فيشبه إنسانا بنى بيته على الأرض من دون أساس. فصدمه النهر. فسقط حالا. وكان خراب ذلك البيت عظيما.[1]

ويدعى اليهود كذبا وزورًا أنهم من الجنس السامى. جنس "سام" بن نوح – عليه السلام–. وهم يعلمون علم اليقين أنهم اختلطوا بالأمم وتزوجوا من نسائهم وزنوا بنسائهم. فكيف تصح دعواهم بنقاء الدم وهم معترفون باختلاطهم بالأمم؟ ففى سائر نَحَمْيا: " فى تلك الأيام أيضا رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات وموآبيات. ونصف كلام نبيهم باللسان الأشدودى، ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودى، بل بلسان شعب وشعب " (نح ٢٣:١٣ـ ٢٤)

ووصل السّفه بكاتب سفر صموئيل إلى الحد الذى نسب فيه إلى أبشالوم بن داود -عليه السلام- أنه زنى بجوارى أبيه أمام جميع بنى إسرائيل. ففى صموئيل الثانى ـ الأصحاح ١٦:

"وقال أبشالوم لأخيتوفل: أعطوا مشورة ماذا تفعل؟ فقال أخيتوفل لأبشالوم: ادخل إلى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت؛ فيسمع كل إسرائيل أنك قد صرت

---

[1] لوقا ٦: ٢٠ـ ١٩.

مكروها من أبيك. فتشدّد أيدى جميع الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل" (٢ صم ١٦: ٢٠-٢٢)

وقد قدم أخى وصديقى العزيز الدكتور أحمد حجازى السقا لهذا الكتاب بدراسة جيدة. وأبان عن أخلاق اليهود الحسنة والسيئة من كتبهم التى يعظمونها.

وحذّر المسلمين والعالم أجمع من شرورهم. وقد أحسن عمله؛ لأنه وثقه بالشواهد التى لا يرتاب أحد فى صحتها، ورتّب أفكار هذه الدراسة ترتيبا بديعا، وجعلها مناسبة لموضوع الكتاب، ومقوية للهدف منه، وأحال إلى تكملة لها فى تقديمه لكتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" وهو بذلك قد قدم خدمة جليلة. ليس للمسلمين وحدهم، بل للعالم أجمع، ونسأل الله له المزيد من التوفيق والسداد.

خليل أحمد إبراهيم الحاج



مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بخير وإحسان إلى يوم الدين.

وبعــد

فكتاب "صراخ البرىء" يبين أن اليهود يسرقون الأولاد؛ لقتلهم، واستنزاف دمـائهم؛ ليعملوا به فَطير عيد الفِصح. وهو عيد خروج اليهود من أرض مصـر مـع نبـى اللـه موسـى -عليه السلام-.

وقد طُبع هذا الكتاب فى "مصر" فى ثلاثة كتب صغيرة ،ثم طبع فى كتاب واحد.

وسنقدمه فى هذه الطبعة على أصله. مع كلام منّا. فى الدراسـة لـه. لـه صـلة بموضـوعه. وتتمة الدراسة هذه فى تقديمنا لبروتوكـولات حكمـاء صـهيون. ولا يجـوز لعاقـل أن يـبرئ اليهود من جميع الشرور. فإن من يتعدى على الله؛ يتعدى علـى نفسـه، وعلـى غـيره. كمـا يُقال: "إذا لم تستح؛ فاصنع ما شئت"

فيكون هذا الكتاب مشتملا على:

١ ـ الدراسة. ٢ـ وعلى النص.

والله ولى التوفيق. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د / أحمد حجازى السقا

ميت طريف - مركز دكرنس - دقهلية

تمهيد

تذكر التوراة: أن الله -تعالى- طلب من موسى -عليه السلام- أن يجمع له بنى إسرائيل نحو جبل طور سيناء. فجمعهم نحو الجبل. واضطرم الجبل بالنار والدخان، فخاف بنو إسرائيل وارتعبوا، وقالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا، فليكلمنا عن طريقك، ونحن نسمع لك، ونطيع. فرد الله على موسى بقوله: أحسنوا فى ما قالوا. وسوف أقيم لهم نبيا من بعدك.

النص:

"يقيم لك الرب إلهك: نبيا، من وسطك، من إخوتك. مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا: لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا.

أقيم لهم: نبيا، من وسط إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامى فى فمه. فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه. وأما النبى الذى يُطغى؛ فيتكلم باسمى كلاما، لم أُوصه أن يتكلم به، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى؛ فيموت ذلك النبى.

وإن قلت فى قلبك: كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبى باسم الرب، ولم يحدث ولم يصر؛ فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب، بل بطغيان تكلم به النبى؛ فلا تخف منه " (تث ١٨: ١٥ ـ ٢٢)

الأوصاف:

١ ـ نبى "يقيم لك الرب إلهك: نبيا"

٢ـ من بنى إسماعيل "من إخوتك" وهو يقصد بنى إسماعيل؛ لأن الله قال لإبراهيم -عليه السلام-: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه "

٣ ـ مثل موسى "مثلى" وفى التوراة أنه لن يقوم فى بنى إسرائيل نبى مثل موسى؛ فى الحروب والانتصار على الأعداء والملك على الأمم والشعوب، والمعجزات (تث ٣٤: ١٠ - ١٢)

٤ ـ ينسخ شريعة موسى "له تسمعون"

٥ ـ يكون ملكا "له تسمعون"

٦ ـ أمى. لا يقرأ ولا يكتب "وأجعل كلامى فى فمه"

٧ ـ أمين على الوحى الإلهى "فيكلمهم بكل ما أوصيه به"

٨ ـ يقضى على ملك بنى إسرائيل فى الأرض "ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى، الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه" أى أنتقم منه، وأبيده من الشعب (أعمال ٣: ٢٢ ـ ٢٣).

٩ ـ لا يقتل بيد أعدائه " وأما النبى الذى يُطغى؛ فيتكلم باسمى كلاما..." وفى ترجمة اليسوعيين ودار المشرق والسامريين: "فليقتل"

١٠ ـ يتحدث عن غيب، يقع فى مستقبل الأيام، ويحدث الغيب، كما قال "وإن قلت فى قلبك. .."

وأما النص على بركة إسماعيل؛ فهو:

أ ـ قال الله لإبراهيم: " سر أمامى، وكن كاملا؛ فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرًا جدًا... لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيرًا جدًا، وأجعلك أمما. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدًا أبديا".

ب ـ وقسم الله البركة بين إسحاق وإسماعيل، فقال عن سارة أم إسحق: " وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها. فتكون أمما، وملوك شعوب منها يكونون" ـ "وقال إبراهيم لله: ليت إسماعيل يعيش أمامك" أى يسير أمام وجهك فى البلاد لدعوة الناس إلى دينك " فقال الله: وأما إسماعيل. فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه. وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا. اثنى عشر رئيسا يلد، وأجعله أمة كبيرة ".

ولكن السير يبدأ من بعد موتك فى نسل إسحق، وبعد مدة من الزمن يقوم نسل إسماعيل بالسير أمامى. وقد خصص الله بركة إسحق فى بنى إسرائيل (تك ٢٧: ٢٦ ـ ٢٩)

وقال لإبراهيم:" بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك " وأسكن الله إسماعيل فى بريّة فاران (تك ٢١: ٢١)

قسم الدراسة

إن اليهود كانوا مختارين من بين الأمم والشعوب لهداية الأمم والشعوب إلى الله. ولما ظهر محمد ﷺ لم يعودوا مختارين؛ لأن هداية الأمم والشعوب تولاها شعب محمد ﷺ وهم بنو إسماعيل -عليه السلام-. وفى هذا المعنى يقول - الله تعالى-: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }

ولما انتهى زمن اختيارهم؛ عملوا على إفساد الأمم والشعوب، كما عمل الشيطان فى بنى آدم لما طرده الله من رحمته. وكانوا يعلمون من التوراة أن زمن اختبارهم سينتهى إذا جاء محمد ﷺ فلذلك حرفوا التوراة، وألغزوا النصوص التى تدل عليه. وكتبوا فى التوراة أنهم جنس مختار من الله. لا على معنى أنهم كانوا للهداية مختارين بشريعة موسى، وإنما على معنى أنهم أنقياء الدم، وغيرهم من سائر الأمم والشعوب كالكلاب النجسة، والحمير التى لا تفهم. مع أن الله -تعالى- وصفهم فى التوراة بالغباء. ففى الأصحاح الأول من سفر إشعياء.

"اسمعى أيتها السموات وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم. ربيت بنين ونشأتهم. أما هم فعصوا علىّ. الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف. شعبى لا يفهم. ويل للأمة الخاطئة. الشعب الثقيل الإثم. نسل فاعلى الشر. أولاد مفسدين. تركوا الرب. استهانوا بقدوس إسرائيل. ارتدوا إلى وراء"

وقد بين الله -تعالى- فى القرآن الكريم أن اليهود كانوا يجاهدون فى سبيل الله، ويمحون عبادة الأصنام من العالم. ثم إنهم بعد زمان تخلّوا عن الجهاد، والجهاد يدل على أن التوراة كانت عامة لجميع الأمم، ذلك قوله -تعالى-: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ۝ التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}.

وفى التوراة مما يدل على أنهم كانوا يبلغون رسالات الله ويخشون ولا يخشون أحدًا إلا الله. وهذا النص من سفر المكّابيين الثانى يوضح ذلك:

"وفى حادثة أخرى أن الملك أمر بالقبض على سبعة أخوة مع أمهم، فأخذ يجبرهم على تناول لحوم الخنزير المحرمة ويجلدهم بالسياط وغير ذلك من أدوات التعذيب. وأخيرًا قال له أحد الشبان: " لن ينفعك هذا كله. فنحن نموت ولا نحيد عن شريعة آبائنا".

فغضب الملك وأمر بأن تحمى الطناجر والقدور بالنار، ولما حُميت أمر بقطع لسان الشاب الذى تكلّم، وسلخ جلد رأسه، ويقطع أطراف جسده أمام عيون إخوته وأمه. وبعد ذلك، أمر الملك بأن يؤخذ إلى النار وفيه بقيةٌ من الحياة ويُلقى فى أحد الطناجر ويُسلق، وفيما البخار يتصاعد من الطنجرة كان الأخوة وأمهم يشجع بعضهم بعضًا على الموت بشجاعة قائلين: "إن الرب الإله يرانا ويرحمنا، كما يقول موسى فى نشيده، الذى يدين فيه كل من تخلّى عن الرب ويقول: أمًا الرب فيرحم عبيده".

ولـمًا مات الأخ فى هذه الطريقة ساق الجنود الأخ الثانى وأخذوه للتعذيب، ثم سلخوا جلد رأسه مع شعره وسألوه إن كان يأكل لحم الخنزير قبل أن يعذبوه عُضوًا عُضوًا، فأجابهم بلغة آبائه: "أبدًا". فعذبوه كأخيه الأول.. وفيما كان فى الرمق الأخير قال للملك: " أيها المجرم، بإمكانك أن تأخذ منا حياتنا هذه، ولكن ملك العالمين سيقيمنا لحياة أبدية، إذا متنا فى سبيل شريعته".

وبعد ذلك أخذوا يهزأون بالأخ الثالث. وما كادوا يأمرونه بمد لسانه حتى مدّهُ وبسط يديه برجولة. وقال بكل جُرأة: "مِنْ رب السماء هذه الأعضاء ومِنْ أجل شريعته أُضحى بها الآن، وآمل أن أستردها منه فيما بعد". فتعجب الملك والذين معه من شجاعة هذا الفتى الذى لم يُبال بالعذاب.

ولما مات الثالث عذّبوا الرابع كإخوته الذين سبقوه. ولما أشرف على الموت قال للملك: "خير للإنسان أن يقتل بأيدى الناس، آملا أن يقيمه الله من الموت، أمًا أنت أيها الملك فلا قيامة لك من الموت إلى الحياة".

ثم جاؤوا بالأخ الخامس وعذّبوه، فالتفت إلى الملك وقال: "أنت لك سلطان على البشر مع أنك صائر إلى الفناء وتقدر أن تعمل ما تشاء، ولكن لا تَظُنَّ أن الله تخلى عن شعبنا. اصبر قليلاً فترى جبروته وكيف يعذبك أنت ونسلك ".

وبعده جاؤوا بالأخ السادس، ولـمًا قارب الموت، قال: "لا تنخدع بالباطل، فنحن جلبنا على أنفسنا هذا العذاب لأننا خَطِئنا إلى إلهنا فكانت النتيجة رهيبة، أما أنت يا عدو الله، فلا تظن أبدًا أنك تنجو من العقاب".

وكانت الأم أحق من الجميع بالإعجاب والذكر الحميد، فإنها شاهدت بنيها السبعة يموتون فى يوم واحد وصبرت على ذلك بكل شجاعة لشدة رجائها بالرب. وأخذت فوق ذلك، تُشجع كل واحد من بنيها بلغة آبائهم، وفى كلامها الأنثوى نبضة الرجولة. ومما قالته لهم: "لا أعلم كيف نشأتم فى أحشائى، فأنا لم أمنحكم الروح والحياة، ولا أنا كوَّنت أعضاء جسد كل واحد منكم، بل الذى فعل ذلك هو خالق العالم، فهو الذى جبل الإنسان وأبدع كل شيء وهو لذلك سيعيد إليكم برحمته الروح والحياة، لأنكم الآن تُضحون بأنفسكم فى سبيل شريعته".

وظن أنطيوخس أن الأم تهينه وتسخر منه، فرأى أن يُضاعف الجهد لإقناع الابن الأصغر الذى لا يزال حيًّا، فحلف له ووعده أن يغنيه ويسعده إذا ترك شريعة آبائه، وأن يجعله من خُلانه ويعينه فى أعلى المناصب. ولما لم يسمع له، دعا الملك أمه وطلب منها أن تُقنع ابنها بما يؤدى إلى إنقاذه وألح عليها فوعدت بذلك. ثم انحنت فوق ابنها وقالت له بلغة آبائها هازئة بالملك الطاغية: "يا ابنى، ارحمنى، أنا حملتك فى أحشائى تسعة أشهر، وأرضعتك ثلاث سنين، أطعمتك وربيتك حتى بلغت هذه السن. انظر، يا ولدى، إلى السماء والأرض وكل ما فيهما، واعلم أن الله خلق كل شيء من العدم، وكذلك الجنس البشرى. فلا تخف من هذا الملك السفاح، وكن شجاعا كإخوتك ورحب بالموت لألقاك معهم برحمة الله".

وما كادت تنتهى من كلامها حتى قال ابنها للجلادين: "ماذا تنتظرون؟ فأنا لن أطيع أمر الملك. بل الشريعة التى أُعطيت إلى آبائنا على يد موسى. وأنت أيها الملك يا من تنزل كل هذه الشرور بشعبنا لن تنجو من يد الله. فنحن الآن نتعذب لخطايانا وربنا الحى، وإن غضب علينا لتوبيخنا وتأديبنا، سيعيدنا إليه نحن عباده. وأما أنت أيها الكافر، يا أخبث البشر، فلا تتكبر ولا تنتفخ بآمالك الكاذبة وأنت ترفع يدك على عبيد الرب لأنك لن تفلت من يد الله القدير الذى يرى كل شيء. وإخوتنا هؤلاء صبروا على آلام قصيرة لتكون لهم حياة أبدية، وهم الآن فى عهدة الله، وأما أنت فسيحكم الله عليك بعقاب تستحقه لعجرفتك. وأنا أيضا كإخوتى، أُضحى بجسدى وروحى فى سبيل شريعة آبائنا، أتضرع إلى الله أن يُسرع فى رضاه على شعبنا، ويجعلك بالنكبات والمصائب تعترف بأنه الإله وحده، وأرجو أن أكون أنا وإخوتى آخر من ينزل بهم غضب الله العادل من بنى قومنا".

فغضب الملك غضبًا شديدًا ولم يحتمل إهانة هذا الفتى له، فعذبه أكثر من إخوته، وهكذا مات طاهرًا واثقًا كل الثقة بالرب.

وفى آخر الأمر لحقت الأم ببنيها إلى الموت" (٢ مك ٧)

وفى الإنجيل هذا النص:

فى الأصحاح التاسع عشر من إنجيل متى:

"وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح. أىّ صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعونى صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا. قال له: أية وصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتى. فماذا يعوزنى بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملا؛ فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء، وتعال اتبعنى. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا. لأنه كان ذا أموال كثيرة.

فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إنه يعسرأن يدخل غنى إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضا: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله. فلما سمع تلاميذه بهتوا جدًا قائلين: إذًا من يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم يسوع وقال لهم. هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شىء مستطاع.

فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر. وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل اسمى؛ يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية. ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أولين" (متى ١٩)

ومن بعد تحريف التوراة فى بابل سنة ٥٨٦ ق. م. تخلّى اليهود عن الجهاد فى سبيل الله وقصروا التوراة عليهم وتركوا الأمم فى طغيانهم يعمهون. ولما جاء محمد ﷺ وقاد الأمم إلى الله؛ كفروا به. وفى ذلك يقول الله -تعالى-: { قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.

وقد وبخهم المسيح عيسى -عليه السلام- على التقصير فى دعوة الأمم وقال لهم: " أنتم الآن أيها الفريسيون تنقون خارج الكأس والقصعة وأما باطنكم فمملوء اختطافًا

وخبثا. يا أغبياء أليس الذى صنع الخارج صنع الداخل أيضا؟ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهو ذا كل شىء يكون نقيا لكم. ولكن ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تعشّرون النعنع والسُذّاب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله. كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك. ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول فى المجامع والتحيات فى الأسواق. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم مثل القبور المختفية والذين يمشون عليها لا يعلمون.

فأجاب واحد من الناموسيين وقال له: يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضا. فقال: وويل لكم أنتم أيها الناموسيون لأنكم تُحمّلون الناس أحمالا عسرة الحمل وأنتم لا تمسون الأحمال بإحدى أصابعكم. ويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم. إذاً تشهدون وترضون بأعمال آبائكم. لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم. لذلك أيضا قالت حكمة الله: إنى أرسل إليهم أنبياء ورسلا. فيقتلون منهم ويطردون. لكى يطلب من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ إنشاء العالم. من دم هابيل إلى دم زكريا الذى أُهلك بين المذبح والبيت. نعم أقول لكم: إنه يطلب من هذا الجيل. ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم " (لوقا ١١)

لاحظ:

١ـ قوله -عليه السلام-: " لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة. ما دخلتم أنتم، والداخلون منعتموهم"

٢ ـ قوله -عليه السلام-: " تبنون قبور الأنبياء، وآباؤكم قتلوهم "

وقد جاء فى القرآن الكريم أنهم قتلوا الأنبياء. فقد قال -تعالى-: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ه ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ه الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ه فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}.

ومما هو مكتوب فى التوراة عن قتل اليهود لسائر الأجناس:

النص الأول: " إذا خرجت للحرب على عدوّك ورأيت خيلاً ومراكب قوم أكثر منك؛ فلا تخف منهم؛ لأن معك الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر. وعندما تقربون من الحرب يتقدّم الكاهن ويخاطب الشعب. ويقول له: اسمع يا إسرائيل. أنتم قربتم اليوم من

الحرب على أعدائكم. لا تضعف قلوبكم. لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا ترهبوا وجوههم. لأن الرب إلهكم سائر معكم لكى يحارب عنكم أعداءكم ليخلصكم. ثم يخاطب العرفاء الشعب قائلين: من هو الرجل الذى بنى بيتًا جديدًا ولم يدشنه؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيدشنه رجل آخر. ومن هو الرجل الذى غرس كرمًا ولم يبتكره؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيبتكره رجل آخر. ومن هو الرجل الذى خطب امرأة ولم يأخذها؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا يموت فى الحرب فيأخذها رجل آخر. ثم يعود العرفاء يخاطبون الشعب ويقولون: من هو الرجل الخائف والضعيف القلب؟ ليذهب ويرجع إلى بيته لئلا تذوب قلوب إخوته مثل قلبه. وعند فراغ العرفاء من مخاطبة الشعب يقيمون رؤساء جنود على رأس الشعب. حين تقرب من مدينةٍ لكى تحاربها استدعِها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويُستعبَد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربًا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبًا فلا تستبق منها نسمة ما، بل تحرمها تحريم الحثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك، لكى لا يعلموكم أن تعملوا حسب جميع أرجاسهم، التى عملوا لآلهتهم فتخطئوا إلى الرب إلهكم" (تث ٢٠)

النص الثانى:

فى الأصحاح الثانى عشر من سفر التثنية:

"هذه هى الفرائض والأحكام التى تحفظون لتعملوها فى الأرض التى أعطاك الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التى تحيون على الأرض. تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التى ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء. وتهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتقطعون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان"

ولما جهر المسيح عيسى -عليه السلام- باسم محمد رسول الله ﷺ وحث أتباعه على الدعوة إليه، وتبصير الأمم والشعوب واليهود باسمه وأوصافه؛ قال لهم: من أجل محمد سوف يقتلكم اليهود. ولا تخافوا؛ لأنكم إذا قتلتم، سوف تدخلون الجنة من بعد

القتل. وسمى ملك محمد القائم على شريعة من رب السماء بملكوت السموات أو ملكوت الله. وقوله -عليه السلام- لأتباعه: إن اليهود سيقتلونكم بسبب دعوتكم إلى اقتراب ملكوت السموات؛ يدل على أن اليهود يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس. كما قال فى القرآن الكريم { إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ۝ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ}.

ومن نصوص الإنجيل الدالة على أن اليهود قتلة:

١- فى الأصحاح العاشر من إنجيل متى:

"هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا: إلى طريق أمم؛ لا تمضوا. وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحرىّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنه قد اقترب ملكوت السموات. اشفوا مرضى. طهروا برصا. أقيموا موتى. أخرجوا شياطين. مجانا أخذتم مجانا أعطوا. لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم. ولا مزودًا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا. لأن الفاعل مستحق طعامه.

وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق. وأقيموا هناك حتى تخرجوا. وحين تدخلون البيت سلموا عليه. فإن كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه. ولكن إن لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم إليكم. ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم. الحق أقول لكم: ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة.

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس. لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون. لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما أرجو لكم. الحق أقول لكم: ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة. ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب. فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام. ولكن احذروا من الناس. لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم. وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة

لهم وللأمم. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون. لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم. وسيسلم الأخ أخاه إلى الموت والأب ولده. ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم. وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى. ولكن الذى يصبر إلى المنتهى؛ فهذا يخلص. ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى. فإنى الحق أقول لكم: لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان.

ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده. يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده. إن كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته. فلا تخافوهم. لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف. الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور. والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطوح. ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم. أليس عصفوران يباعان بفلس. وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة. فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات. ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات..." (متى ١٠)

٢ ـ فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا وما بعده:

يتكلم المسيح عيسى -عليه السلام- عن مجيء محمد ﷺ ويذكر اسمه "بيركليت" أى "أحمد"واللغة اليونانية ليس فيها تشكيل ولا حروف علّة. لذلك نطقوها "باركليت" بفتح الباء لتدل على النائب عن المسيح الآتى من بعده ليعزى بنى إسرائيل فى ضياع ملكهم وشريعتهم.

ويقول لأتباعه: " ستأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وهذا هو نص كلامه -عليه السلام-:

"إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم. لا أترككم يتامى. إنى آتى إليكم. بعد قليل لا يرانى العالم أيضا وأما أنتم فترونني. إنى أنا حى فأنتم ستحيون. فى ذلك اليوم

تعلمون أنى أنا فى أبى وأنتم فىّ وأنا فيكم. الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى. والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى.

قال له يهوذا ليس الإسخريوطى: يا سيد ماذا حدث حتى إنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم؟ أجاب يسوع وقال له: إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا. الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى. والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم.

سلاما أترك لكم. سلامى أعطيكم. ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترهب. سمعتم أنى قلت لكم: أنا أذهب ثم آتى إليكم. لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب. لأن أبى أعظم منى. وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أتكلم أيضا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فى شيء. ولكن ليفهم العالم أنى أحب الآب وكما أوصانى الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا.

أنا الكرْمة الحقيقية وأبى الكرّام. كل غصن فىّ لا يأتى بثمر ينزعه. وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر. أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به. اثبتوا فىّ وأنا فيكم. كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته إن لم يثبت فى الكرمة كذلك أنتم أيضا إن لم تثبتوا فىّ. أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذى يثبت فىّ وأنا فيه. هذا يأتى بثمر كثير. لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا. إن كان أحد لا يثبت فىّ يطرح خارجًا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق. إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم. بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى. كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا فى محبتى. إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته. كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم.

هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به. لا أعود أسميكم عبيدًا لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى. ليس أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم. لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم باسمى. بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضًا.

إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم. اذكروا الكلام الذى قلته لكم. ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم. وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى. لو لم أكن قد جئت وكلمتهم؛ لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم. الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا. لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى. لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم أبغضونى بلا سبب.

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء.

قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا. سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله. وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى. لكنى قد كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم. ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم. وأما الآن فأنا ماض إلى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى. لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكنى أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة. أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى. وأما على بر فلأنى ذاهب إلى أبى ولا تروننى أيضا. وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دِينَ.

إن لى أمورًا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم. بعد قليل لا تبصروننى. ثم بعد قليل أيضا تروننى لأنى ذاهب إلى الآب.

فقال قوم من تلاميذه بعضهم لبعض: ما هو هذا الذى يقوله لنا. بعد قليل لا تبصروننى ثم بعد قليل أيضا تروننى ولأنى ذاهب إلى الآب؟ فقالوا: ما هو هذا القليل الذى يقول عنه؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم. فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه. فقال لهم: أعن هذا تتساءلون فيما بينكم لأنى قلت بعد قليل لا تبصروننى ثم بعد قليل أيضا تروننى؟ الحق الحق أقول لكم: إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن

حزنكم يتحول إلى فرح. المرأة وهى تلد تحزن لأن ساعتها قد جاءت. ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد ولد إنسان فى العالم. فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم. وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئا. الحق الحق أقول لكم: إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئا باسمى. اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا .

قد كلمتكم بهذا بأمثال ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضا بأمثال بل أخبركم عن الآب علانية. فى ذلك اليوم تطلبون باسمى. ولست أقول لكم: إنى أنا أسأل الآب من أجلكم. لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتمونى وآمنتم أنى من عند الله خرجت. خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضا أترك العالم وأذهب إلى الآب.

قال له تلاميذه: هو ذا الآن تتكلم علانية ولست تقول مثلا واحداً. الآن نعلم أنك عالم بكل شيء ولست تحتاج أن يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من الله خرجت. أجابهم يسوع: الآن تؤمنون؟ هو ذا تأتى ساعة وقد أتت الآن. تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى. وأنا لست وحيدا إن الآب معى. قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فى سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقوا. أنا قد غلبت العالم.

تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الآب قد أتت الساعة. مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضا. إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هى الحياة الأبدية: أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يوحنا ١٤ ـ ١٦).

قتل أخآب الملك للأنبياء

فى زمن إلياس عليه السلام

فى الأصحاح السادس عشر من سفر الملوك الأول وما بعده: أن اليهود عبدوا الأصنام وقتلوا الأنبياء بغير حق. وهذا هو النص:

"وأخآب بن عمرى ملك على إسرائيل فى السنة الثامنة والثلاثين لآسا ملك يهوذا، وملك أخآب بن عمرى على إسرائيل فى السامرة اثنتين وعشرين سنة. وعمل أخآب ابن عمرى الشر فى عينى الرب أكثر من جميع الذين قبله. وكأنه كان أمرًا زهيدًا سلوكه فى خطايا يربعام بن نباط حتى اتخذ إيزابل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة وسار وعبد البعل وسجد له. وأقام مذبحا للبعل فى بيت البعل الذى بناه فى السامرة. وعمل أخآب سوارى وزاد أخآب فى العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله. فى أيامه بنى حيئيل البيتئيلى أريحا. بأبيرام بكره وضع أساسها وبسجوب صغيرة نصب أبوابها حسب كلام الرب الذى تكلم به عن يد يشوع بن نون.

وقال إيليا التشبى من مستوطنى جلعاد لآخاب: حى هو الرب إله إسرائيل الذى وقفت أمامه إنه لا يكون طل ولا مطر فى هذه السنين إلا عند قولى.

وكان كلام الرب له قائلا: انطلق من هنا واتجه نحو المشرق واختبىء عند نهر كريث الذى هو مقابل الأردن فتشرب من النهر وقد أمرت الغربان أن تعولك هناك. فانطلق وعمل حسب كلام الرب وذهب فأقام عند نهر كريث الذى هو مقابل الأردن. وكانت الغربان تأتى إليه بخبز ولحم صباحا وبخبز ولحم مساء وكان يشرب من النهر. وكان بعد مدة من الزمان أن النهر يبس لأنه لم يكن مطر فى الأرض.

وكان له كلام الرب قائلا: قم اذهب إلى صرفة التى لصيدون وأقم هناك هو ذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك. فقام وذهب إلى صرفة. وجاء إلى باب المدينة، وإذا بامرأة أرملة هناك تقش عيدانا فناداها. وقال: هاتى لى قليل ماء فى إناء فأشرب. وفيما هى ذاهبة لتأتى به ناداها وقال: هاتى لى كسرة خبز فى يدك. فقالت: حى هو الرب إلهك إنه ليست عندى كعكة ولكن ملء كف من الدقيق فى الكوار وقليل من الزيت فى الكوز. وهأنذا أقش عودين لآتى وأعمله لى ولابنى لنأكله ثم نموت. فقال لها إيليا: لا تخافى ادخلى واعملى كقولك ولكن اعملى لى منها كعكة صغيرة أولا واخرجى بها إلى ثم اعملى لك ولابنك أخيرا. لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل: إن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت

لا ينقص إلى اليوم الذى يعطى فيه الرب مطرا على وجه الأرض. فذهبت وفعلت حسب قول إيليا وأكلت هى وهو وبيتها أياما. كُوّار الدقيق لم يفرغ وكوز الزيت لم بنقص. حسب قول الرب الذى تكلم به عن يد إيليا.

وبعد هذه الأمور مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة. فقالت لإيليا: مالى ولك يارجل الله. هل جئت إلىّ لتذكير إثمى وإماتة ابنى؟ فقال لها أعطينى ابنك. وأخذه من حضنها وصعد به إلى العلية التى كان مقيما بها وأضجعه على سريره وصرخ إلى الرب وقال: أيها الرب إلهى أيضا إلى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك ابنها؟ فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ إلى الرب وقال: يارب يا إلهى لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه. فسمع الرب لصوت إيليا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش. فأخذ إيليا الولد ونزل به من العُلِيّة إلى البيت ودفعه لأمه. وقال إيليا: انظرى. ابنك حى. فقالت المرأة لإيليا: هذا الوقت علمت أنك رجل الله وأن كلام الرب فى فمك حق.

وبعد أيام كثيرة كان كلام الرب إلى إيليا فى السنة الثالثة قائلا: اذهب وتراء لآخاب فأعطى مطرا على وجه الأرض. فذهب إيليا ليتراءى لآخاب. وكان الجوع شديدا فى السامرة. فدعا آخاب عوبديا الذى على البيت. وكان عوبديا يخشى الرب جداً. وكان حينما قطعت إيزابل أنبياء الرب أن عوبديا أخذ مئة نبى وخبأهم خمسين رجلا فى مغارة وعالهم بخبز وماء. وقال أخآب لعبوديا: اذهب فى الأرض إلى جميع عيون الماء وإلى جميع الأودية لعلنا نجد عشبا فنحيى الخيل والبغال ولا نعدم البهائم كلها. فقسما بينهما الأرض ليعبرا بها. فذهب أخآب فى طريق واحد وحده، وذهب عوبديا فى طريق آخر وحده .

وفيما كان عوبديا فى الطريق إذا بإيليا قد لقيه. فعرفه وخر على وجهه وقال: أأنت هو سيدى إيليا؟ فقال له: أنا هو. اذهب وقل لسيدك: هو ذا إيليا. فقال: ما هى خطيتى حتى إنك تدفع عبدك ليد أخآب ليميتنى؟ حى هو الرب إلهك إنه لا توجد أمة ولا مملكة لم يرسل سيدى إليها ليفتش عليك وكانوا يقولون: إنه لا يوجد. وكان يستحلف المملكة والأمة إنهم لم يجدوك. والآن أنت تقول: اذهب قل لسيدك هو ذا إيليا؟ ويكون إذا انطلقت من عندك أن روح الرب يحملك إلى حيث لا أعلم فإذا أتيت وأخبرت أخآب ولم يجدك فإنه يقتلنى. وأنا عبدك أخشى الرب منذ صباى. ألم يُخبر سيدى بما فعلت حين قتلت إيزابل أنبياء الرب، إذ خبأت من أنبياء الرب مئة رجل. خمسين خمسين رجلا فى مغارة، وعلتهم بخبز وماء. وأنت الآن تقول: اذهب قل لسيدك هو ذا إيليا؟ فيقتلنى. فقال إيليا:

حى هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه إنى اليوم أتراءى له. فذهب عوبديا للقاء أخآب وأخبره فسار أخآب للقاء إيليا.

ولما رأى أخآب إيليا قال له أخآب: أأنت هو مكدر إسرائيل؟ فقال: لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم. فالآن أرسل وأجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المئة والخمسين وأنبياء السوارى أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل. فأرسل أخآب إلى جميع بنى إسرائيل وجمع الأنبياء إلى جبل الكرمل. فتقدم إيليا إلى جميع الشعب وقال: حتى متى تعرجون بين الفرقتين؟ إن كان الرب هو الله؛ فاتبعوه، وإن كان البعل؛ فاتبعوه. فلم يجبه الشعب بكلمة. ثم قال إيليا للشعب: أنا بقيت نبيا للرب وحدى وأنبياء البعل أربع مئة وخمسون رجلا. فليعطونا ثورين فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطّعوه ويضعوه على الحطب ولكن لا يضعون نارا، وأنا أقرب الثور الآخر وأجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا. ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب. والإله الذى يجيب بنار فهو الله.

فأجاب جميع الشعب وقالوا: الكلام حسن. فقال إيليا لأنبياء البعل: اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا لأنكم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا. فأخذوا الثورالذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح إلى الظهر قائلين: يا بعل أجبنا. فلم يكن صوت ولا مجيب. وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عملوا. وعند الظهر سخر بهم إيليا وقال: ادعوا بصوت عال لأنه إله. لعله مستغرق أو فى خلوة أو فى سفر أو لعله نائم فيتنبه. فصرخوا بصوت عال وتقطعوا حسب عادتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم.

ولما جاز الظهر وتنبأوا إلى حين إصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ قال إيليا لجميع الشعب: تقدموا إلى. فتقدم جميع الشعب إليه. فرمم مذبح الرب المنهدم. ثم أخذ إيليا اثنى عشر حجرا بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب إليه قائلا: إسرائيل يكون اسمك. وبنى الحجارة مذبحا باسم الرب وعمل قناة حول المذبح تسع كيلتين من البزر. ثم رتب الحطب وقطّع الثور ووضعه على الحطب وقال: املأوا أربع جرات ماء وصبوا على المحرقة وعلى الحطب. ثم قال: ثنوا. فثنوا. وقال: ثلثوا. فثلثوا. فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضا ماء. وكان عند إصعاد التقدمة أن إيليا النبى تقدم وقال: أيها الرب إله إبرهيم وإسحق وإسرائيل ليعلم اليوم أنك أنت الله فى إسرائيل وإنى أنا عبدك وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور. استجبنى يا رب. استجبنى ليعلم هذا الشعب أنك أنت الرب الإله وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا.

فسقطت نار الرب وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ولحست المياه التى فى القناة؛ فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا: الرب هو الله. الرب هو الله. فقال لهم إيليا: امسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل. فأمسكوهم فنزل بهم إيليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك.

وقال إيليا لأخآب اصعد كل واشرب لأنه حس دوى مطر. فصعد أخآب ليأكل ويشرب وأما إيليا فصعد إلى رأس الكرمل وخر إلى الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه. وقال لغلامه: اصعد تطلع نحو البحر. فصعد وتطلع وقال: ليس شىء. فقال: ارجع. سبع مرات. وفى المرة السابعة قال: هو ذا غيمة صغيرة قدر كف إنسان صاعدة من البحر. فقال: اصعد قل لأخآب اشدد وانزل لئلا يمنعك المطر. وكان من هنا إلى هنا أن السماء اسودت من الغيم والريح وكان مطر عظيم. فركب أخآب ومضى إلى يزرعيل. وكانت يد الرب على إيليا فشد حقويه وركض أمام أخآب حتى تجىء إلى يزرعيل.

وأخبر أخآب إيزابل بكل ما عمل إيليا وكيف أنه قتل جميع الأنبياء بالسيف. فأرسلت إيزابل رسولا إلى إيليا تقول: هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كنفس واحد منهم فى نحو هذا الوقت غدا. فلما رأى ذلك قام ومضى لأجل نفسه وأتى إلى بئر سبع التى ليهوذا وترك غلامه هناك. ثم سار فى البرية مسيرة يوم حتى أتى وجلس تحت رتمة وطلب الموت لنفسه وقال: قد كفى الآن يا رب. خذ نفسى لأننى لست خيرا من آبائى. واضطجع ونام تحت الرتمة وإذا بملاك الرب قد مسه وقال: قم وكل. فتطلع وإذا كعكة رضف وكوز ماء عند رأسه فأكل وشرب ثم رجع فاضطجع. ثم عاد ملاك الرب ثانية فمسّه وقال: قم وكل لأن المسافة كثيرة عليك. فقام وأكل وشرب وسار بقوة تلك الأكلة أربعين نهارا وأربعين ليلة إلى جبل الله حوريب ودخل هناك المغارة وبات فيها.

وكان كلام الرب إليه يقول له: ما لك ههنا يا إيليا. فقال: قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها. فقال: اخرج وقف على الجبل أمام الرب. وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب فى الريح، وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار، وبعد النار صوت منخفض خفيف.

فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول: مالك ههنا يا إيليا؟ فقال: غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف؛ فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى

ليأخذوها. فقال له الرب: اذهب راجعا فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على أرام وامسح ياهو بن نمشى ملكا على إسرائيل وامسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك. فالذى ينجو من سيف حزائيل يقتله ياهو والذى ينجو من سيف ياهو يقتله أليشع. وقد أبقيت فى إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التى لم تجث للبعل وكل فم لم يقبّله.

فذهب من هناك ووجد أليشع بن شافاط يحرث واثنا عشر فدان بقر قدامه وهومع الثانى عشر. فمر إيليا به وطرح رداءه عليه. فترك البقر وركض وراء إيليا وقال: دعنى أقبّل أبى وأمى وأسير وراءك. فقال له: اذهب راجعا لأنى ماذا فعلت لك؟ فرجع من وراءه وأخذ فدان بقر وذبحها وسلق اللحم بأدوات البقر وأعطى الشعب فأكلوا. ثم قام ومضى وراء إيليا وكان يخدمه"

* * *

وفى رسالة بولس إلى أهل روما استشهاد بقصة إلياس -عليه السلام-. ذلك قوله فى الأصحاح العاشر وما بعده:

"لكن ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل. لأن إشعياء يقول: يارب من صدق خبرنا؟ إذاً الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله. لكنى أقول: ألعلهم لم يسمعوا؟ بلى إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم. لكنى أقول: ألعل إسرائيل لم يعلم؟ أولا موسى يقول: أنا أغيركم بما ليس أمة. بأمة غبية أغيظكم. ثم إشعياء يتجاسر ويقول: وجدت من الذين لم يطلبونى وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى. أما من جهة إسرائيل فيقول: طول النهار بسطت يدى إلى شعب معاند ومقاوم.

فأقول: ألعل الله رفض شعبه؟ حاشا. لأنى أنا أيضا إسرائيلى من نسل إبرهيم من سبط بنيامين. لم يرفض الله شعبه الذى سبق فعرفه. أم لستم تعلمون ماذا يقول الكتاب فى إيليا كيف يتوسل إلى الله ضد إسرائيل قائلا: يارب قتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى؟ لكن ماذا يقول له الوحى؟ أبقيت لنفسى سبعة آلاف رجل لم يحنوا ركبة لبعل. فكذلك فى الزمان الحاضر أيضا قد حصلت بقية حسب اختيار النعمة" (رومية ١٠ ـ ١١)

* * *

ويقول الله -تعالى- فى القرآن الكريم:

{ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ه وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ه ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ه أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ }

أما الميثاق والإقرار:

فهما المذكوران فى سفر التثنية. ومعناهما: أن ستة من الأسباط يقفون على جبل، وستة يقفون على جبل. وسبط لاوى بينهم. ويقول اللاويون ـ وهم علماء بنى إسرائيل ـ: ملعون من يقتل قريبه فى الخفاء. ويرد الجميع بقولهم: آمين. ملعون من ينقل تخم صاحبه. ويرد الجميع بقولهم: آمين. وهذا هو النص من الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية:

"وأوصى موسى الشعب فى ذلك اليوم قائلا: هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكى يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن. شمعون ولاوى ويهوذا ويسّاكر ويوسف وبنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة. رأوبَيْن وجاد وأشير وزَبُولون ودان ونفْتالى. فيصرخ اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب عمل يدى نحات ويضعه فى الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين. ملعون من يستخف بأبيه أو أمه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من ينقل تُخْم صاحبه. ويقول جميع الشعب:آمين. ملعون من يضل الأعمى عن الطريق. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يُعوّج حق الغريب واليتيم والأرملة. ويقول جميع الشعب. آمين. ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه. ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع بهيمة ما. ويقول جميع الشعب: آمين .ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه. ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع حماته. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يقتل قريبه في الخفاء. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يأخذ رشوة لكى يقتل نفس دم برىء. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميع الشعب: آمين" (تثنية ٢٧)

وأما عن حرب بنى إسرائيل بعضهم لبعض:

فإن بنى إسرائيل من بعد موت سليمان -عليه السلام- انقسموا إلى مملكتين. المملكة الأولى تسمى مملكة إسرائيل، والمملكة الثانية تسمى يهوذا. والمملكة الأولى تعرف أيضا بالسامريين والثانية تعرف أيضا بالعبرانيين. والنص الذى سأذكره يبين الحرب بين: ١ ـ يربعام ملك إسرائيل ٢ ـ وآسا ملك يهوذا. وأن اليهود قد عبدوا الأصنام، وأن "آسا" استعان على "يربعام" بالأجانب. استعان ببنهدد الساكن فى دمشق، وأنهم نقلوا التخم، وغيروا معالم الأرض، ونقضوا العهد.

ففى الأصحاح الخامس عشر من سفر الملوك الأول:

"وفى السنة العشرين ليربعام ملك إسرائيل؛ ملك آسا على يهوذا. ملك إحدى وأربعين سنة فى أورشليم. واسم أمه معكة ابنة أبشالوم. وعمل آسا ما هو مستقيم فى عينى الرب كدواد أبيه وأزال المأبونين [1] من الأرض، ونزع جميع الأصنام التى عملها آباؤه. حتى إن معكة أمه خلعها من أن تكون ملكة؛ لأنها عملت تمثالا لسارية وقطع آسا تمثالها وأحرقه فى وادى قدرون. وأما المرتفعات فلم تنزع. إلا إن قلب آسا كان كاملا مع الرب كل أيامه. وأدخل أقداس أبيه وأقداسه إلى بيت الرب من الفضة والذهب والآنية. وكانت حرب بين آسا وبعشا ملك إسرائيل كل أيامهما. وصد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة لكى لا يدع أحدا يخرج أو يدخل إلى آسا ملك يهوذا. وأخذ آسا جميع الفضة والذهب الباقية فى خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك ودفعها ليد عبيده، وأرسلهم الملك آسا إلى بنهدد بن طبريمون بن حزيون ملك آرام الساكن فى دمشق قائلا : إن بينى وبينك وبين أبى وأبيك عهدا. هو ذا قد أرسلت لك هدية من فضة وذهب؛ فتعال انقض عهدك مع بعشا ملك إسرائيل؛ فيصعد عنى.

فسمع بنهدد للملك آسا وأرسل رؤساء الجيوش التى له على مدن إسرائيل، وضرب عيون ودان وآبل بيت معكة وكل كنروت مع كل أرض نفتالى. ولما سمع بعشا كف عن بناء الرامة وأقام فى ترصة. فاستدعى الملك آسا كل يهوذا. لم يكن برىء. فحملوا كل حجارة الرامة وأخشابها التى بناها بعشا وبنى بها الملك آسا جبع بنيامين والمصفاة"

وقد سجل يوحنا كاتب الإنجيل عداوة السامريين والعبرانيين فى هذا النص: فى الأصحاح الرابع من إنجيل يوحنا:

---

[1]) المأبونين: أى الذين يعملون عمل قوم لوط.

"فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يُصير ويعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا. مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه. ترك اليهودية ومضى أيضا إلى الجليل. وكان لابد له أن يجتاز السامرة. فأتى إلى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه. وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة. فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء. فقال لها يسوع: أعطينى لأشرب. لأن تلاميذه كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاما.

فقالت له المرأة السامرية: كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين. أجاب يسوع وقال لها: لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذى يقول لك أعطينى لأشرب؛ لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا. قالت له المرأة: ياسيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحى؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه. أجاب يسوع وقال لها: كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا. ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية.

قالت له المرأة: يا سيد أعطنى هذا الماء لكى لا أعطش ولا آتى إلى هنا لأستقى. قال لها يسوع: اذهبى وادعى زوجك وتعالى إلى ههنا. أجابت المرأة قالت: ليس لى زوج. قال لها يسوع: حسنا قلت ليس لى زوج. لأنه كان لك خمسة أزواج والذى لك الآن ليس هو زوجك. هذا قلت بالصدق. قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبى. آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه. قال لها يسوع: يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا. قالت له المرأة: أنا أعلم أن مَسِيّا الذى يقال له المسيح يأتى. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء".

وأما عن نقل التخم وشهادة الزور:

ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر الملوك الأول:

"وحدث بعد هذه الأمور أنه كان لنابوت اليزرعيلي كرم في يزرعيل بجانب قصر أخآب ملك السامرة. فكلم أخآب نابوت قائلا: أعطني كرمك فيكون لي بستان بقول؛ لأنه قريب بجانب بيتي فأعطيك عوضه كرما أحسن منه أو إذا حسن في عينيك أعطيتك ثمنه فضة. فقال نابوت لأخآب: حاشا لي من قبل الرب أن أعطيك ميراث آبائي. فدخل أخآب بيته مكتئبا مغموما من أجل الكلام الذي كلمه به نابوت اليزرعيلي قائلا: لا أعطيك ميراث آبائي. واضطجع على سريره وحوّل وجهه ولم يأكل خبزا. فدخلت إليه إيزابل امرأته وقالت له لماذا روحك مكتئبة ولا تأكل خبزا؟ فقال لها: لأني كلمت نابوت اليزرعيلي وقلت له: أعطني كرمك بفضة وإذا شئت أعطيتك كرما عوضه. فقال: لا أعطيك كرمي. فقالت له إيزابل أأنت الآن تحكم على إسرائيل؟ قم كل خبزا وليطب قلبك. أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي. ثم كتبت رسائل باسم أخآب وختمتها بخاتمه وأرسلت الرسائل إلى الشيوخ والأشراف الذين في مدينته الساكنين مع نابوت. وكتبت في الرسائل تقول: نادوا بصوم وأجلسوا نابوت في رأس الشعب. وأجلسوا رجلين من بني بليعال تجاهه ليشهدا قائلين: قد جدّفت على الله وعلى الملك. ثم أخرجوه وارجموه فيموت. ففعل رجال مدينته الشيوخ والأشراف الساكنون في مدينته كما أرسلت إليهم إيزابل كما هو مكتوب في الرسائل التي أرسلتها إليهم. فنادوا بصوم وأجلسوا نابوت في رأس الشعب. وأتى رجلان من بني بليعال وجلسا تجاهه وشهد رجلا بليعال على نابوت أمام الشعب قائلين: قد جدّف نابوت على الله وعلى الملك. فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات. وأرسلوا إلى إيزابل يقولون: قد رجم نابوت ومات. ولما سمعت إيزابل أن نابوت قد رجم ومات قالت إيزابل لأخآب: قم رث كرم نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إياه بفضة لأن نابوت ليس حيا بل هو ميت. ولما سمع أخآب أن نابوت قد مات قام أخآب لينزل إلى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثه.

فكان كلام الرب إلى إيليا التشبي قائلا: قم انزل للقاء أخآب ملك إسرائيل الذي في السامرة. هو ذا هو في كرم نابوت الذي نزل إليه ليرثه. وكلمه قائلا هكذا قال الرب: هل قتلت وورثت أيضا؟ ثم كلمه قائلا هكذا قال الرب: في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضا. فقال أخآب لإيليا: هل وجدتني يا عدوي؟ فقال: قد وجدتك لأنك قد بعت نفسك لعمل الشر في عيني الرب. هأنذا أجلب عليك شرا وأبيد نسلك وأقطع لأخآب كل بائل بحائط ومحجوز ومطلق في إسرائيل. وأجعل بيتك كبيت يربعام بن نباط وكبيت بعشا بن أخيّا لأجل الإغاظة التي أغظتني، وجعلك إسرائيل يخطىء. وتكلم الرب عن إيزابل أيضا قائلا: إن الكلاب تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل. من مات لأخآب في المدينة تأكله الكلاب ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء. ولم يكن كأخآب الذي باع نفسه لعمل الشر في عيني الرب الذي أغوته إيزابل امرأته.

ورجس جدا بذهابه وراء الأصنام حسب كل ما فعل الأموريون الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل. ولما سمع أخآب هذا الكلام؛ شقّ ثيابه وجعل مِسْحا على جسده وصام واضطجع بالمسح ومشى بسكوت. فكان كلام الرب إلى إيليا التشبى قائلا :هل رأيت كيف اتضع أخآب أمامى؟ فمن أجل أنه قد اتضع أمامى لا أجلب الشر فى أيامه بل فى أيام ابنه أجلب الشر على بيته" (أمل ٢١)

ومن القصص المكتوبة فى التوراة التى تدل على أنه ليس فى قلوب نساء اليهود رحمة بالأولاد الصغار هذه القصة:

فى الأصحاح من سفر الملوك الأول:

"حينئذ أتت امرأتان زانيتان إلى الملك ووقفتا بين يديه. فقالت المرأة الواحدة استمع يا سيدى. إنى أنا وهذه المرأة ساكنتان فى بيت واحد وقد وّلدت معها فى البيت. وفى اليوم الثالث بعد ولادتى ولدت هذه المرأة أيضا وكنا معا ولم يكن معنا غريب فى البيت غيرنا نحن كلتينا فى البيت. فمات ابن هذه فى الليل لأنها اضطجعت عليه. فقامت فى وسط الليل وأخذت ابنى من جانبى وأمتك نائمة وأضجعته فى حضنها وأضجعت ابنها الميت فى حضنى. فلما قمت صباحا لأرضع ابنى إذا هو ميت. ولما تأملت فيه فى الصباح إذا هو ليس ابنى الذى ولدته. وكانت المرأة الأخرى تقول: كلا بل ابنى الحى وابنك الميت. وهذه تقول لا بل ابنك الميت وابنى الحى. وتكلمتا أمام الملك. فقال الملك: هذه تقول هذا ابنى الحى وابنك الميت، وتلك تقول لا: بل ابنك الميت وابنى الحى. فقال الملك ايتونى بسيف. فأتوا بسيف بين يدى الملك. فقال الملك: اشطروا الولد الحى اثنين وأعطوا نصفا للواحدة ونصفا للأخرى. فتكلمت المرأة التى ابنها الحى إلى الملك. لأن أحشاءها اضطرمت على ابنها. وقالت: استمع يا سيدى. أعطوها الولد الحى ولا تميتوه. وأما تلك فقالت: لا يكون لى ولا لك. اشطروه. فأجاب الملك وقال: أعطوها الولد الحى ولا تميتوه؛ فإنها أمه. ولما سمع جميع إسرائيل بالحكم الذى حكم به الملك؛ خافوا الملك لأنهم رأوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم "(امل٣)

* * *

أكل الأولاد من الجوع:

وفى الأصحاح السادس وما بعده من سفر الملوك الثانى مانصه:

"وكان بعد ذلك أن بنهدد ملك أرام جمع كل جيشه وصعد؛ فحاصر السامرة. وكان جوع شديد فى السامرة. وهم حاصروها حتى صار رأس الحمار بثمانين من الفضة وربع القاب من ذيل الحمام بخمس من الفضة. وبينما كان ملك إسرائيل جائزا على السور صرخت امرأة إليه تقول: خلص يا سيدى الملك. فقال: لا يخلصك الرب. من أين أخلصك؟ أمن البيدر أم من المعصرة؟ ثم قال لها الملك: مالك؟ فقالت: إن هذه المرأة قد قالت لى: هاتى ابنك فنأكله اليوم ثم نأكل ابنى غدا. فسلقنا ابنى وأكلناه ثم قلت لها فى اليوم الآخر: هاتى ابنك فنأكله، فخبأت ابنها. فلما سمع الملك كلام المرأة مزق ثيابه وهو مجتاز على السور. فنظر الشعب وإذا مسح من داخل على جسده. فقال: هكذا يصنع لى الله وهكذا يزيد إن قام رأس أليشع بن شافاط عليه اليوم.

وكان أليشع جالسا فى بيته والشيوخ جلوسا عنده. فأرسل رجلا من أمامه. وقبلما أتى الرسول إليه قال للشيوخ: هل رأيتم أن ابن القاتل هذا قد أرسل لكى يقطع رأسى. انظروا إذا جاء الرسول فأغلقوا الباب واحصروه عند الباب. أليس صوت قدمى سيده وراءه؟ وبينما هو يكلمهم إذا بالرسول نازل إليه. فقال: هو ذا هذا الشر هو من قبل الرب. ماذا أنتظر من الرب بعد؟

وقال أليشع: اسمعوا كلام الرب هكذا قال الرب: فى مثل هذا الوقت غدا تكون كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل فى باب السامرة. وإن جنديا للملك كان يستند على يده أجاب رجل الله وقال: هو ذا الرب يصنع كوى فى السماء؟ هل يكون هذا الأمر؟ فقال: إنك ترى بعينيك ولكن لا تأكل منه.

وكان أربعة رجال برص عند مدخل الباب فقال أحدهم لصاحبه: لماذا نحن جالسون هنا حتى نموت. إذا قلنا: ندخل المدينة فالجوع فى المدينة؛ فنموت فيها. وإذا جلسنا هنا نموت. فالآن هلم نسقط إلى محلة الأراميين. فإن استحيونا حيينا وإن قتلونا متنا. فقاموا في العشاء ليذهبوا إلى محلة الأراميين. فجاءوا إلى آخر محلة الأراميين فلم يكن هناك أحد. فإن الرب أسمع جيش الأراميين صوت مركبات وصوت خيل وصوت جيش عظيم فقالوا الواحد لأخيه: هو ذا ملك إسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا علينا. فقاموا وهربوا في العشاء وتركوا خيامهم وخيلهم وحميرهم المحلة كما هى وهربوا لأجل نجاة أنفسهم.

وجاء هؤلاء البرص إلى آخر المحلة ودخلوا خيمة واحدة فأكلوا وشربوا وحملوا منها فضة وذهبا وثيابا ومضوا وطمروها ثم رجعوا ودخلوا خيمة أخرى وحملوا منها ومضوا وطمروا. ثم قال بعضهم لبعض: لسنا عاملين حسنا. هذا اليوم هو يوم بشارة ونحن ساكتون. فإن انتظرنا إلى ضوء الصباح يصادفنا شر. فهلم الآن ندخل ونخبر بيت الملك. فجاءوا ودعوا بواب المدينة وأخبروه قائلين: إننا دخلنا محلة الأراميين فلم يكن هناك أحد ولا صوت إنسان ولكن خيل مربوطة وحمير مربوطة وخيام كما هى. فدعا البوابين فأخبروا بيت الملك داخلا.

فقام الملك ليلا وقال لعبيده: لأخبرنكم ما فعل لنا الأراميون. علموا أننا جياع فخرجوا من المحلة ليختبئوا فى حقل قائلين: إذا خرجوا من المدينة قبضنا عليهم أحياء ودخلنا المدينة. فأجاب واحد من عبيده وقال: فليأخذوا خمسة من الخيل الباقية التى بقيت فيها. هى نظير كل جمهور إسرائيل الذين بقوا بها أو هى نظير كل جمهور إسرائيل الذين فنوا. فنرسل ونرى. فأخذوا مركبتى خيل وأرسل الملك وراء جيش الأراميين قائلا: اذهبوا وانظروا. فانطلقوا وراءهم إلى الأردن وإذا كل الطريق ملآن ثيابا وآنية قد طرحها الأراميون من عجلتهم. فرجع الرسل وأخبروا الملك. فخرج الشعب ونهبوا محلة الأراميين. فكانت كيلة الدقيق بشاقل وكيلتا الشعير بشاقل حسب كلام الرب.

وأقام الملك على الباب الجندى الذى كان يستند عى يده فداسة الشعب فى الباب فمات كما قال رجل الله الذى تكلم عند نزول الملك إليه. فإنه لما تكلم رجل الله إلى الملك قائلا: كيلتا شعير بشاقل وكيلة دقيق بشاقل تكون فى مثل هذا الوقت غدًا فى باب السامرة، وأجاب الجندى رجل الله وقال: هوذا الرب يصنع كوى فى السماء؟ هل يكون مثل هذا الأمر؟ قال: إنك ترى بعينيك ولكنك لا تأكل منه. فكان له كذلك. داسه الشعب فى الباب فمات.

وكلم اليشع المرأة التى أحيا ابنها قائلا: قومى وانطلقى أنت وبيتك وتغربى حيثما تتغربى. لأن الرب قد دعا بجوع فيأتى أيضا على الأرض سبع سنين. فقامت المرأة وفعلت حسب كلام رجل الله وانطلقت هى وبيتها وتغربت فى أرض الفلسطينيين سبع سنين، وفى نهاية السنين السبع رجعت المرأة من أرض الفلسطينيين وخرجت لتصرخ إلى الملك لأجل بيتها وحقلها. وكلم الملك جيحزى غلام رجل الله قائلا قص على جميع العظائم التى فعلها أليشع. وفيما هو يقص على الملك كيف أنه أحيا الميت إذا بالمرأة التى أحيا ابنها تصرخ إلى الملك لأجل بيتها ولأجل حقلها. فقال جيحزى: يا سيدى الملك هذه هى المرأة،

وهذا هو ابنها الذى أحياه أليشع. فسأل الملك المرأة فقصت عليه ذلك فأعطاها الملك خصيا قائلا : أرجع كل ما لها وجميع غلات الحقل من حين تركت الأرض إلى الآن"

ميثاق النبيين:

ويقول الله تعالى فى القرآن الكريم: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }

وفى الأصحاح الثالث عشر من سفر التثنية:

"إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلما وأعطاك آية أو أعجوبة ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها؛ فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم؛ لأن الرب إلهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم. وراء الرب إلهكم تسيرون وإياه تتقون ووصاياه تحفظون وصوته تسمعون وإياه تعبدون وبه تلتصقون. وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم يقتل لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب إلهكم الذى أخرجكم من أرض مصر وفداكم من بيت العبودية لكى يطوحكم عن الطريق التى أمركم الرب إلهكم أن تسلكوا فيها. فتنزعون الشر من بينكم.

وإذا أغواك سرا أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلا : نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها؛ فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره،بل قتلا تقتله. يدك تكون عليه أولا لقتله ثم أيدى جميع الشعب أخيرا. ترجمه بالحجارة حتى يموت. لأنه التمس أن يطوحك عن الرب إلهك الذى أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمرالشرير فى وسطك". (تثنية ١٣)

البيـــان:

إن محمدا رسول الله ﷺ أتى بكتاب مصدق لما معهم. وبين فيه أن خالق العالم هو الله وحده. وعندهم فى الكتب أوصافه؛ فلا يستحق القتل. والإصر: هو التشديدات عليهم فى التوراة أن يؤمنوا به ﷺ إذا جاء. وإلا يكون جزاؤهم الهلاك على يديه لقوله: "ويكون

أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى؛ تُباد من الشعب" ويكون الهلاك فى الأيام الأولى لظهوره فى يوم الرب العظيم. المعروف بيوم هَرْمَجَدُّن. ولما أخذ الله عليهم هذا الإقرار؛ قال موسى - عليه السلام-: { فَاشْهَدُوا } فشهدوا. ثم قال لهم موسى: { وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ }.

وهذا هو نص الإقرار:

فى الأصحاح السابع والعشرين من سفر التثنية:

"وأوصى موسى الشعب فى ذلك اليوم قائلا : هؤلاء يقفون على جبل جرزيم لكى يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن. شِمعون ولاوى ويهوذا ويسّاكر ويوسف وبَنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة. رأوبَيْن وجاد وأشير وزَبُولون ودان ونَفْتالى. فيصرخ اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذى يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب عمل يدى نحات ويضعه فى الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين. ملعون من يستخفف بأبيه أو أمه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من ينقل تُخْم صاحبه. ويقول جميع الشعب:آمين. ملعون من يضل الأعمى عن الطريق. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يُعوّج حق الغريب واليتيم والأرملة. ويقول جميع الشعب. آمين. ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه لأنه يكشف ذيل أبيه. ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع بهيمة ما. ويقول جميع الشعب: آمين .ملعون من يضطجع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه. ويقول جميع الشعب آمين. ملعون من يضطجع مع حماته. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يقتل قريبه في الخفاء. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يأخذ رشوة لكى يقتل نفس دم برىء. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميع الشعب: آمين" (تثنية ٢٧)

وموضع الشاهد من النص:

١ - "ملعون من يضل الأعمى عن الطريق" فإن الجاهل كالأعمى. ولا يصح لهم أن يضعوا المعاثر أمام الجهال ليصرفوهم عن الإيمان به ﷺ.

٢ - "ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس؛ ليعمل بها" وفى الناموس - وهو التوراة - إن الله سيقيم لهم الدين بنبى سيأتى من بعد موسى -عليه السلام- فإذا أتى ولم يؤمنوا به؛ يكونون ملعونين من الله. والنص على هذا النبى موجود فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية. وهو: "يقيم لك الرب إلهك: نبيا من وسطك من إخوتك مثلى له تسمعون ..."

وقول موسى عليه السلام: (اشهدوا):

مذكور فى نشيد موسى فى الأصحاح الثانى والثلاثين من سفر التثنية. فإنه بعدما عدد نعم الله على بنى إسرائيل، تنبأ بأنهم سيعبدون الأصنام من بعده، وبأن الله سيغيظهم بسلب الملك منهم والنبوة. ومما قال: "وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التى أنا أشهد عليكم بها اليوم" ـ "خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم؛ ليكون هناك شاهدا عليكم" ـ "اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم؛ لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض"

وفى الأصحاح الحادى والثلاثين وما بعده من سفر التثنية:

"وكتب موسى هذه التوراة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تابوت عهد الرب ولجميع شيوخ إسرائيل. وأمرهم موسى قائلا: فى نهاية السبع سنين فى ميعاد سنة الإبراء فى عيد المظال حينما يجىء جميع إسرائيل لكى يظهروا أمام الرب إلهك فى المكان الذى يختاره؛ تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل فى مسامعهم. اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذى فى أبوابك لكى يسمعوا ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أن يتقوا الرب إلهكم كل الأيام التى تحيون فيها على الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لكى تمتلكوها.

وقال الرب لموسى: هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت. ادع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا فى خيمة الاجتماع فتراءى الرب فى الخيمة فى عمود سحاب ووقف عمود السحاب على باب الخيمة. وقال الرب لموسى: ها أنت ترقد مع آبائك فيقوم هذا الشعب ويفجر وراء آلهة الأجنبيين فى الأرض التى هو داخل إليها فيما بينهم ويتركنى وينكث عهدى الذى قطعته معه. فيشتعل غضبى عليه فى ذلك اليوم وأتركه وأحجب وجهى عنه فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثيرة وشدائد حتى يقول فى ذلك اليوم: أما لأن إلهى ليس فى وسطى أصابتنى هذه الشرور. وأن أحجب وجهى فى ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذى عمله إذ التفت إلى آلهة أخرى.

فالآن اكتبوا لأنفسكم هذا النشيد وعلم بنى إسرائيل إياه. ضعه فى أفواههم لكى يكون لى هذا النشيد شاهدا على بنى إسرائيل. لأنى أدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم الفائضة لبنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يلتفتون إلى آلهة أخرى ويعبدونها ويزدرون بى وينكثون عهدى. فمتى أصابته شرور كثيرة وشدائد يجاوب هذا النشيد أمامه

شاهدا لأنه لا ينسى من أفواه نسله. إنى عرفت فكره الذى يفكر به اليوم قبل أن أدخله إلى الأرض كما أقسمت. فكتب موسى هذا النشيد فى ذلك اليوم وعلم بنى إسرائيل إياه.

وأوصى يشوع بن نون وقال: تشدد وتشجع؛ لأنك أنت تدخل بنى إسرائيل الأرض التى أقسمت لهم عنها وأنا أكون معك.

فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها؛ أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم؛ ليكون هناك شاهدا على كم. لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة. هو ذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب؛ فكم بالحرى بعد موتى. اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض. لأنى عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام [1] لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم. فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى إتمامه.

أنصتى أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال فمى. يهطل كالمطر تعليمى ويقطر كالندى كلامى. كالطل على الكلإ وكالوابل على العشب. إنى باسم الرب أنادى. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل. إله أمانة لا جور فيه. صديق وعادل هو.

أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم. جيل أعوج ملتو. ألرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشأك؟ اذكر أيام القدم وتأملوا سنى دور فدور. اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك.

حين قسم العلى للأمم. حين فرق بنى آدم نصب تخوما لشعوب حسب عدد بنى إسرائيل. إن قسم الرب هو شعبه. يعقوب حمل نصيبه. وجده فى أرض قفر وفى خلاء مستوحش خرب. أحاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبى. أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر وزيتا من صوان الصخر. وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش أولاد باشان وتيوس مع دسم لب الحنطة. ودم العنب شربته خمرا.

---

[1] آخر الأيام: مصطلح معروف يدل على نهاية أيام شريعة موسى، وبدء أيام شريعة النبى الاتى من بعده وهو محمد ﷺ.

فسمن يشورون ورفس. سمنت وغلظت واكتسيت شحما. فرفض الإله الذى عمله وغبى عن صخرة خلاصه. أغاروه بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست الله. لآلهة لم يعرفوها: أحداث قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم. الصخر الذى ولدك تركته ونسيت الله الذى أبدأك.

فرأى الرب ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهى عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب أولاد لا أمانة فيهم. هم أغارونى بما ليس إلها. أغاظونى بأباطيلهم. فأنا أغيرهم بما ليس شعبا. بأمة غبية أغيظهم. إنه قد اشتعلت نار بغضبى فتتقد إلى الهاوية السفلى وتأكل الأرض وغلتها وتحرق أسس الجبال. أجمع عليهم شرورا وأنفذ سهامى فيهم. إذ هم خاوون من جوع ومنهوكون من حمى وداء سام أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض. من خارج السيف يثكل ومن داخل الخدور الرعبة. الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب. قلت: أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاظة العدو من أن ينكر أضدادهم من أن يقولوا: يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه.

إنهم أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم. كيف يطرد واحد ألفا ويهزم اثنان ربوة لولا أن صخرهم باعهم والرب سلمهم .لأنه ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاة. لأن من جفنة سدوم جفنتهم ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سم ولهم عناقيد مرارة .خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل.

أليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه فى خزائنى. لى النقمة والجزاء. فى وقت تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريب والمهيآت لهم مسرعة. لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبق محجوز ولا مطلق يقول: أين آلهتهم الصخرة التى التجأوا إليها التى كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم. لتقم وتساعدكم وتكن عليكم حماية. انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إله معى. أنا أميت وأحيى. سحقت وإنى أشفى وليس من يدى مخلّص. إني أرفع إلى السماء يدى وأقول: حى أنا إلى الأبد. إذا سننت سيفى البارق وأمسكت بالقضاء يدى؛ أرد نقمة على أضدادى وأجازى مبغضى. أسكر سهامى بدم ويأكل سيفى لحما. بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قواد العدو.

تهللوا أيها الأمم شعبه لأنه ينتقم بدم عبيده ويرد نقمة على أضداده ويصفح عن أرضه عن شعبه.

فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد فى مسامع الشعب هو ويشوع بن نون. ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل بكل هذه الكلمات قال لهم: وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التى أنا أشهد عليكم بها اليوم لكى توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. لأنها ليست أمرا باطلا عليكم بل هى حياتكم. وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التى أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها".(تثنية٣١-٣٢)

{ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ }:

وفى القرآن الكريم يقول الله -تعالى-:{ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}

وقد كتب المفسرون بغير علم: أن العرب هم الذين وأدوا البنين والبنات. وفى سفر الزبور لداود -عليه السلام- أن اليهود هم الذين وأدوا البنين والبنات؛ لترضى عنهم الأصنام. وكتبوا بغير علم: أن العرب كانوا يعبدون الأصنام. وفى القرآن: أن اليهود هم الذين عبدوا الأصنام، وجعلوا لها نصيبا من الحرث والأنعام، وأن العرب لم يعبدوا الأصنام قط. ولم يأدوا البنين والبنات. والذى نريد بيانه ههنا بقوة: هو ذكر كلام داود -عليه السلام- عن قتل اليهود أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم. كما قال -تعالى-: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ، وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ، وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ }

والمشركون: هم اليهود. وذلك لقوله -تعالى-:{ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } وإذ حصل هذا من اليهود فى أبنائهم وبناتهم. فهل لعاقل أن يقول: إن اليهود لم يذبحوا البنين والبنات من جميع الأمم والشعوب؟ إن من ينفى عن اليهود تهمة ذبح الأطفال، مثله كمن ينكر وجود الشمس فى وقت الظهيرة، أمام قوم يصطلون بحرها.

وقد سجل القرآن عليهم هذه التهمة. تهمة الذبائح البشرية للأصنام التى عبدوها مع الله. وقد ظن بعض المفسرين أن لفظ (المشركين) خاص بالعرب. وهذا ظن خاطىء؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضا. والعرب بنو إسماعيل - عليه السلام - لم يعبدوا الأصنام قط. وفى القرآن ما يدل على ذلك. ففيه: أن إبراهيم - عليه السلام - بعدما رفع قواعد البيت الحرام فى مكة هو وابنه إسماعيل ـ ولم يكن له ولد فى ذاك الوقت غيره ــ طلب من الله:

١ ـ أن يجنب بنيه من نسل إسماعيل عبادة الأصنام .

٢ ـ وأن يبعث فيهم رسولا منهم. هو محمد ﷺ

وقد استجيبت الدعوة، وبعث محمد ﷺ وإذ هو قد طلب أمرين، وتحقق واحد منهما؛ يلزم تحقق الآخر؛ لأنها دعوة واحدة.

يقول الله -تعالى-: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٭ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٭ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

وهذا هو نص الزبور المائة والسادس:

هللويا. احمدوا الرب لأنه صالح لأن إلى الأبد رحمته. من يتكلم بجبروت الرب؟ من يخبر بكل تسابيحه؟ طوبى للحافظين الحق وللصانع البر فى كل حين. اذكرنى يارب برضا شعبك. تعهدنى بخلاصك. لأرى خير مختاريك[1]. لأفرح بفرح أمتك. لأفتخر مع ميراثك.

أخطأنا مع آبائنا. أسأنا وأذنبنا. آباؤنا فى مصر لم يفهموا إعجابك. لم يذكروا كثرة مراحمك فتمردوا عند الفجر عند بحر سوف. فخلّصهم من أجل اسمه ليعرف بجبروته. وانتهر بحر سوف فيبس وسيرهم فى اللجج كالبرية. وخلصهم من يد المبغض وفداهم من يد العدو. وغطت المياه مضايقيهم واحد منهم لم يبق. فآمنوا بكلامه.غنوا بتسبيحه.أسرعوا فنسوا أعماله. لم ينتظروا مشورته. بل اشتهوا شهوة فى البرية وجربوا الله فى القفر. فأعطاهم سؤلهم وأرسل هزالا فى أنفسهم. وحسدوا موسى فى المحلّة وهرون قدوس الرب. فتحت الأرض وابتلعت داثان وطبقت على جماعة أبيرام. واشتعلت نار فى جماعتهم. اللهيب أحرق الأشرار.

---

[1] المختارون الآتين: هم شعب محمد ﷺ.

صنعوا عجلا فى حوريب وسجدوا لتمثال مسبوك. وأبدلوا مجدهم بمثال ثور آكل عشب. نسوا الله مخلصهم الصانع عظائم فى مصر وعجائب فى أرض حام ومخاوف على بحر سوف. فقال بإهلاكهم. لولا موسى مختاره وقف فى الثغر قدامه ليصرف غضبه عن إتلافهم. ورذلوا الأرض الشهية. لم يؤمنوا بكلمته. بل تمرمروا فى خيامهم. لم يسمعوا لصوت الرب. فرفع يده عليهم ليسقطهم فى البرية وليسقط نسلهم بين الأمم وليبددهم فى الأراضى. وتعلقوا ببعل فغور وأكلوا ذبائح الموتى. وأغاظوه بأعمالهم فاقتحمهم الوباء. فوقف فينحاس ودان فامتنع الوباء. فحسب له ذلك برا إلى دور فدور إلى الأبد.

وأسخطوه على ماء مريبة حتى تأذى موسى بسببهم. لأنهم أمرّوا روحه حتى فرط بشفتيه. لم يستأصلوا الأمم الذين قال لهم الرب عنهم بل اختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم فصارت لهم شركا .وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان وأهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء وتنجسوا بأعمالهم وزنوا بأفعالهم. فحمى غضب الرب على شعبه وكره ميراثه. وأسلمهم ليد الأمم وتسلط عليهم مبغضوهم. وضغطهم أعداؤهم؛ فذلوا تحت يدهم. مرات كثيرة أنقذهم. أما هم فعصوه بمشورتهم وانحطوا بإثمهم. فنظر إلى ضيقهم إذ سمع صراخهم وذكر لهم عهده وندم حسب كثرة رحمته. وأعطاهم نعمة قدام كل الذين سبوهم. خلصنا أيها الرب إلهنا واجمعنا من بين الأمم لنحمد اسم قدسك ونتفاخر بتسبيحك. مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. ويقول كل الشعب: آمين. هللويا" (مزمور ١٠٦).

* * *

بعدما بينا من التوراة أن اليهود أغبياء، وأنهم يقابلون الإحسان بالإساءة، وأنهم أُمروا بهداية الأمم بشريعة موسى - عليه السلام - ولم يهدوا من بعد سبى بابل، وأنهم قتلوا الأنبياء، وحارب بعضهم بعضا،واستعانوا بالأجانب على قتال المخالفين لهم من جنسهم، وشهدوا زورا، وأنه ليس فى قلوب نساء من اليهود رحمة، وأن النساء أكلت أولادها من الجوع، وليس من حقهم قتل محمد ﷺ لأن موسى أخذ الإقرار عليهم به،وشهد على هذا الإقرار؛ أنه إذا جاءهم يؤمنون به، وأنهم ملعونون. إذا لم يؤمنوا به. وقوم هذا هو حالهم؛ لا يستبعد منهم قتل الأولاد والبنات من جنسهم ومن سائر الأمم والشعوب. بل إن داود - عليه السلام - سجل عليهم قتل أولادهم للأصنام. ذلك قوله: "وذبحوا بنيهم وبناتهم للأوثان، وأهرقوا دما زكيا. دم بنيهم وبناتهم".

بعدما بينا هذا. نبين دعوى اليهود فى إرث أرض فلسطين. فى هذا العصر.ونقول:

أرث أرض فلسطين

معنى إرث الأرض:

ورد فى التوراة عن بنى إسرائيل أنهم يرثون الأرض، وورد عن بنى إسماعيل أنهم يرثون الأرض. ومعنى الإرث: هو نشر الدين فى البلد بعد فتحها. فبنو إسرائيل لما فتحوا فلسطين فى أيام طالوت وداود ـ عليهما السلام ـ يقال عليهم يومئذ: إنهم ورثوا الأرض. إرث ديانة، لا الإرث بمعنى أنهم يملكون المبانى والسواقى والترع وما شابه ذلك. فإذا جاء الزمان الذى تنسخ فيه الشريعة. فإن إحلال شريعة أخرى محلها؛ يقطع إرث الأرض، ويكون الإرث الجديد لأصحاب الشريعة الجديدة. فإذا ملكوا يكونون هم الوارثون. وقد أرادت سارة أن لا تنسخ الشريعة، حتى يظل نسلها وارثا إلى يوم القيامة. ليتمتع بخيرات الأمم والشعوب. ولكن الله أبى دوام الإرث فى نسلها، وجعل لهاجر شريعة وملكا. ذلك قوله: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها؛ لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابنى إسحق. فقبح الكلام جدا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم: لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام، ومن أجل جاريتك. فى كل ما تقول لك سارة؛ اسمع لقولها؛ لأنه بإسحق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا؛ سأجعله أمة؛ لأنه نسلك.

فبكر إبراهيم صباحا، وأخذ خبزا، وقربة ماء، وأعطاهما لهاجر، واضعا إياها على كتفيها، والولد وصرفها. فمضت وتاهت فى برية بئر سبع. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار، ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس؛ لأنها قالت: لا أنظر موت الولد. فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت. لا تخافى؛ لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومى احملى الغلام وشدّى يدك به؛ لأنى سأجعله أمة عظيمة. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام. وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن فى البرية. وكان ينمو رامى قوس. وسكن فى برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (تكوين ٢١).

إرث المسلمين لبلاد اليهود والأمم:

وقد قال – تعالى- فى القرآن الكريم: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } والذكر هو التوراة [١]. فيكون المكتوب مكتوبا فى التوراة وفى الزبور. والمكتوب هو: { أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ}. وهم بنو إسماعيل أولا. ومن يدخل معهم فى شريعتهم ثانيا.

وسأذكر الآن أمرين:

الأمر الأول: نص من الزبور على إرث المسلمين للأرض للتمكين للشريعة.

والأمر الآخر: هو الوعود الإلهية فى التوراة للمسلمين. بنو إسماعيل أولا، والأمم الداخلون فى شريعتهم ثانيا.

* * *

الأمر الأول:

نص الزبور على إرث الأرض:

"لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم فإنهم مثل الحشيش سريعا يقطعون ومثل العشب الأخضر يذبلون. اتكل على الرب وافعل الخير. اسكن الأرض وارع الأمانة. وتلذذ بالرب فيعطيك سؤل قلبك. سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى، ويخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة. انتظر الرب واصبر له ولا تغر من الذى ينجح فى طريقه. من الرجل المجرى مكايد. كف عن الغضب واترك السخط ولا تغر لفعل الشر. لأن عاملى الشر يقطعون والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض. بعد قليل لا يكون الشرير. تطلع فى مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون فى كثرة السلامة.

الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه. الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت. الأشرار قد سلوا السيف ومدوا قوسهم لرمى المسكين والفقير. لقتل المستقيم طريقهم. سيفهم يدخل فى قلبهم وقسيهم تنكسر.

القليل الذى للصديق خيرمن ثروة أشرار كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب. الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون. لا يخزون فى

---

[١] وقال – تعالى -: { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ} أى التوراة { وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } فى القرآن ووعاء الحفظ لا يضيع؛ لأن الله هو الذى تكفل بحفظه وبقائه.

زمن السوء وفى أيام الجوع يشبعون. لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعى. فنوا. كالدخان فنوا. الشرير يستقرض ولا يفى أما الصديق فيترأف ويعطى. لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون.

من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يُسَرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده. أيضا كنت فتى وقد شخت ولم أر صدّيقا تُخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزا. اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة.

حد عن الشر وافعل الخير واسكن إلى الأبد. لأن الرب يحب الحق ولا يتخلى عن أتقيائه. إلى الأبد يحفظون. أما نسل الأشرار فينقطع. الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلى الأبد. فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق. شريعة إلهه فى قلبه. لا تتقلقل خطواته. الشرير يراقب الصديق محاولا أن يميته. الرب لا يتركه فى يده ولا يحكم عليه عند محاكمته. انتظر الرب واحفظ طريقه فيرفعك لترث الأرض. إلى انقراض الأشرار تنظر.

قد رأيت الشرير عاتيا وارفا مثل شجرة شارقة ناضرة. عبر فإذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد. لاحظ الكامل وانظر المستقيم فإن العقب لإنسان السلامة. أما الأشرار فيبادون جميعا. عقب الأشرار ينقطع. أما خلاص الصديقين فمن قبل الرب حصنهم فى زمان الضيق. ويعينهم الرب وينجيهم. ينقذهم من الأشرار ويخلصهم لأنهم احتموا به"

* * *

والأمر الآخر:

الوعود الإلهية فى التوراة بإرث الأرض:

أول عهد فيها:

هو بين الله - عز وجل - وبين سيدنا إبراهيم الخليل - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-. وهو أنه يسير أمام الله فى بلاد الوثنيين، لدعوتهم إلى الله. ويحارب من يصد الناس عن عبادة الله. وإذا سار وحارب وقتل فى المعارك كثيرون؛ فإن الله يجزيهم جزاء حسنا هو الجنة من بعد الموت. ومن يعش فإن الله يعطيه خيرا كثيرا، ويملك على بلاد الأمم التى يفتحها، ويحصل على أنفال وغنائم. ولما سار إبراهيم أمام الله وجاهد؛ قال الله له: "لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جدا"[1] عندئذ قال له: يارب ماذا تعطينى من

[1] تكوين ١٥: ١.

الأجر، وأنا لم أرزق بنسل يرث هذه البلاد ويمكن لدينك؟ "إنك لم تعطنى نسلا" وليس لى إلا خادم من "دمشق" وهو ليس من صلبى. فهل هذا هو الذى سيرثنى؟ وقد رد الله عليه بقوله: "لا يرثك هذا، بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك"

"فى ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقا قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض" والذى خرج من أحشائه عقب هذا الميثاق ـ وهو الميثاق الأول ـ هو إسماعيل - عليه السلام - وكان إبراهيم فى سن ست وثمانين سنة.

فقوله: "لنسلك أعطى هذه الأرض" وهى من النيل إلى الفرات خاصة - حسب المكتوب ـ تكون لنسل إسماعيل إلى الأبد. وفى علم الله أنه إلى أن يملك عليها نسل إسماعيل من محمد؛ يسكنها بنو إسرائيل ليمهدوا له. ولكن المحرفين قالوا: إن المراد بنسله هم اليهود فقط. وقالوا: هذا قبل ولادة إسماعيل. ونص كلامهم: "فقال لأبرام: اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا فى أرض ليست لهم، ويستعبدون لهم؛ فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التى يُستعبدون لها؛ أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة"[١].

وبرهان كذبه: أنه لما قطع الميثاق مع إبراهيم قال له: "لنسلك أُعطى هذه الأرض" ولما حرّف قال: "اعلم يقينا: أن نسلك سيكون غريبا" فهل الذين تغربوا فى مصر أيام يوسف - عليه السلام- هم كل نسل إبراهيم؟ لم يتغرب إلا يعقوب وبنيه. وهم ليسوا كلهم نسل إبراهيم. فإسماعيل من نسله. وإسماعيل له اثنى عشر ولدًا، وابنة تزوجها عيسو أخو يعقوب. والأولاد الستة لقطورة وهم أبناء إبراهيم؛ لم يتغربوا. وعيسو أخو يعقوب لم يتغرب. والمدة من إبراهيم إلى يعقوب مائتان وخمس عشرة سنة. ولابد أن نسل إبراهيم قد كثر فيها كثرة هائلة. فقصر النسل على المتغربين؛ لابد له هدف فى نظر الكاتب. وليس هو إلا وَضْعه بنى إسرائيل مكان بنى إسماعيل؛ لأنه يعلم أن الميثاق له من مجىء محمد ﷺ.

والوعد الثانى:

هو الوعد بإسحق عليه السلام { نَافِلَةً }[٢] لإبراهيم. فإنه بعد ما تمت المواعيد فى إسماعيل، وختنه أبوه إبراهيم. علامة على أنه سيجاهد فى سبيل الله: "قال الله لإبراهيم:

---

[١] تكوين ١٥: ١٣ ـ ١٤.

[٢] وقد جاء لفظ {المَوْلَى} فى القرآن بمعنى { نَافِلَةً } فى قوله ـ تعالى ـ { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ}. وبيان ذلك: أن زكريا ـ عليه السلام ـ:{ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِياً (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِياً } وإذا أطلق فقط { الموالى } على بنى إسرائيل؛ فإنه يتوجّب البحث عن السادة لهؤلاء { الموالى } فمن هم؟

=

ساراى امرأتك. لا تدعو اسمها ساراى، بل اسمها سارة، وأباركها، وأعطيك أيضا منها ابنا" وقوله: "أيضا" يدل على ثان بعد أول ولما سمع إبراهيم بذلك " قال فى قلبه: هل يُولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة؟"

ولما ولدت سارة إسحق؛ طلبت من إبراهيم أن لا يرث إسماعيل مع ابنها "فَقَبُح الكلام جدًّا فى عينى إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله: لا يقبح فى عينيك من أجل ابنك ومن أجل جاريتك. فى كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أُمَّة؛ لأنه نسلك" (تكوين ٢١: ١١ ـ ١٣)

ولقد قلنا: فقصر النسل على المتغربين؛ لابد له من هدف فى نظر الكاتب. وليس هو إلا وضعه بنى إسرائيل مكان بنى إسماعيل؛ لأنه يعلم أن الميثاق له من مجىء محمد ﷺ. وقولنا هذا ليس اعتباطا بلا دليل. فإن الله - عز وجل- لما عقد الميثاق مع إبراهيم أبينا أن يسير نسله أمامه، وأن يورثهم الأرض؛ لتكون الأمم مباركة به. إذ قال له: "اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التى أُريك فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه؛ وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض".

لما عقد الله الميثاق لتكون الأمم مباركة به. قال بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية: إن الميثاق يبدأ تنفيذه من ظهور "المسيح يسوع" كيف ذلك؟ إن ذلك يعنى: أنه من إبراهيم إلى وقت ظهور "المسيح يسوع" كان الناس يمهدون الطريق لظهور "يسوع المسيح" وأن بنى إسرائيل قد ساروا مع الله بشريعة موسى؛ ليمهدوا الطريق للمسيح يسوع.

=

إن شريعة موسى ـ عليه السلام ـ كان يؤمن بها (أ) اليهود (ب) والأمم. واليهود عليها كانوا هم السادة، والأمم كان يُطلق عليهم "اللفيف" و "الدخلاء" ففى هذه الحالة يكون اليهود سادة، والأمم موالى. ولما صار بنو إسماعيل هم السادة على شريعة محمد ﷺ صارت الأمم الداخلة فى شريعتهم موالى. أى موالون لهم؛ لأن الله هداهم إليه بواستهم.

والمواعيد لما أخذت فى إسماعيل. وجاء إسحق نافلة؛ ليمهد الأنبياء منه الطريق للنبى ﷺ الذى سيأتى من إسماعيل؛ يكون الممهد للأصل خادما للأصل. والخادم مولى. يُعرف بالسيد وإذا جاء يستمر فى التعريف به. وقد عبر أنبياء بنى إسرائيل عن تمهيدهم هذا بقولهم: "يأتى بعدى من هو أقوى منى، الذى لستُ أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه".

وعبروا عن أن النبى من اليهود خادم لرسول الله ﷺ بقولهم: " ما أنذا أرسل أمام وجهك ملاكى؛ ليهيئ الطريق أمامى. ويأتى بغتة الى هيكله السيد الذى تطبونه" فالسيد الذى يطلبونه؛ هم يخدمونه من قبل مجيئه بتمهيد الطريق إليه؛ فلا يكون اليهود على هذا المعنى إلا موالى لبنى إسماعيل، من قبل ظهور محمد ﷺ ومن بعده. ويقول المسيح عيسى- عليه السلام ـ للحواريين: اسمعوا من كلام علماء اليهود، ولا تنشئوا لكم ديانة مستقلة عن التوراة؛ وذلك لأن معلمكم هو "المسيح الرئيس" ذلك قوله: "وأما أنتم فلا تُدعوْا سيدى؛ لأن معلمكم واحد؛ المسيح؛ والسيد: هو الفقيه. ومعلمهم الآتى هو الفقيه الأكبر.

وهذا هو قول بولس: "وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم ونسله. لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد. وفى نسلك الذى هو المسيح".

إن بولس يجعل المواعيد التى قيلت فى إبراهيم فى شخص واحد من نسله وهو "المسيح" وليسأل عن زمان الحياة من إبراهيم إلى "المسيح" ألم تتحقق فيه المواعيد؟ يقول: إنها كانت مدة توطئة لتهيئة عقول الناس إلى معرفة الله وتقبل أحكامه وشرعه. وإذا انتهت التوطئة وأصبحوا مهيئين؛ عندئذ يظهر "المسيح" لتصدق فيه المواعيد.

واحتج على حصر النسل فى واحد وهو "المسيح" بقوله: إن الله قال لإبراهيم وفى نسلك. ولم يقل له وفى أنسالك.

وقال بولس: إن المدة من إبراهيم إلى "المسيح يسوع" هى مدة يتأدب فيها الناس أدبا شرعيا ليسهل عليهم الإيمان بشريعة المسيح يسوع. ذلك قوله: "إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح؛ لكى نتبرر بالإيمان. ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب"

وههنا سؤال. وهو: هل إرث نسل إبراهيم للأرض بسبب المواعيد بدون دعوة فيها إلى الله. أم بسبب أنهم سيدعون إلى الله فيها؟

إن كان بسبب المواعيد. فإن المؤمنين بالمسيح يسوع. سيرثون الأرض. سواء عملوا بأحكام التوراة أم لم يعملوا. فلماذا العمل؟ وإن كانت وراثة الأرض بسبب العمل بالتوراة. فلماذا قال الله لإبراهيم: إننى سأهب لك الأرض؟

وقال بولس: إن الله وهبها لإبراهيم بموعد. ورتب على قوله هذا؛ عدم النفع من وراء العمل بالتوراة التى جاء المسيح مصدقا لها.

ونص كلامه: "أيها الأخوة بحسب الإنسان أقول: ليس أحد يُبطّل عهدا قد تمكن ولو من إنسان أو يزيد عليه. وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله. لا يقول وفى الإنسان كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد. وفى نسلك الذى هو المسيح. وإنما أقول هذا: إن الناموس الذى صار بعد أربع[1] مئة وثلاثين سنة؛ لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد، لأنه إن كانت الوراثة من الناموس؛ فلم تكن أيضا من موعد، ولكن الله وهبها لإبراهيم بموعد. فلماذا الناموس؟ قد زيد بسبب التعديات، إلى أن يأتى النسل الذى قد وُعد له، مرتبا بملائكة فى يد وسيط. وأما الوسيط فلا يكون لواحد. ولكن الله واحد. فهل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا. لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيى؛ لكان بالحقيقة البر بالناموس.

---

[1] فى التوراة العبرانية أربعمائة. وفى التوراة اليونانية أربعمائة وثلاثين.

لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية؛ ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون، ولكن قبلما جاء الإيمان؛ كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُعلن.

إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح؛ لكى نتبرر بالإيمان، ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب"(١)

إن ما يعنينا من كلامه هذا: هو أنه حدد بدء الميثاق من "المسيح يسوع" وجعل المدة من إبراهيم إلى "المسيح يسوع" مدة تمهيد وتوطئة. فهل المواعيد فى نسل إسحق حتى تصدق على واحد منه هو "المسيح يسوع"؟

لقد تمت المواعيد من قبل ولادة إسحق .ولذلك يقول الله فى القرآن الكريم: {وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً} وهب أن المواعيد فى إسحق من قبل ولادته. وذلك لم يحدث. ولكن قل به جدلا. هب أن المواعيد فى إسحق من قبل ولادته. وجاء إسحق؛ فلماذا إذْ جاء ليحقق وعدا؛ يُؤمر أبوه بذبحه؟ أليس هذا تناقض؟ وإن هو قد ذبح ولم يُفد فداء. أليس بذبحه تبطل المواعيد؟ ولئن كان هو صاحب المواعيد، وبشرت الملائكة به أمه سارة. فهل كانت ستتعجب من ولادته وهى عجوز عقيم؟ وهل كان أبوه يعجب من أمر الله؟ ففى كتاب التوراة: "وقالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: هاهى فى الخيمة. فقال: إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابن. وكانت سارة سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه. وكان إبراهيم وسارة شيخين متقدمين فى الأيام. وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء. فضحكت سارة فى باطنها قائلة: أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد، وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شىء؟"(٢)

وبناء على ما تقدم يكون بدء المواعيد من محمد رسول الله ﷺ.

الوعد الثالث:

وهو ظهور محمد رسول الله ﷺ فى حينه. وقد وعد به وبين أوصافه فى التوراة. ومما هو مكتوب عنه فيها: "يقيم لك الرب إلهك: نبيا. من وسطك. من إخوتك مثلى. له تسمعون. حسب كل ما طلبت من الرب إلهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا: لا أعود

(١) غلاطية ٣: ١٥ ـ ٢٥ .
(٢) التكوين ١٨: ٩ ـ ١٤ .

أسمع صوت الرب إلهى، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا؛ لئلا أموت. قال لى الرب: قد أحسنوا فى ما تكلموا. أقيم لهم: نبيا من وسط إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامى فى فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى؛ أنا أطالبه"[1]

وعن هذا فى القرآن الكريم: { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } وقد ظهر محمد رسول الله، وتحقق الوعد به.

الوعد الرابع:

وهو أن محمدا رسول الله وأصحابه يحاربون اليهود ويهلكونهم ويأخذون منهم أرض فلسطين فى يوم الرب فى ساعة معركة هرمجدون. بعد الأسابيع السبعين، وهذا الوعد منصوص عليه فى الأصحاح التاسع من سفر دانيال، وفى الأصحاح الرابع والعشرين من إنجيل متى. وفى القرآن الكريم فى قوله: { بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ } وقد تم هذا الوعد فى دخول المسلمين فلسطين فى زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه- سنة ٦٣٨م. وقد قال المسيح عن هذه الساعة: "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده" (متى ٢٤:٣٦)

الوعد الخامس:

هلاك القرى الكافرة فى بدء ظهور الإسلام كفارس وبلاد يأجوج ومأجوج، ودخول أهلها فى دين الإسلام. وهذا منصوص عليه فى سفر حزقيال. وقد تم هذا الوعد فى فتح المسلمين لبلاد فارس أيام عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ٦٣٨م.

ويبين حزقيال أن هلاك يأجوج ومأجوج سيكون فى الأيام الأخيرة لبركة بنى إسرائيل وهى بدء بركة بنى إسماعيل. فيقول: "فى الأيام الأخيرة يكون. وآتى بك على الأرض؛ لكى تعرفنى الأمم، حين أتقدس فيك أمام أعينهم يأجوج" (حزقيال ٣٨: ١٦) وفى القرآن الكريم: { حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ° وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ}

---

[1] التثنية ١٨: ١٥ – ٢٢ .

الوعد السادس:

فى سفر دانيال: أن بنى إسرائيل سيفسدون فى أرض فلسطين مرتين، وسيعلون علوا كبيرا. والوعد الأول مذكور فى الأصحاح الثامن من سفر دانيال.[١] والوعد الآخر مذكور فى الأصحاح الثانى عشر من سفر دانيال.

وقد تم الوعد الأول فى سنة ألف وتسعمائة وسبعة وستين ميلادية. بالعلو الكبير والفساد الكبير. وإلى الآن لم تتم هزيمة بنى إسرائيل. وستتم بحسب علم الله. وبعد مدة من تمام الهزيمة، تقدر بألف ومائتان وتسعين سنة. يأتى بنو إسرائيل مرة أخرى؛ ليتم وعد الآخرة. وهو مثل وعد الأولى. وهذا منصوص عليه فى القرآن الكريم فى أول سورة الإسراء وفى آخرها وفى قوله -تعالى- فى سورة التوبة: { سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ }[٢]

الوعد السابع:

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } ومايزال الإسلام فى الظهور.

معركة هرمجدون:

وقد أطلق المسيحيون لقب "هرمجدون" على معركة "الساعة" التى فيها سيزول ملك اليهود من فلسطين فى عهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - سنة ٦٣٨م ويطلق عليها المؤرخون معركة "اليارموك" ولما وضع المسيحيون لقب "هرمجدون" مكان "الساعة" [٣] أو "اليارموك" ظن بعض الكتاب أن معركة هرمجدون تختلف عن معركة الساعة التى هى معركة اليارموك، وقالوا إنهما معركتان. الأولى: هى فتح المسلمين للقدس وهى معركة اليارموك التى هى معركة الساعة. والأخرى: هى هرمجدون وبعدها تقوم القيامة وتنتهى الحياة الدنيا. وقولهم باطل؛ فإن هرمجدون هى اليارموك. وزعم بعضهم. أن هرمجدون

---

(١) يقول دانيلال عن العلو الأول: "وتعظم حتى إلى جند السموات، وطرح بعضا من الجند والنجوم إلى الأرض وداسهم وحتى إلى رئيس الجند تعظم. وبه أبطلت المحرقة الدائمة، وهدم مسكن مقدسه، وجعل جند على المحرقة الدائمة بالمعصية؛ فطرح الحق على الأرض وفعل وتحج. فسمعت قدوسا واحدا يتكلم. فقال قدوس واحد لفلان المتكلم: إلى متى الرؤيا من جهة المحرقة الدائمة، ومعصية الخراب لبذل القدس والجند مدروسين؟ ..." ويقول دانيال عن العلو الأخر: " ومن وقت إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس المخرب ألف ومائتان وتسعون يوما. طوبى لمن ينتظر ويبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثون يوما" والمرادى باليوم: السنة.

(٢) التوبة ١٠١ والمراد بالمرتين: مرتى الإفساد والعلو؛ لأن القرآن يفسر بعضه بعضا.

(٣) راجع كتابنا البداية والنهاية لأمة بنى إسرائيل.

ستتم فى أيامنا هذه. وحددوا لها موعدا. ولم تحدث فى الموعد الذى حددوه. وكيف تحدث وهى قد حدثت فى بدء الإسلام؟ وفى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى عن هرمجدون:

"ثم سكب الملاك السادس جامه على النهر الكبير الفرات. فنشف ماؤه؛ لكى يُعَدُّ طريق الملوك الذين من مشرق الشمس، ورأيت من التنين، ومن فم الوحش، ومن فم النبى الكذاب. ثلاث أرواح نجسة، شبه ضفادع؛ فإنهم أرواح شياطين صانعة آيات تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم. يوم الله القادر على كل شىء. ها أنا آتى كلص، طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه؛ لئلا يمشى عريانا؛ فيروا عورته. فجمعهم إلى الموضع الذى يدعى بالعبرانية هَرْمَجَدُّون" إنه كتب بأسلوب أسطورى. ووضع فيه للراسخين فى العلم ما يدل على الحق. لئلا يفهم الأميون مراده.

لاحظ:

١ - "اليوم العظيم" ٢ - "يوم الله القادر على كل شىء". ٣ - "ها أنا آتى كلص" ٤ - والملاك السادس: إشارة إلى السنين التى ستحدث فيها معركة هرمجدون بعد أسابيع دانيال وهو إشارة خفية إلى محمد رسول الله ﷺ فإنه قد بعث فى السنة ٥٧٢م

* * *

أهل البيت عند أهل السنة والشيعة:

ومن الفروق بيننا نحن أهل السنة، والشيعة - الذين هم أهل سنة مثلنا، وأهل عقيدة معتبرة، وأهل مذهب فقهى يوصل إلى الله - عز وجل - الفرق بين العربى الذى من آل البيت، وبين العربى الذى ليس هو من آل البيت. فعند الشيعة: أن آل البيت هم الواصلون إلى النبى ﷺ عن طريق فاطمة الزهراء - رضى الله عنها- ثم من يوالونهم يكونون من آل البيت، وعند أهل السنة: أن جميع زوجات النبى ﷺ من آل البيت. وعند الطائفتين أن محمدا ﷺ هو رأس آل البيت، ومن كان قبله، ومن انتسل من غيره من أبناء إسماعيل - عليه السلام- فإنه لا يكون من آل البيت.

وقولهم جميعا بأن آل البيت هم أهل محمد فقط؛ هو قول ما عليه من دليل. وذلك لأن البيت هو { الكعبة البيت الحرام } بنص القرآن. وآل هذا البيت: هم جميع المسلمين:

١ - من بنى إسماعيل -عليه السلام- الذين أسلموا مع محمد ﷺ لله رب العالمين، ودانوا بشريعته.

٢ ـ وهم أيضا الذين لحقوا بهم من الأمم. وذلك لقوله – تعالى-: { وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّـهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }

والمتقون: هم المسلمون مع محمد، من أبناء إسماعيل -عليه السلام-، ويلحق بهم من يدخل فى دينهم من الأمم. والذين يصدون عن المسجد الحرام هم اليهود {وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} فمن هم { أَوْلِيَاؤُهُ } الآن لما ظهر محمد؟ إنهم هم { الْمُتَّقُونَ } وهم محمد وأتباعه.

من المتفق عليه بين جميع المسلمين سنة وشيعة: أن القرآن يفسر بعضه بعضا. وعلى هذا فقوله – تعالى-: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}

ماذا يعنى بقوله { أَهْلَ الْبَيْتِ }؟ هل هو يعنى اليهود الذين يصدون الناس عن الدخول فى ملك بنى إسماعيل وشريعتهم، أم هو يعنى بنى إسماعيل؟ هذا سؤال أول، وسؤال آخر. وهو: هل هو يعنى بنى إسماعيل على الإطلاق، أم هو يعنى التخصيص بمحمد ﷺ؟ بمعنى: أنه هو رأس بنى إسماعيل، وكل من والاه ودخل فى شريعته منهم؛ يكونون { أَهْلَ الْبَيْتِ }. إن التخصيص هو القول الحق.

وفى القرآن ما يدل على ذلك:

ففى القرآن: { وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ } { وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً } { جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ } { جَعَلَ اللَّـهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ } { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ } { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ } { وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ }

هذا مما فى القرآن عن { الْبَيْتِ}، والمراد به: الكعبة المعظمة.

فإذا قال:{ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت } فمن هم أهل البيت؟ هل هم اليهود؟ هل هم كل نسل إسماعيل من زمن إسماعيل إلى يوم القيامة؟ هل هم كل نسل إسماعيل المؤمنين بمحمد من زمن محمد إلى يوم القيامة؟

وإذا قال: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً } من هم أهل البيت الذين سيتطهرون من الرجس؟ هل الشريعة المطهرة لولد فاطمة خاصة؟ هل الشريعة المطهرة لكل من يؤمن بشريعة محمد من بنى إسماعيل؟ ثم { وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}؟

إن ما يعنينى ههنا على جهة الخصوص؛ لأزيل الفرق - بالحق - بين السنى والشيعى فى معنى { أهل البيت، ويطهركم تطهيرا } هو:

إن إبراهيم - عليه السلام- لما دعا الناس إلى الله، وهاجر إلى مكة المكرمة، وجد الكعبة البيت الحرام بحاجة إلى إعادة بناء. فأعاد بناءها هو وابنه إسماعيل. ودعا إلى الله، وأذّن فى الناس بالحج. وفى ذاك الزمان كان بنو آدم يعبدون الأصنام، ولم يكن من يدعو إلى الله غير إبراهيم. وقد دعا عند بيته المحرم، وقال لله -تعالى-: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } مضار إبراهيم بإعادة البناء وبالدعوة { أَهْلَ الْبَيْتِ } لكن إبراهيم - عليه السلام- لما قال الله — تعالى-: { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً } وهو محمد ﷺ خصص أهل البيت بإسماعيل من محمد وذلك لأنه لم يكن له ولد فى ذاك الوقت إلا إسماعيل. وفى إسماعيل تمت مواعيد الله لإبراهيم فى إرث الأراضى من محمد ﷺ، لأن الإرث لا يكون إلا لشريعة إلهية، يمكنون لها فى الأرض. ومن بعد إسماعيل وتمام الوعود فيه؛ وهب الله لإبراهيم ولدا ثانيا هو إسحق. وجعله نافلة، أى لا تتم فيه المواعيد؛ لأنها تمت من قبل ولادته، فى إسماعيل فقط. وإذ قد تمت المواعيد فى إسماعيل فقط. فإن نسل إسحق لا يكونون { أَهْلَ الْبَيْتِ } فإسماعيل ونسله يسكنون عند البيت، وينتظرون النبى الآتى منهم؛ ليكون لهم به ملك على الأمم والشعوب. بشريعة من الله. والبيت رمز لها. وقبلة لها.

ففى التوراة عن إسماعيل: "وسكن فى برية فاران"[١]

وفى القرآن: { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ } وقد بينا هذا بوضوح فى كتابنا عن الصابئين. أما نسل إسحق - عليه السلام- فقد كتب الله لهم "فلسطين" يجعلونها عاصمة لملكهم بشريعة موسى - عليه السلام- إلى أن يظهر نبى أهل البيت وعندئذ يدخلون فى ملكه وشريعته، وتكون الأرض المكتوبة لهم ملكا لصاحب الشريعة الجديدة.

---

[١] "عظيم هو الرب وحميد جدا فى مدينة إلهنا جبل قدسه. جميل الارتفاع فرح كل الأرض جبل صهيون. فرح أقاصى الشمال مدينة الملك العظيم. الله فى قصورها يعرف ملجأ. لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعا. لما رأوا بهتوا ارتاعوا فروا. أخذتهم الرعدة هناك. والمخاض كوالدة. بريح شرقية تكسر سفن ترشيش. كما سمعنا هكذا رأينا فى مدينة رب الجنود فى مدينة إلهنا. الله يثبتها الى الأبد. سلاه ذكرنا يا الله رحمتك فى وسط هيكلك. نظير اسمك يا الله تسبيحك الى أقاصى الأرض. يمينك ملآنة برا. يفرح جبل صهيون تبتهج بنات يهوذا من أجل أحكامك طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها. ضعوا قلوبكم على متارسها. تأملوا قصورها لكى تحدثوا بها جيلا آخر. لأن الله هذا هو إلهنا الى الدهر والأبد. هو يهدينا حتى إلى الموت" (مزمور ٤٨).

فإسماعيل كالفرض، وإسحق كالنافلة فى عهد الله -تعالى- مع إبراهيم بأن يورث نسله أراضى الأمم والشعوب. والعهد مخصوص فى إسماعيل وحده؛ لقوله: {وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} وهل يبدأ هذا العهد من حياة إسماعيل أم من حياة محمد الإمام الآتى من إسماعيل ككون إبراهيم إماما؟ على أى معنى من المعنيين تجد أن نسل إسماعيل قد وفوا بالعهد ولم ينقضوه.

وهذا الذي قلته. إليه الإشارة فى التوراة وفى القرآن، فى بشارة الملائكة لسارة بإسحق -عليه السلام -. ففى القرآن الكريم: { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ } على خدمة الضيوف {فَضَحِكَتْ} من خوف إبراهيم من الملائكة؛ لأنه ما أثر عنه الخوف من لقاء عدو قط {فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} أى يتزوج إسحق، وينجب يعقوب. ويرث يعقوب بركة إسحق { قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ه قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ } وهنا يتوقف الكلام.

واستأنف كلاما جديدا. كأن سائلا سأل: هل المواعيد التى تمت فى إسماعيل فى حياة أبيه إبراهيم قد نسخت وزالت، وانتقلت إلى ولده إسحق فى فرع ولده يعقوب؟ إن كانت قد نسخت وزالت؛ فإن محمدا لا يأتى إلى العالم. وإن كانت لم تنسخ ولم تزل؛ فإنه يكون آتيا إلى العالم. وإذا كان إسحق { نَافِلَةً } بصريح القرآن؛ فإن المواعيد فى إسماعيل تكون باقية على حالها لم تنسخ ولم تزل، ويكون محمد آتيا لإتمامها، ويكون إسماعيل هو الأصل. ويترتب على ذلك أن يكون قوله: { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } لواحد فقط من ولدى إبراهيم. هو إسماعيل، الساكن بجوار الكعبة؛ لأن تفسير البركة هو الملك والنبوة، وإسحق ليس أصلا حتى يكون مشاركا لإسماعيل فيها، وإنما هو نافلة. يتم الفرض بدونه، ويكون نسله موطئا وممهدا لشريعة محمد - عليه السلام-.

وقد جاء فى التوراة أن إسحق مبارك كإسماعيل. ومعنى أنه مبارك: أنه يمهد الطريق للأصل، الذى ستدوم شريعته إلى الأبد. والقرينة المبينة على أنه يتكلم ههنا عن إسماعيل وحده: أن { أَهْلَ الْبَيْتِ } تعبير خاص بهم، وأن الله يقول عن اليهود { وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ }

ويدعى اليهود: أن المواعيد فى إسحق وحده، وأنه هو الذبيح. فهب أنه قد ذُبح ولم يفد بذبح عظيم، فكيف كانت تتم به المواعيد؟

وفى كتاب التوراة: أن الكلام يتم عند إزالة تعجب سارة. ففى الأصحاح الثامن عشر من سفر التكوين: "فضحكت سارة فى باطنها قائلة: أبعد فنائى يكون لى تنعم، وسيدى قد شاخ؟ فقال الرب لإبراهيم: لماذا ضحكت سارة قائلة: أفبالحقيقة ألد، وأنا قد شخت؟ هل يستحيل على الرب شىء؟ فى الميعاد أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة ابن. فأنكرت سارة قائلة: لم أضحك؛ لأنها خافت، فقال: لا، بل ضحكتِ. ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم، وكان إبراهيم ماشيا معهم؛ ليشيعهم"[١]

وبعدما بينا أن قوله { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ } كلام مستأنف جديد. خاص فى إسماعيل - عليه السلام - من محمد ﷺ نبين: أن قوله { إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } هل يكون وصفا لله، أم يكون وصفا لمحمدﷺ على طريق الالتفات أم يكون وصفا لهما معا؟

إن الله -تعالى- لما استجاب دعاء إبراهيم فى إسماعيل بقوله: "وأما[٢] إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه" قال بعد بركته: "وأجعله أمة كبيرة" فهل الهاء فى "وأجعله" تعود إلى إسماعيل. أم على النبى الآتى منه وهو محمد نبى الله؛ لأنه هو الذى تبدأ منه بركة إسماعيل؟ إن البركة ههنا مخصصة فى محمد نبى الله؛ لأنه هو صاحب الشريعة التى يكون عليها الملك. وقد عبر عنه الكاتب بأسلوب الالتفات. فإن " أمة كبيرة " ترجمتها بالعبرانية " لجوى جدول " وهى كلمة تساوى "محمد" بحساب الجمل. فيكون المعنى: "وأجعله" أى وأجعل النبى الآتى من إسماعيل وهو محمد لشعب كبير. فيكون محمودا من الناس الذين هداهم الله إلى شريعته[٣].

وفى نص بركة إسماعيل اسم محمد أيضا. وهو: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره. كثيرا جدا" فإن "كثيرا جدا" فى العبرانية "بماد ماد" وهى تساوى "أحمد" بحساب الجمل. فكأنه يقول: ها أنا أبارك إسماعيل من محمد. أى تبدأ بركة إسماعيل من محمد. وها أنا أثمر نسل إسماعيل من محمد، وها أنا أكثر نسل إسماعيل من محمد. كأنه يقول: ها أنا أبارك محمدا وأثمره وأكثره؛ فلا يكون أبترا، كما

---

[١] سفر التكوين ١٨: ١٢ ـ ١٦ .

[٢] تكوين ١٧: ١٨ ـ ٢٠ .

[٣] " رنموا للرب ترنيمة جديدة. رنمى لقرب يأكل الأرض. رنموا للرب باركوا اسمه بشروا من يوم إلى يوم بخلاصه. حدثوا بين الأمم بمجده بين جميع الشعوب بعجائبه. لأن الرب عظيم وحميد جدا. مهوب هو على كل الآلهة. لأن كل آلهة الشعوب أصنام أما الرب فقد صنع السموات. مجد وجلال قدامه. العز والجمال فى مقدسه. قدموا للرب يا قبائل الشعوب قدموا للرب مجدا وقوة . قدموا للرب مجد اسمه. هاتوا تقدمة وادخلوا دياره. اسجدوا للرب فى زينة مقدسة. ارتعدى قدامه يا كل الأرض. قولوا بين الأمم. الرب قد ملك. أيضا تثبتت المسكونة فلا تتزعزع. يدين الشعوب بالاستقامة. لتفرح السموات ولتبتهج الأرض ليعج البحر وملؤه ليجذل الحقل وكل ما فيه. لتترنم حينئذ كل أشجار الوعر أمام الرب لأنه جاء. جاء ليدين الأرض. يدين المسكونة بالعدل والشعب بأمانته " (المزمور ٩٦).

ادعى شانئه ومبغضه من اليهود. ثم عطف عليه فقال: "وأجعله أمة كبيرة" أى محمودا. من الناس.

وفى نبوءات سفر الزبور عن محمد ﷺ نجده يقول: إن الله قد ملك على الأمم والشعوب "عظيم هو الرب وحميد جدا، فى مدينة إلهنا جبل قدسه" [١] مع أن الله مالك الملك ذى الجلال والإكرام، إلى الدهر والأبد. فما هو معنى أنه "مَلَك" الآن وقد بين عنه: "كرسيك مثبتة منذ القدم منذ الأزل أنت" [٢]؟ يريد أن يقول: إنه فى الوقت الذى سيظهر فيه النبى المنتظر، سيملك بشريعته على الأمم والشعوب .وما معنى أن يملك الرب فى مدينة إلهنا؟ لا معنى إلا القول: عظيم هو نبى الرب. فى مدينة إلهنا وهى مكة جبل قدسه والجبل المقدس ليس إلا عند الكعبة. ذلك قوله: "أما الرب فقد صنع السموات. مجد وجلال قدامه. العز والجمال فى مقدسه" [٣] فالمجد والجلال هما قدام الله بشريعة النبى الآتى. والكعبة البيت الحرام هى بيته المقدس.

ويقول عن أتقيائه أولياء البيت المقدس. وهم علماء أمته ﷺ من نسل إسماعيل ومن يلحق بهم: "ويباركك أتقياؤك بمجد ملكك ينطقون، وبجبروتك يتكلمون؛ ليعرفوا بنى آدم قدرتك، ومجد جلال ملكك. ملكك ملك كل الدهور، وسلطانك فى كل دور فدور" [٤] وذلك موجود فى المزامير ٤٨ و ٩٦ و ١٤٥ ومنه يعلم أن قوله – تعالى-: { رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } خاص بمحمد ﷺ لأن المواعيد فى إسماعيل، ويبدأ تنفيذها منه ﷺ كأنه قد أتم الكلام عند {الْبَيْتِ} ثم أشار إلى أن محمدا مكتوب عنه فى التوراة بأنه { حَمِيدٌ مَّجِيدٌ } أى محمود وممجد "مجد وجلال قدامه" ـ "عظيم هو الرب وحميد جدا".

فماذا فى الإسرائيليات والموضوعات التى أدخلها أهل الكتاب فى كتب التفسير والحديث والفقه والسيرة النبوية؟ ما غرضهم من إدخالها؟ إنه للغو فى معانى القرآن الكريم، وإنه لتفريق كلمة المسلمين.

إن الشيعة الإمامية أهل "قم" وما حولها؛ هم من المسلمين المكْرمين. ومذهبهم فى ذات الله وصفاته؛ هو مذهب من المذاهب الإسلامية الصحيحة، وعقائدهم هى نفس عقائد

---

[١] مزمور ٤٣: ١ والمعنى: عظيم هو نبى الرب الآتى. لأن الرب وهو الله عظيم يملأ العالم. ولا يكون الرب فى مدينة إلهنا.

[٢] مزمور ٩٣ وبدؤه: "الرب قد ملك . لبس الرب القدرة".

[٣] مزمور ٩٦: ٥ – ٦ وبدؤه: " فرنموا لقرب ترنيمة جديدة " كتابة عن شريعة جديدة.

[٤] المزمور ١٤٥: ١٠ – ١٢ .

المسلمين الصحيحة، ولا يرتاب أحد فى أنهم مسلمون حقا وصدقا، وفى أنهم يعيشون على خلق القرآن. ومذهبهم الفقهى فى العبادات والمعاملات؛ هو مذهب من مذاهب المسلمين المعتبرة، كمذهب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان وغيره من الفقهاء الكرام. وهم مع المسلمين جميعا يدخلون تحت قوله -تعالى-: { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [1] وقد خُدعوا بالإسرائيليات والموضوعات، كما خُدع السنيون سواء بسواء. وهم جميعا إخوة؛ فليتحدوا، ولينبذوا أسباب التفرقة، ولينقوا الكتب من الإسرائيليات.

وينسب البيت الحرام إلى نوح -عليه السلام-؛ لأنه هو الذى أسسه فى مكة من بعد الطوفان، ووضعه للمؤمنين الناجين من الطوفان ليقربوا القرابين لله عنده، وإذا ما ارتحلوا عن أرضه، يعودون كل سنة لرؤيته حجاجا، قاصدين شكر الله على نجاتهم، هم وأبناؤهم من بعدهم. ويُنسب البيت الحرام إلى الله - عز وجل-؛ لأنه لعبادته لا لعبادة الشيطان الرجيم. ولذلك جاء فى القرآن الكريم { وَطَهِّرْ بَيْتِيَ } بقوة السلاح ونسب البيت إلى الله، وجاء فى القرآن الكريم: أن نوحا - عليه السلام- قال لله -تعالى-: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَاراً }

وقد بينا هذا فى غير هذا الكتاب. ونبين ههنا عن إبراهيم- عليه السلام -: أن الله يقول فى القرآن عن إبراهيم - عليه السلام -: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)... إلخ

يريد أن يقول (وَ) اذكروا (وَإِذِ ابْتَلَى) وذلك لأنه قال قبلا : (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)

والمراد بالكلمات: أنه اختبر إيمانه بذبح ابنه؛ فرضى، وأمره بجهاد الكافرين؛ فجاهد، وأمره بالدعوة إلى الله؛ فدعا، وأمره بالهجرة من أرض آبائه؛ فهاجر. وكل ذلك يؤهله للإمامة. وعندئذ طلب من الله أن يكون من ذريته (إمَاماً) يعنى نبيا من نسل إسماعيل - عليه السلام -؛ لأنه لم يكن له ولد فى ذلك الوقت إلا هو.

---

[1] الفتح ٢٩ ومثل الأمة الإسلامية فى التوراة موجود فى المزمور ١٤٩ وغيره. ومثلهم فى الإنجيل؛ موجود فى متى ١٣ ومرقس ٤ ولوقا ١٣.

ويدل على أنه يعنى نبيا: قوله ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ وقوله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لأن الله استجاب دعاءه، وجعل العهد فى نسل إسماعيل من محمد ﷺ. ولكن اليهود حرفوا التوراة، وجعلوا العهد فى نسل إسحق. من موسى - عليه السلام -، والنصارى حرفوا معنى كلام التوراة المحرفة، وقالوا: إن العهد فى إسحق من المسيح عيسى -عليه السلام-. وقد رد عليهم بقوله: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي﴾ الذى أثبته لإسماعيل من محمد، الظالمين لآل إسماعيل. وهم بنو إسرائيل .ثم إن الله يقول: ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾ وهذا مكتوب فى الزبور الرابع والثمانين ورتب على التذكر أنه يأمرهم بقوله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ أى دخلوا فى الإسلام. ثم عاد إلى التذكر فقال: ﴿وَ﴾ اذكروا إذ ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ ... ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ﴾ يعنى نسل إسماعيل وحده ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ ورد بقوله بعد مدة من السؤال،أتى بعدها إسحق. ﴿ وَمَن كَفَرَ﴾ من نسله ـ وهم اليهود ـ سأرزقهم أيضا ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً﴾ بالدنيا ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ وقد ورد التمتع لليهود فى أكثر من آية من القرآن منها ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ۝ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾

ثم قال: ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ...إلخ

إلى أن قال: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ﴾

وأمر بنى إسرائيل بتذكر كل هذا، يدل على أن كل هذا مذكور فى التوراة وأسفار الأنبياء الظاهر منها الخفى. ويجب على المسلم أن يبحث عن كل هذا فى كتبهم ويظهره؛ لأنهم لن يظهروه للناس .

وفى سورة إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ وهذه الآية نظير قوله فى سورة البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾ فى معنى ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾... إلخ

وتوجد مشابهة بين طلب إبراهيم من الله أن يغفر ذنوب والديه، وبين طلب نوح أن يغفر الله ذنوب والديه. وطلب الغفران يدل على أن والدى كل منهما مات على الإيمان، ولم يموتا على الكفر. أما عن نوح فالمعنى غير مشكل. سواء أقلنا إنهما ماتا من قبل الطوفان أم ماتا من بعده. وأما عن إبراهيم فالمعنى مشكل فى نظر الأميين؛ لأنه استغفر لأبيه، ثم تبرأ منه. فكيف يستغفر له وقد تبرأ منه؟ وما يدريكم أنه ظل على الكفر، وظل على التبرؤ.

إذ من المحتمل أنه من بعد تبرؤه منه؛ آمن وتاب ومـات علـى الإيمـان .والله مقلب الليـل والنهار، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن .ففى سورة التوبة: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ٭ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾

هذا يدل على استغفار بعد وعد، ويدل على أنـه لما نقـض الوعـد، تـبرأ منـه ولم يستغفر له بعد .

وفى سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ أى ﴿لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ إن أسلمت. فلما تبين له أنه لم يسلم؛ تبرأ منه، ولم يستغفر له. ومن المؤكد أنه بعد هذا الوقت. أسلم أبوه، فاستغفر له. وذلك لقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ بعدما وفى بوعده وأسلم.

ومما جاء عن إبراهيم فى كتب أهل الكتـاب: -

(أ) من أسفار الأنبياء:

١ - " إبراهيم كان أبا عظيما لأمم كثيرة. ولم يوجد مثله فى المجد "

راجع فى المجد: تكوين ١٧: ٤ - ٦ رومية ٤: ١ - ٢٥

٢ - " حفظ شريعة العلى، فأقام معه عهدا، وجعل الختان علامـة العهـد، وعنـد الامتحـان؛ وجد أمينا "

راجع فى أمانة إبراهيم عند الابتلاء: تكوين ١٧:٩ - ١٤ و ٢٢:١ - ١٨

٣ - " فحلف له الرب بأن نسله سيكون بركة للأمم، ويتكاثر كتراب الأرض، ويرتفـع حتـى النجوم، ويرث من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصى الأرض

راجع فى الإرث: تكوين ١٢:٣، ١٣:١٦، ١٥:١٥ ومزمور ٧٢:٨ هذا فى سفر يشوع بن سيراخ. والمراجعة من تعليقات لجنة الكتاب المقدس عليه .

والسؤال ههنا: من الوارث من نسله؟

والإجابة هى: إن الوارث هـو محمـد (ﷺ). وإذا ثبـت أن الإرث لـه؛ يثبـت أن العهـد فـى إسماعيل.

وما هو الدليل على أن الوارث هو محمد ﷺ؟

الدليل الواضح من التعليقات: هو المزمور الثانى والسبعين. العدد ٨

فهو كله عن النبى الآتى على مثال موسى، الذى جعل الله كلامـه فـى فمـه. وهـو محمد ﷺ وفى هذا المزمور أن الله يصلى على النبى ﷺ

(ب) من توراة موسى:

فى ترجمة دار الكتاب المقدس بالشرق الأوسط: " وإبراهيم سيكون أمة كبيرة قوية، ويتبارك به جميع أمم الأرض. أنا اخترته ليوصى بنيه وأهل بيته من بعـده بـأن يسـلكوا فـى طرقى، ويعملوا بالعدل والإنصاف، حتى أفى بما وعدته به "

وفى ترجمة البروتستانت:" وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية، ويتبارك به جميع أمـم الأرض؛ لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعـده أن يحفظـوا طريـق الـرب؛ ليعلمـوا بـرا وعدلا؛لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به " [تك ١٨:١٨ ـ ١٩]

(جـ) وفى الزبور عن محمد رسول الله ﷺ:

أن بنى إسرائيل لن يعملوا بالعدل والإنصاف. لن يعملوا برا ولا عدلا. ومع ذلـك يريدون العهد الذى وضعه الله فى إسماعيل لهم .وكيف ينالوه وهم ظالمون؟ فلـذلك قـال: (لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)

وهذا نص الزبور ٣٦ وفيه عن النبى الأمى الآتى: " بنورك نرى نـورا " وفيـه عـن الكعبة: " يروون من اسم بيتك، ومن نهر نعمك تسقيهم؛ لأن عندك ينبوع الحياة"

يقول داود - عليه السلام:

" نأمة معصية الشرير فى داخل قلبى أن ليس خوف الله أمام عينيه. لأنه ملق نفسه لنفسه من جهة وجدان إثمه وبغضه. كلام فمه إثم وغش. كف عن التعقل عـن عمـل الخـير. يتفكر بالإثم على مضجعه. يقف فى طريق غير صالح. لا يرفض الشر

يارب فى السموات رحمتك. أمانتك إلى الغمام. عدلك مثل جبال الله وأحكامك لجة عظيمة. الناس والبهائم تخلص يارب. ما أكرم رحمتك يـا اللـه. فبنـو البشـر فـى ظـل جناحيك يحتمون. يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم. لأن عنـدك ينبـوع الحيـاة.

بنورك نرى نورا. أدم رحمتك للذين يعرفونك وعدلك للمستقيمي القلب. لا تأتني رجل الكبرياء ويد الأشرار لا تزحزحني. هناك سقط فاعلو الإثم. دحروا فلم يستطيعوا القيام"

وقد هاجر إبراهيم - عليه السلام - من " أور " الكلدانيين، وأتى إلى " حاران " ومنها إلى " مكة المكرمة " خلافا لما فى التوراة أنه هاجر من " حاران " إلى أرض كنعان. ذلك قوله - تعالى - فى القرآن الكريم: (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) والأرض المباركة هى " مكة " لقوله: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً) ولقوله: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً) ولا تكون الأرض مباركة إلا بنزول شريعة إلهية فيها. ونوح -عليه السلام- استقر هو والمؤمنون معه فى مكة بعد النجاة من الغرق، وأنزل الله عليه شريعة فيها. وهى أول شريعة إلهية. فتكون مكة مباركة بنزول شريعة نوح فيها، وهو الذى أسس الكعبة من بعد الطوفان. ثم انتقلت البركة إلى جبل طور سيناء. لما نزلت عليه شريعة التوراة لقوله: (أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) ثم رجعت البركة إلى مكة؛ لما نزل القرآن فيها على محمد ﷺ لقوله: (وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ) بعد قوله: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ)

وتعبر التوراة عن مكة بأرض الجنوب؛ لأنها جنوب فلسطين التى كان فيها اليهود. وتعبر عن المساجد بالمذابح " فبنى هناك مذبحا للرب، ودعا باسم الرب، ثم ارتحل أبرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب " [تك ١٢:٨ ـ ٩] " ودعا هناك باسم الرب الإله السرمدى " [تك ٢١:٢٣]

وكان يتنقل للدعوة إلى الله وللجهاد فى سبيله، ويعود إلى عاصمة ملكه "مكة" ومنها يسيّر الجيوش الغازية فى سبيل الله. وفى مكة أنجب إسماعيل من هاجر وهو فى سن السادسة والثمانين، وفى مكة أنجب إسحق من سارة وهو فى سن المائة. ويدلك على ذلك:

أ ـ أن ذبح ابنه الوحيد كان فى موضع " يَهْوَه يِرأه " أى " الرب يرى " وهذا الموضع جبل يسمى بجبل الرب [تك ٢٢:١٤] وجبل الرب هو جبل الكعبة.

ب ـ أن هاجر لما بشرها الملاك بإسماعيل " دعت اسم الرب الذى تكلم معها: أنت إيل رُئى؛ لأنها قالت: أههنا أيضا رأيت بعد رؤية. لذلك دعيت البئر بئر لَحَىْ رُئى " [تك ١٦:١٣] وبئر الحى الرائى هو بئر زمزم فى مكة المكرمة.

جـ ـ أن إسحق لما رأى رفقة زوجته " كان إسحق قد أتى من ورود بئر لحى رئى. إذ كان ساكنا فى أرض الجنوب " [تك ٢٤:٦٢] قوله عن البئر إنها " بئر لحى رئى " معناه

أنه كان ساكنا عند بئر زمزم. وقوله " إذ كان ساكنا فى أرض الجنوب " معناه أنه كان مقيما مع أبيه وأخيه إسماعيل فى أرض مكة.

د - أن إسحق لما تزوج رفقة عند بئر لحى رئى فى أرض الجنوب " أدخلها إسحق إلى خباء سارة أمه، وأخذ رفقة فصارت له زوجة وأحبها؛ فتعزى إسحق بعد موت أمه " [تك ٢٤:٦٧] وهذا يدل على أن سارة كانت مع هاجر وإبراهيم وإسماعيل فى مكة.

هـ - ولما فتح إبراهيم مدينة "حَبرون" وهى مدينة الخليل. أقام فيها مدة مع سارة، ثم غادرها إلى مكة عاصمة مملكته. ولما سمع بموت سارة فيها؛ أتى ليدفنها فيها. وكانت أرض حبرون ملكا لأهلها الذين أسلموا. فطلب منهم أن يدفن سارة فى قبر. يدفع ثمنه. واشترى منهم القبر بأربع مئة شاقل من الفضة.

ففى الأصحاح الثالث والعشرين من سفر التكوين:

"وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة، سِنِىّ حياة سارة، وماتت سارة فى قرية أربع التى هى حبرون فى أرض كنعان. فأتى إبراهيم لينـدب سارة ويبكى عليها. وقام إبراهيم من أمام ميته، وكلم بنى حث قائلا : أنا غريب ونزيل عندكم. أعطونى ملك قبر معكم؛ لأدفن ميتى من أمامى، فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: اسمعنا يا سيدى. أنت رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا ادفن ميتك. لا يمنع منا أحد قبره عنك حتى لا تدفن ميتك. فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبنى حث وكلمهم قائلا : إن كان فى نفوسكم أن أدفن ميتى من أمامى، فاسمعونى والتمسوا لى من عِفرون ابن صُوحر أن يعطينى مغارة المكفلية التى له التى فى طرف حقله، بثمن كامل يعطينى إياها .فى وسطكم ملك قبر. وكان عِفرون جالسا بين بنى حث. فأجاب عفرون الحثى إبراهيم فى مسامع بنى حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا :لا ياسيدى اسمعنى: الحقل وهبتك إياها. والمغارة التى فيه لك. وهبتها. لدى عيون بنى شعبى وهبتك إياها. ادفن ميتك. فسجد إبراهيم أمام شعب الأرض وكلم عفرون فى مسامع شعب الأرض قائلا : بل إن كنت أنت إياه فليتك تسمعنى.

أعطيك ثمن الحقل. خذ منى فأدفن ميتى هناك. فأجاب عفرون إبراهيم قائلا له: ياسيدى اسمعنى. أرض بأربع مئة شاقل فضة ما هى بينى وبينك. فادفن ميتك. فسمع إبراهيم لعفرون. فوزن إبراهيم لعفرون الفضة التى ذكرها فى مسامع بنى حث. أربع مئة شاقل فضة جائزة عند التجار. فوجب حقل عفرون الذى فى المكفيلة التى أمام ممرا. الحقل والمغارة التى فيه وجميع الشجر الذى فى الحقل الذى فى جميع حدوده حواليه لإبراهيم ملكا

لدى عيون بنى حث بين جميع الداخلين باب مدينته. وبعد ذلك دفن إبراهيم سارة امرأته. فى مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التى هى حبرون فى أرض كنعان فوجب الحقل والمغارة التى فيه لإبراهيم ملك قبر من عند بنى حث " [تك ١:٢٣-٢٠]

التعليق:

١ - " فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكى عليها " معناه: أنه لم يكن حاضرا موتها، ولا مقيما معها .

١ - " أنا غريب ونزيل عندكم " معناه أنه لم يكن مقيما إقامة دائمة .

٢ - " أنت رئيس من الله بيننا " مع اعترافه بأنه غريب؛ يدل على أنه كان يدعو إلى الله، فى بلاد كثيرة، ويقيم ويرحل.

و - وفسر المسيح - عليه السلام - أرض الجنوب بأنها أرض مكة. ففى الفصل السادس والتسعين من إنجيل بَرْنابا: " حينئذ يرحم الله العالم، ويرسل رسوله، الذى خلق كل الأشياء لأجله، الذى سيأتى من الجنوب بقوة، وسيبيد الأصنام، وعبدة الأصنام، وسينتزع من الشيطان سلطته على البشر، وسيأتى برحمة الله لخلاص الذين يؤمنون به، وسيكون من يؤمن بكلامه مباركا. ومع أنى لست مستحقا أن أحل سير حذائه .. " إلخ.

الأرض المباركة:

وإن قال قائل: ما الذى يمنع من القول بهجرة إبراهيم إلى أرض كنعان وهبوطه منها إلى مكة، كما يقول المؤرخون نقلا عن التوراة؟ يمنع من ذلك تصريح القرآن بأن الهجرة كانت مع لوط إلى الأرض المباركة. والأرض المباركة فى ذاك الزمان هى أرض مكة؛ لأن شريعة نوح نزلت فيها.[1] وانتشرت فى العالم منها. وظلت شريعة نوح تُرسل أشعة نورها من مكة إلى أن جاء موسى -عليه السلام- فنسخها بالتوراة. وكان إبراهيم على شريعة

---

[1] "وكلم الله نوحا قائلا: أخرج من الفُلك أنت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك معك. وكل الحيوانات التى معك من كل ذى جسد. الطيور والبهائم وكل الدبابات التى تدب على الأرض؛ أخرجها معك . ولتتوالد فى الأرض وتثمر وتكثر على الأرض . فخرج نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه ، وكل الحيوانات . كل الدبابات وكل الطيور ، كل ما يدب على الأرض؛ كأنواعها خرجت من الفلك . وبنى نوحا مذبحا للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح . فتنسم الرب رائحة الرضا . وقال الرب فى قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان؛ لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ، ولا أعود أيضا أميت كل حى كما فعلت . مدة كل أيام الأرض؛ زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل . لا تزال.
وبارك الله نوحا وبنيه . وقال لهم: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض ، ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء . مع كل ما يدب على الأرض . وكل أسماك البحر قد دُفعت إلى أيديكم . كل دابة حية تكون لكم طعاما؛ كالشعب الأخضر دُفعت إليكم الجميع . غير أن لحما بحياته دمه لا تأكلوه . وأطلب أنا دمكم لأنفسكم فقط . من يد كل حيوان أطلبه . ومن يد الإنسان أطلب نفس الإنسان . من يد الإنسان أخيه . سافك دم الإنسان بالإنسان يُسفك دمه؛ لأن الله على صورته عمل الإنسان . فأثمروا أنتم واكثروا وتوالدوا فى الأرض ، وتكاثروا فيها" [تكوين ٨ و ٩]

نوح، لم ينقضها ولم يخالفها. والدليل على أن شريعة نوح نزلت فى مكة: أنه فى كتاب التوراة: أن نوحا بنى مذبحا للرب، وأصعد عليه حيوانات طاهرة قربانا لله، وأن الله أنزل عليه الشريعة، وأباح فيها جميع المطعومات، وحرم فيها قتل النفس بغير حق. ثم إن الناس ارتحلوا شرقا إلى أرض العراق. والعراق شرق مكة فتكون سفينة نوح قد استقرت فى مكة. ولو كان استقرار السفينة فى جبال أراراط ناحية تركيا، أو فى جبل سرنديب ناحية الهند؛ لكان يعبر بالغرب لا بالشرق.

وفى القرآن الكريم: أن نوحا يدعو فيقول: { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً } والمراد ببيته: الكعبة التى بناها. وهى تُسمى بلغة اليهود المذبح. ويدل على أن شريعة نوح ظلت سائدة فى العالم إلى مجيء التوراة: قول الله - تعالى-: { كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ } فلما نزلت التوراة صارت أرض سيناء هى المباركة؛ لأن شريعة موسى منها كانت نورًا وهدى للناس. وبعد مدة من الزمان أنزل الله القرآن فى مكة. والقرآن نسخ التوراة، وأزال أحكامها وأرسل أشعة نوره منها إلى العالم. فعادت إليها البركة. وفى أيام إبراهيم لم تكن بلاد الشام مباركة. فكيف يُقال: إن هجرة إبراهيم كانت إليها، والله يقول: {إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}؟ وفى كتاب القرآن: أن بنى آدم فى العالم من ذرية من حملنا مع نوح، وأنه كان عبدا شكورًا، ويجب على الناس حج البيت ليتذكروا فضل الله على المؤمنين الناجين من الطوفان. والبيت علامة على الفضل وقد أسسه نوح وجدّده إبراهيم. وهو مقدس ومعظم من أيام نوح. وسيظل مقدسا ومعظما إلى يوم القيامة. وفى كتاب الزبور: جميع مناسك الحج وشعائره: تكلم داود عن مكة باسم بكة. فقال: "عابرين فى وادى البكاء" وفى التراجم الأجنبية: "وادى بكة" ويكتبون الباء كابيتال؛ للدلال على أنها اسم عَلَم.

ففى المزمور الرابع والثمانين:

"ما أحل مساكنك يا رب الجنود. تشتاق بل تتوق نفسى إلى ديار الرب. قلبى ولحمى يهتفان بالإله الحى. العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها حيث تضع أفراخها. مذابحك يا رب الجنود ملكى، وإلهى. طوبى للساكنين فى بيتك أبدًا. يسبحونك. سلاه.

طوبى لأناس عزّهم بك. طرق بيتك فى قلوبهم. عابرين فى وادى البكاء يُصيرونه ينبوعا. أيضا ببركات يُغطون مورة. يذهبون من قوة إلى قوة. يُرون قدام الله فى صهيون.

يارب إله الجنود اسمع صلاتى واصغ يا إله يعقوب. سلاه. يا مجننا انظر يا الله، والتفت إلى وجه مسيحك [١]؛ لأن يوما واحدًا فى ديارك خير من ألف. اخترتُ الوقوف على العتبة فى بيت إلهى على السكن فى خيام الأشرار؛ لأن الرب الله شمس ومجنّ. الرب يُعطى رحمة ومجدًا. لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال. يارب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك " [مز ٨٤]

معنى: (لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً):

وإذ قد بينا أن أهل البيت هم بنو إسماعيل الذين آمنوا بمحمد ﷺ ومن لحق بهم من الأمم، ودان بالإسلام. نبين: أن اليهودى الذى ينكر نبوة محمد ﷺ يكون عائشا فى الرجس. أى يكون متنجسا غير طاهر. وبيان ذلك: أن الذى لا يعمل من اليهود بحكم من أحكام التوراة؛ يكون بعدم عمله به نجسا، حتى ولو عمل بسائر الأحكام. ففى سفر اللاويين: " ولا تضاجع ذكرا مضاجعة امرأة. إنه رجس " [لا ١٨:٢٢] وتارك الشريعة العائش حسب عادات الأمم الوثنية هو عائش فى رجس. أى فى نجاسة. ففى سفر التثنية: " متى قرض الرب إلهك من أمامك الأمم، الذين أنت ذاهب إليهم، وورثتهم وسكنت أرضهم؛ فاحترز من أن تُصاد وراءهم، من بعد ما بادوا من أمامك، ومن أن تسأل عن آلهتكم قائلا: كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم؟ فأنا أيضا أفعل هكذا. لا تعمل هكذا للرب إلهك؛ لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب، مما يكرهه. إذ أحرقوا حتى بنيهم وبناتهم بالنار لآلهتهم " [تثنية ١٢:٢٩-٣٢].

واليهودى المنافق أو غير اليهودى. المنافق. نفاقه رجس. ذلك قوله: " الملتوى رجس عند الرب " [أم ٣:٣٢]

وعلى هذا نقول:

الحكم الشرعى الذى هو الإيمان بالنبى الأمى المماثل لموسى إذا ما ظهر. ما هو حكم الراد له؟ هل يكون الراد له نجسا أم غير نجس؟ إنه يكون نجسا غير طاهر.[٢]

ومن قبل ظهوره هل يقدر أحد أن يصف بالرجس من لا يعمل بهذا الحكم؟ إنه لا يقدر؛ لأنه لم يظهر. فهل محمدﷺ على هذا المعنى سبب رجس لليهود الذين كفروا به؟ من

---

[١] المسيح - بلسان بنى إسرائيل - هو محمد رسول الله ﷺ . وعيسى - عليه السلام مسيح . ولكنه ليس هو المسيح المنتظر . وقد جاء فى القرآن الكريم: (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ) فالمسيح: مبتدأ . وهو لقلب . والاسم هو عيسى . وهو لا يُعرف إلا بمجموع الثلاثة فلذلك جعل الثلاثة مبتدأ . وفى القرآن: (الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) فاسمه: مبتدأ . والمسيح عيسى ابن مريم. الثلاثة؛ خبر. [راجع كتابنا المسيّا المنتظر نبى الإسلام - مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة].

[٢] هذا له صلة بالتنجس برماد البقرة.

المؤكد أنه هو الذى تسبب فى رجسهم؛ لأنه لو لم يكن قد ظهر، وردوه؛ لم تكن لهم خطية. أما وقد ظهر ورده؛ فإنهم بالرد يكونون أنجاسا. لأنهم لم يعملوا بحكم واحد من أحكام التوراة، ولأنهم صاروا مشابهين للأمم الوثنية التى عملت لآلهتها " كل رجس لدى الرب. مما يكرهه " وقد تشبه اليهود بالوثنيين فى إحراق بنيهم وبناتهم فى النار. كما فى الزبور المائة والسادس.

وفى القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾

يخبر عن أن السورة من القرآن، تكون سبب رجس لليهود الكافرين به. فإنهم لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون منه أن محمدا رسول الله ـ والنبذ رجس ـ كانوا إذا سمعوا سورة؛ يرفضونها. والرفض يزيدهم رجسا إلى رجسهم.

وفى الزبور يقول محمد ﷺ لله ويحكى كلامه داود بظهر الغيب: " أبعدت عنى معارفى. جعلتنى رجسا لهم " فإن اليهود الذين هم من عشيرته ويعرفونه من كتبهم؛ بعدوا عنه، ولما بعدوا عنه؛ صار لهم سبب رجس. ثم شكى حاله إلى الله وبين أنهم اضطهدوه وحاربوه " شبعت من المصائب نفسى، وحياتى إلى الهاوية دَنَت " ثم صلى لله وقال له: "فلتأت قدامك صلاتى. أمل أذنك إلى صراخى " وهذا هو نص المزمور الثامن والثمانين:

" يارب إله خلاصى وبالنهار والليل صرخت أمامك. فلتأت قدامك صلاتى. أمل أذنك إلى صراخى. لأنه قد شبعت من المصائب نفسى، وحياتى إلى الهاوية دنت. حُسبت مثل المنحدرين إلى الجب. صرت كرجل لا قوة له. بين الأموات فراشى مثل القتلى المضطجعين فى القبر الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا. وضعتنى فى الجب الأسفل فى ظلمات فى أعماق. علىّ استقر غضبك وبكل تياراتك ذلّلتنى. سلاه. أبعدت عنى معارفى. جعلتنى رجسا لهم. أغلق على فما أخرج. عينى ذابت من الذل. دعوتك يارب كل يوم. بسطت إليك يدى .

أفلعلك للأموات تصنع عجائب أم الأخيلة تقوم تمجدك؟ سلاه. هل يحدث فى القبر برحمتك أو بحقك فى الهلاك. هل تُعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان؟ أما أنا فإليك يارب صرخت، وفى الغداة صلاتى تتقدمك. لماذا يارب ترفض نفسى. لماذا تحجب وجهك عنى. أنا مسكين ومسلم الروح منذ صباى. احتملت أهوالك. تحيرت.علىّ

عبر سخطك. أهوالك أهلكتنى. أحاطت بى كالمياه اليوم كله. اكتنفتنى معا. أبعدت عنى محبا وصاحبا. معارفى فى الظلمة " [مزمور ٨٨]

وعلى هذا الذى قدمناه فى معنى (الرجس)؛ يكون الله -تعالى- مريدا لإذهاب الرجس عن بنى إسماعيل وآخرين من الأمم لما يلحقوا بهم. وذلك بتوفيقهم للدخول فى الإسلام، والعمل به. فلماذا يُقال: إن أهل البيت هم من ينتسلون من محمد فقط؟

وعلى هذا الذى قدمناه فى: (أ) معنى (أهل البيت)، (ب) وفى معنى (الرجس) يُفسر -قوله -تعالى- لجميع نساء المسلمين المخاطبين فى شخص (نساء النبى) فإنهن أمهات. وهو (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) بمعنى: ما يتلى فى بيوت عبادة المسلمين لا فى بيوت عبادة اليهود والمسيحيين. وهى ما يتلى من القرآن وتفسيره والنصح والإرشاد والعظات الدينية. والغرض من ذكر البيوت: هو أن بيوتهن امتازت عن بيوت أهل الكتاب بالشريعة الجديدة التى حلت محل الشريعة القديمة. التى كانت تتلى فى بيوت عبادة أهل الكتاب. ونسب البيوت إليهن، كما نسب الكعبة إلى نوح فى قوله: (وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً)

**

[تمت الدراسة]

صُـــراخ البـــرىء

فى بـــوق الحُـــرِّيـــــة

والذبائح التـــلمُـودية

تأليف

حبيب أفندى فارس

مقدمة

لقد أخطأ بعض الذين قالوا إننا قصدنا فى ما كتبناه بصراخ البرىء اضطهاد الأمة الإسرائيلية على إننا نحمد الله لأن عدد هؤلاء المخطئين قليل جدًا أما قصدنا الذى صرحنا ونصرح به فهو خدمة الإنسانية وخدمة الحق والمدافعة عن الأبرياء بالحرية العادلة الممنوحة لكل من رعايا مولانا وسلطاننا الخليفة الأعظم السلطان الحميدى العالى الشأن الجالس على الأريكة العثمانية. رفع الله مجده وعزه إلى أعلى منزلة - أما أولئك الذين وجهوا إلينا لومهم وصوبوا علينا سهاهم فما هم إلا قوم سفهاء يتبعون الجهالة والضلالة وعلى غير هدى سالكون. فلومهم هباء وأسهمهم مخطئة وأننا لواثقون بحماية من يدبر الكون بحكمته ويحمى الضعفاء بقدرته فلا نقف عن تقرير الحقائق ولا عن إشهار المظالم ولا عن طلب العدالة من مراكزها موقنين بأننا نخدم بذلك الهيئة الاجتماعية أجل خدمة غير طالبين مكافأة إلا رضا الصادقين الصالحين العادلين المستقيمى الرأى ولا جزاء إلا ممن تخضع لسلطته أعظم السلاطين واعتقادنا بأننا لسنا على الدنيا إلا بمنزلة المسافرين وأن الله يعرقل سبل الظالمين.

تنبيه

الرجا ممن يرون هذا المؤلف بألا يتعجلون الحكم عليه إلا بعد مطالعته تدقيقًا إذ لا يصح الحكم على شىء قبل فحصه.

(أن الحقيقة فى الرموس)



أن شـئت أن تـروى الحقيقـــة فاتجـه * نحـو الرمـوس تـرى الحقيقـة راقـده

واعلـم بـأن الرمــس أفضـل نقطـة * للعلــم إذ فيــه الغوايـا فاقـده

فاقصـده أن تبـغ البعـاد عـن الخطـا * فـترى العلـوم إلـى الحقـائق سـاجده

مقدمة

إننا نصرح علانية بأن القصد الوحيد من إظهار هذا الكتاب إنما التوصل لإيضاح الحقائق ليس أمام أعين أمة أو حكومة فقط بل أمام أعين الجميع دون النظر لاختلاف الجنسية والمذاهب ولا لاختلاف الطبقات والمرأتب فلم يكن قصدنا والحالة هذه التفريق بل الإتحاد بل التوصل لموافقة الآراء وجمع الكلمة. فيا بنى إسرائيل تيقنوا بأننا أشد الناس حرصاً على مباديكم الصحيحة ونود لأن نراكم شعبًا زاهيًا زاهرًا تجمعكم مع باقى الشعوب روح التمدن الحقيقى وروح البشرية ومحبة الإنسانية وأن تشمئذ نفوسكم من كل أمر تكرهون أن يحصل لكم من الغير نظيره وتنفر قلوبكم من كل ما يشين بشرف إنسانٍ وأمة وشعبٍ.

يا بنى إسرائيل للزمان فصول وأوقات وللأعصر عوائد وأفكار فما كان منذ القديم ربما لا يصلح أن يكون كله أو بعضه فى عصرنا الحالى فأنتم وكلنا متيقنون بأننا لفى جيل نجاح يتباهى على الحقب الخوالى وأننا لفى عصر لا يصح أن نمثله بالأعصر السالفة فكل أمة فيه تطلب لنفسها التقدم والفلاح.

فهذه هى النقطة التى نقصد الوصول إليها ليس إلا ونسأله جل جلاله أن ينير كل بصيرة وبصر لنكون جميعنا نحن بنى الإنسان سالكين على الصراط المستقيم ويرتع قاطنوا البلاد العثمانية بظل ظليل مولى الآنام سلطاننا الأعظم وخاقاننا الأفخم عبد الحميد خان الذى ملأ الخافقين عدله واذن بحرية الأديان وعن الحقيقة بالإفصاح والتبيان لكى إذا وجد بين إحدى الطوائف والأمم القاطنين فى ممالكه العثمانية شر أمر باستئصاله أو شوك أمر بإحراقه. ففى هذا العصر الحميدى لابد للكل من السلوك فى النور فالويل للسالكين فى الظلمة فإنهم منها ينتقلون إلى ظلال الموت والويل للذين يبذلون المال فى سبيل الإضرار بعبيد الله فالويل لهم فى الحياة الدنيا وفى يوم الحشران الحساب. ولقايل ما القصد من إظهار إصلاح لا يرجى به الإصلاح وقد مرت الألوف من السنين وما كان فهو كائن وسيكون ... لعمرى لقد مرت أيضا ألوف من السنين كان يعتقد الناس فيها الأرض ثابتة والشمس تدور ما حولها فقد جاء العصر الذى به أصلح هذا الخطأ العام فالخطأ الذى نحن نبحث عنه الآن لم يكن عموميًا فالوصول إذا لإصلاحه من الأمور الغير المستصعبة لا سيما إذا ساعد ذوو السلطة الدينية والمدنية فى أية بقعة كانت من البسيطة والله الناظر لعمق القلوب والعارف فيما فى الصدور يعضد العدل والحق ويحمى البرىء ومن يدافعون عن حقوقه فإننا على كل حال لله وإليه راجعون.

صراخ البرىء

فى

بوق الحرية

لما كانت الحرية وكشف الحجاب عن الحقائق المخفية والأخذ بناصر المظلومين لا يروق أمرها بأعين الظالمين وهى فراش أشواك لضمائر الخبيثين فلابد من أن لمحتنا هذه التى سنأتى بذكرها تجلب علينا سخط الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة أما نحن فمن سخطهم لسنا بخائفين ولا عن إشهار الحقائق وإعلانها بمتوقفين.

فالحرية محروسة من أسهم الغادرين ولا تقيد بقيود المخاتلين فلكى تطمأن من قبل أفكار الذين للمحروسة يبتغون شرًا ومن يقصدون استرحام الأوامر بحجزها عن الدخول إلى الممالك المحروسة توصلاً لإخفاء فظائعهم ومظالمهم إننا لهم الآن من الناصحين فلا يحملوا أنفسهم العنا ولا يظهروا بما يطلبونه أنهم خافوا إشهار الحق وكشف الحجاب فإن المحروسة مباديها الحرة معلومة بالكفاية لدى أخطى فرد من أفرادها أو بعض منهم فما الأمة بمطالبة بخطأ الأفراد وعندنا أن توجيه الدعوى على الجانى مخصوصًا والتماس الفحص والتدقيق من عدالة الحكومة السنية لبغية التوصل إلى الحقيقة وقصاص من يستحق القصاص أمر لا شك بأن حكومة دمشق الشام تعيره أذنا صاغية فإننا طالما سمعنا عن عدالة وإليها دولتلو مصطفى عاصم باشا ما يؤيد مبادينا وعلى الخصوص أن دولته والكل يعلمون ما لمليكنا عبد الحميد الخليفة الأعظم من السهر والتيقظ على أحوال الرعايا وأن عينه ساهرة النهار والليل على إجراء العدل ضمن ممالكه المحروسة بدون محاباة ولا أخذ بالوجوه فإن ثبت سفك دم الغلام بفعل فاعل فعلى الفاعل يلقى القصاص وإن كان موت الغلام بالقضاء والقدر فتظهر براءة المتهم فعلى كلا الحالين لابد من إخضاع الدعوى للمحاكم القانونية لترى بها ولا يصح أن تدفن فى زوايا النسيان وتبقى فى التاريخ نقطة سوداء. ولقد وردت إلينا رسالة فى تفصيل الواقعة فأدرجناها بالحرف الواحد وسنعود إلى الموضوع إلى أن

تنجلى الحقيقة من تحت الغمام والله شاهد علينا بأننا بما كتبناه وسنكتبه لا بغية لنا سوى خدمة الحق والإنسانية وتنبيه الأفكار إلى ما فيه روح العدل أساس العمران.

دمشق الشام

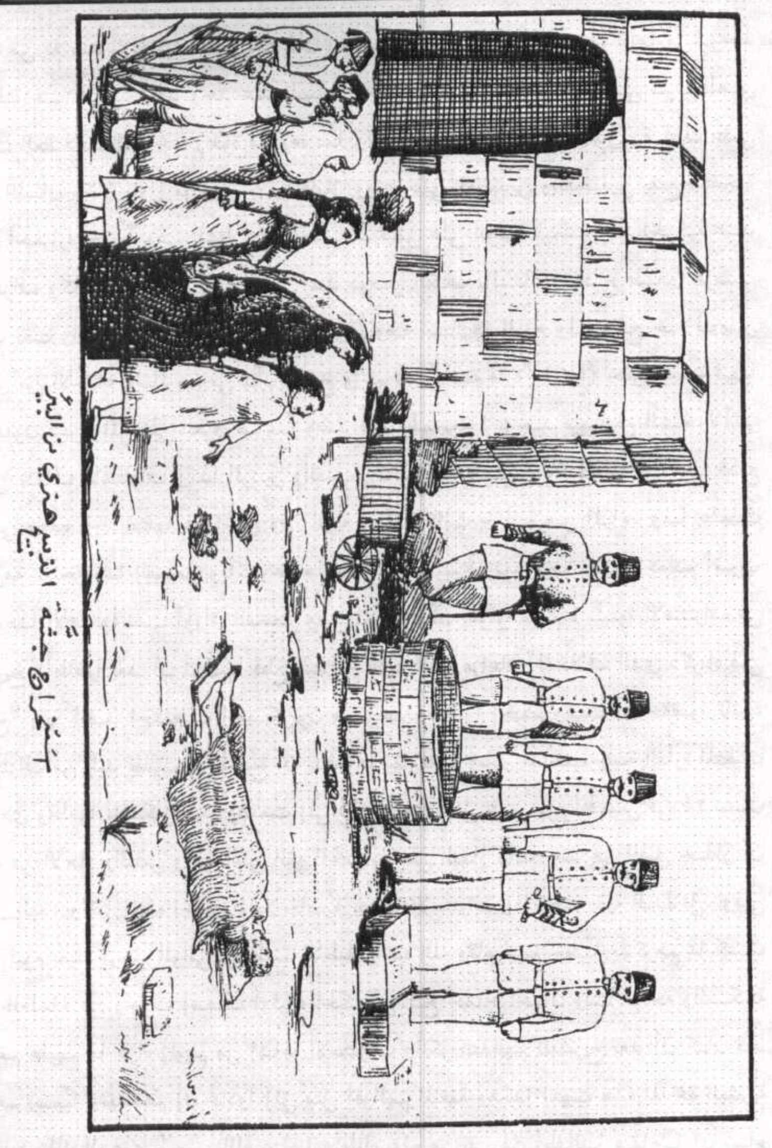
فى ٣ يونيو

علم الناس أجمع ما جرى فى هذه الأيام من قتل (غلام) على يد بعض اليهود وقد كتبت بعض الجرائد ولا سيما الأوربية منها طرفا من هذه الواقعة غير أننى ألقيت فى بعضها مما انتهى إلينا نقصًا وإيجازا لا يكاد يكشف الحجاب عن وجه الحقيقة وفى البعض الآخر مباينة وخلافًا ولما كنت ممن عنده علم شاف بالواقعة وإطلاع عليها مستقصًا أحببت أن أرفع الإشكال عما أغمض منها وأعرض القصة على الوجه الذى صدرت عليه مع النزاهة عن الهوى والتحرى عن الحقيقة ليحكم الناس بيننا وبين البعض من هذه الأمة المنكودة الحظ كما وصفها بذلك أحد أبنائها اليهودى التلمودى سليم كوهين فى أحد أعداد لسان الحال وسأخص بالذكر من هذه الحادثة ما كان أعلق بالجوهر وأمس أهمية وأدع الإطالة إلى فرصة أخرى أن شاء الله.

فقد نهار الإثنين فى سابع نيسان الساعة التاسعة ونصف بعد الظهر هنرى عبد النور أحد أولاد الطائفة النصرانية من الأرمن الكاثوليك فى دمشق وله من العمر ستة سنوات وفى الحال أرسل أهله فى التفتيش عليه فى بيوت الأقارب والمعارف وبعثوا من نشده فى جميع أحياء المدينة سواد ليلتهم فلم يقفوا له على أثر وفى الغداة توجهت أم الغلام ووالدتها إلى منزل وإلى الولاية مصطفى عاصم باشا واتهمت عنده بعض اليهود فأنكروا أن يكونوا فعلوا ذلك وأمر معاونه فسار إلى رئيس الشحنة وتقدم إليه فى التفتيش على الغلام المفقود وبعد مضى أحد عشر يوما زعموا أنهم قضوها فى البحث والتنقيب أمر رئيس الشحنة معاونه أن يفتش فى منزل الفقيد (كذا) ففعل وأنزل إلى بئر كان هناك من بحث فيه وفى بئر أحد المنازل المجاورة ثم انتقل فجأة وتخطى عدة بيوت إلى بئر مجهول فى مأوى عجلات إلى جانب الثكنة الشأهانية عند فوهة حارة اليهود ولما دخلوه تقدم أحد الشحنة إلى فم البئر وكان مغطى بلوح خشب عليه حجارة ضخمة لا يقوى الرجل الواحد على حملها واستروح رائحته وقال يغلب على ظنى أن الغلام فى هذا البئر ثم جاءوا بمن نزل إليه ولما وصل إلى

نصفه صرخ فاطلعوه واستخبروه فقال فى البئر شيء لا ادرى أغلام هو أم "هرة" فطيروا الخبر بذلك إلى طيار باشا وفوزى باشا رئيس الشحنة ومعاون المدعى العمومى وكانوا فى انتظارهم رجما بالغيب واخذا بالوحى فحضروا وأمروا بإخراج "تلك الهرة المنتنة" من البئر وأرسلوا فأخبروا والدة الفقيد وسألوها أولاً وثانيا هل تعلم أن هذا الغلام غلامها ثم أحضروا معاون طبيب البلدة وقالوا له أن يدقق ليعلم أن كان الغلام وجد فى البئر مختنقًا على أثر سقوطه فيه أم لا. قالوا والدليل على ذلك أنه كان إلى جانب البئر عجلة صغيرة ففى غالب الظن أنه أراد ركوبها فسقط عنها فى البئر (ولو كان مغطى كما ذكرنا) ولما استفاض الخبر بوجدان الولد اجتمع خمسون رجلاً من اليهود وذهبوا ليبشروا الوالى ثم عادوا وأمروا فى المساء أن تزين منازلهم وألقى القبض على أصحاب مأوى العجلات فأقروا بعد الاستنطاق أنه حضر إليهم ليلتهم البارحة الساعة الثامنة نفر من اليهود معهم كيس زعموا أن فيه زادًا لهم وطلبوا إليهم عجلتين إلى دمر (منتزه بعيد عن المدينة) قالوا ولما ذهبنا لإعداد العجلتين دخل بعضهم إلى حيث كان البئر ثم خرجوا ورجعوا من حيث اتوا ادعاء إننا تأخرنا فى الإعداد. فلما رأى أولياء الحكم أن فى هذا الإقرار دليلاً كافيًا لتأثيم بعض اليهود تهددوهم إن لم ينكروا الأمر خيفة القلق لحينما تتصل الحكومة لمعرفة الصحيح تأكيدا ففعلوا خشية ورهبة.

وكان أهل الفقيد قد طلبوا أن تستدعى الأطباء إلى تشريح الجثة فحضر منهم من نظر فيها وأمر بحفظها فى المستشفى العسكرى تحت الختم وأجلت ساعة التشريح إلى الغد حيث قرئ على الأطباء أسماء من عين منهم للتشريح وهم نحو العشرين طبيبًا بين عسكريين وملكيين وانصرف الباقون ولما شرعوا فى فحص الثياب وجدوا أن الحذاء اليمين كان فى الرجل اليسرى وبالعكس والرداء ناقصًا قبت العنق والأكمام والسروال مقلوبًا أمامه إلى الوراء وبالعكس وكذا الصدرية والتكة من فتيل المصباح وقد كانت من نسيج مطرز ورباط الجوربين أحدهما تحت الركبة والآخر متدليًا إلى أسفل وكلاهما من نسيج أسود حال كونهما كانا من الأربطة ذوات الأبزيم وهذه الفروقات ظهرت أيضا عند مقابلة حلة الذبيح بحلة



استخراج جثة الذبيح هنري من البئر

أمثاله من تلامذة الراهبات العازريات لأن الغلام كان من أولاد مدرستهن. وأما ما لوحظ فى الجثة عند التشريح فقد وجد عند الصدغ وجانب الرأس جلف ممتد إلى قرب العين وكانت العضلات التى تحته رخوة مملوءة دمًا وكان على الأسنان تراب وطين وكذلك على طرف اللسان وكان بارزًا من بين الثنايا قليلاً ورؤى على العضدين والفخذين بقع منتفخة محمرة احمرارًا خفيفًا وهى ناشئة عن العصب لما قبض على الولد ليمنع من الحركة عند الاستنزاف وكان على طرف اليد اليمنى عند موصل الكف بالساعد جرح صغير عرضى بجانب ثقب واصل إلى العرق المعروف بالأسيلم ومنه استنزف الدم ولما وقع خلاف بين يهودى من الأطباء وسائرهم فى شأن الجرح وزعم أنه "نخسة فارة" (كذا) حقن بمحقنة فيها ماء ملون فسرى الماء فى العرق صاعدًا وعند فتح الجمجمة لم يوجد فيها دم البتة ولأثر يقضى بخلاف الاستنزاف وكذا الرئتين والقلب وكانت المعدة ملآنة بأكل مختلف معه قطع قضامى وهذه وجد مثلها فى الحلق وفى الرئة أيضا وكانت خالية من الماء. ولما علمت الحكومة بنتيجة هذا الفحص وتأكد عندها أن الولد مستنزف دمه كما كانت تعلم أمرت بكتم هذا الأمر وأخفت أوراق الفحص وقيل للأطباء أن يقولوا أنهم لم يثبتوا الاستنزاف فى التشريح وأطلقوا بعد أن أوجبوا قطع اليد وحفظها للغد مراعاة "للخلاف الذى ذكرناه فى الجرح" وفى الغد اجتمعت العسكريون وحدهم وفتحوا الختم وغب أن تحققوا ثانية الاستنزاف من اليد طلبت أم الذبيح أن يدفعوها لها فأبوا وبادر صاحب نخسة الفأرة المتطبب اليهودى وقطعها بالسكين إربا وضمت إلى الجثة ودفن الكل غلس يوم الخميس فى ٢٤ نيسان خفية من الأهل والناس وأقيم على القبر الحفر ستة فى النهار واثنا عشر فى الليل حذار أن تسرق اليد. وكفى بهذه الحفارة دليلاً قاضيًا بصحة الاستنزاف إذا وهت بقية الدلائل. وفى هذا اليوم بعينه أرسل الوالى فى طلب الأطباء أيده الله وقام فيهم خطيبًا يذكرهم بما كتب على العلماء من وجوب إسعاف أولياء الحكم فى كبح جماح الجهال وبث الراحة والسكينة ثم نقم عليهم ما عزاه إليهم من إشاعة الاستنزاف وأنكر انتدابهم للتشريح بعد أن كان قد دعاهم رسميًا وتهددهم إن عادوا إلى مثل أقوالهم الملفقة وهكذا انتهت هذه المذبحة البشرية وفصلت تلك الدعوى أحسن الله عزاءنا وأطال بقاء من بقى من أطفالنا وبقاءنا أن شاء الله وشاء شعبه الكريم "المعترف كما قال كوهين بالذات الإلهية وبلا تقتل إحدى الوصايا العشر المنزلة على موسى الكليم".

بقى ما يفتريه علينا اليوم بعض الناس من إننا أعداء الداء للدولة مجاهرون بالعصيان فحسبنا بهذه الحادثة مع ما لحقنا منها من التحامل وهضم الحقوق وإغضائنا عليها رغما عما نالنا بسببها من الذلة والهوان دليلاً على صدق عبوديتنا للدولة وإخلاص طاعتنا لها ولقد علم جميع من خالطنا من الأمم وتصفح أخلاقنا من الأجانب ما انطوينا عليه معاشر الدمشقيين من صفاء النية وسلامة الطوية ولين المقاد وسهولة الخليقة إلى حد يلحقنا بمن دنت عزيمتهم وقصرت همتهم ويسلخ عنا الرجولية ليحشدنا فى غمار الصبيان والنساء ولو لم نكن كذلك لما صبرنا على ما صبرنا عليه فى هذه الأيام ونحن نرى رؤساءنا تمتهن وشبابنا تسجن لمجرد الحديث فقط والمرأة الثاكلة منا تهدد بالحبوس وترمى بالجنون وتزداد فوق حملها حملاً وأعداؤنا رأتعون فى مسارح الأمنية ينظرون إلينا نظر الساخر المستهزئ ويدلون بين ظهرانينا برفيع مكانتهم عند الوالى وما نالوه اليوم لديه من الحظوة. ثم كيف يعزى إلينا أنا أعداء الدولة ونحن لم نأت منكرا ولا شققنا عصا ولا استصرخنا بدولة أجنبية كما فعل أعداؤنا حينما رمتهم الأدلة البينة والحجج الدامغة بالجناية فأقبلوا يستغيثون ويزأطون أنهم يخشون اعتداءنا عليهم وبادروا بطلب الأمنية وأرسلوا فى ذلك بالرسائل البرقية إلى كل كبش لهم فى كل قطر وصقع حتى ورد الأمر العالى بتأمينهم وشحنت أحياؤنا بالجنود والشحنة ووضعت علينا العيون والأرصاد كأنه لم يكف أولياؤنا الكرام إننا طلبنا الأعداء فلم يعدونا وسالنا أقامة الدعوى فطردونا واسترحمناهم فى دفع أوراق التشريح إلينا فدفعونا بالراح وعزوا إلينا اقتراف الجناح وأخذوا يرموننا بالتمرد والهيجان ويتقولون علينا الزور والبهتان

وأما ما ادعاه اليهودى كوهين من تحاملنا على أمته المنكودة الحظ فجوابه عندنا قول ابن الرومى.

تشكى المحب وتشكو وهى ظالمه * كالقوس تعمى الرمايا وهى مرنان

وأما اللجنة التى طلب إنشاءها للبحث فى كتاب تلموده فسوف أكفيه أن شاء الله وأكفيها مؤونة البحث وأزف إليه وإلى أشياخه شاؤا أم أبوا عروسا لا يجوز أن يمسها غير أيديهم ويديه ولا يحق أن تتبرج إلا لديهم ولديه وبالله المستعان.

فمن يظن بأنه مع تقدم العالم تقدما انذهلت به العقول وارتقاء الأمم إلى أعلى درجة من التمدن والعمران أن يقوم الوهم مقام الحقيقة أو أن الوسائط الدنيئة تسطو على عقول البشر وعلى الخصوص على الذين بيدهم السلطة المؤتمنين على أرواح عبيد الله.

ما زالت الأخبار ترد علينا من دمشق الشام بما يزيد أولى الفهم تعجبا وأولى العدل اشمئزازا وأولى الحمية حماسة ومحبي البشرية غيرة والكل يأسفون لبلوغهم بأنه ما زال الذهب والفضة لجاما كابحا للعدل وللحرية حتى صار يصح القول بأن المال أساس الملك بدلا من أن يكون العدل أساسا له فهذه من جملة الأمور التى تجعل العاقل أن يكره الحياة إذ ما فائدة الحياة أن كانت بأيدى المتمولين والمتمولون سائرون إتباعا لغيهم وغايتهم لا يقيد أعمالهم العقل ولا يردعهم عن مطامعهم العدل.

فلو كان العدل قد سلم من كل قيد مادى أهكذا كان جرى بحادثة الدم المسفوك فى دمشق الشام ظلما وعدوانا .. أهكذا كانت دعوى نظير هذه هى بأعين التمدن الحالى على جانب عظيم من الأهمية تدفن فى زوايا النسيان ولا تجرى المحاكمة بها علانية على رءوس الأشهاد فإننا نسأل الآن حضرة دولتلو عاصم باشا وإلى ولاية الشام الذى ما زلنا حتى هذه الساعة نعتقد بعدله الباطنى والمدعى العمومى نائب جلالة السلطان فى الحقوق العمومية وغيرهم من أولى الحل والعقد سؤالا نلقيه فى محكمة الضمير والإنسانية فى محكمة العدل والحرية فى محكمة تمدن الجيل التاسع عشر والعصر الحميدى إيه هى النتيجة التى اتصلتم إليها بعد الفحص من ولد صغير وجد فاقد الحياة مطروحا فى بئر وقد نظرت أعينكم إلى هيكل الروح التى أدخلها الله الخالق فيه فنزعتها منه الأيدى الشريرة ظلما وعدوانا بوسائط بربرية أظلمت لها شمس الإنسانية واكفهر لها وجه الشعائر البشرية وقد نظرت أطباؤكم فى الجثة علامات الاستنزاف فلم يبق سوى معرفة اليد البربرية ومعاقبة الجانى ورفع التهمة عن غيره. لماذا وقفتم سريان هذه الدعوى ولماذا تغاضيتم عن إتباع الفحص والتدقيق على جناية نسبت لأمة لا يتصور العقل البشرى أن يتفق عقلاؤها وعلماؤها على اتخاذ القتل (المنهى عنه فى الوصايا العشر المنزلة من الله) قاعدة لديانتهم وأساس لها

لأجل المحاماة عن هذه الأمة اليهودية فعلتم ما فعلتم وأغمضتم الطرف عن هذه الدعوى فإن كان هذا هو السبب فالأمة التى وددتم المحاماة عنا لا ترضى بذلك مطلقا إذ إن بهذه المحاماة إثبات أمر عليها من الأمور المنكرة لدى حكمائها وعقلائها لأنها من

الأمور العظيمة التى تخجل عقول الجيل التاسع عشر من تصورها والسنة الجيل التاسع عشر من النطق بها وأقلام الجيل التاسع عشر من كتابتها .

ألإنكم اعتمدتم على كلام أم الولد المسفوك دمه إذ نسبتم لها القول بأنها لا تتمكن "نظرا لحالتها" من قيام دعواها الشخصية وعلى ذلك ألقيتم الدعوى فى قبر الخفاء.

فإن كان الأمر كذلك أترضى منكم عدالة مولانا الخليفة الأعظم الواضعة تجاه أعينكم نظامات جلية تصرح بكون المواد الجناية لمن الحقوق العمومية فعلى الحكومة إجلاء الحقيقة وعقاب الجانى أقام المدعى الشخصى دعواه أو لم يقمها.

إذًا لماذا الوقوف عن إتباع فحص الدعوى وإعطاها مجراها القانونى لقفل أبواب التشكى أليس هنا فرصة لكم لأجلاء الحقائق وتحويل التهمة عن الأمة اليهودية التى هى نفسها تطلب رفع هذا العار عن عاتقها فتخدمونها بذلك خدمة حقيقة لا خدمة وهمية وتخدمون معها شعائر العدل والإنسانية فإذا فرض الأمر وكانت مبادئ الأجيال القديمة تتساهل بالسماح بالذبائح البشرية لم تزل فى عقول بعض أفراد الأمة المستحوذة على عقولهم الجهالة وثبت ذلك بعد التحقيقات العلنية فالتمدن الذى منع هذه الذبائح والتمدن الذى منع إهراق الدماء والاسترقاق والتمدن الذى هو منع شن الغارأت هو يمنع أيضا تلك الإعتقادات الفاسدة المبنية على الأوهام الباطلة ولعمرى من يقاوم سيف حرية الجيل التاسع عشر ومن يقاوم عدل سلاطينه الذين لا يغمضون الطرف عن استعمال جميع الطرق لتحقيق المصائب عن عاتق البشرية.

وحسبنا شاهد ما تفعله ملوك الغرب وما تنفقه من الأموال فى سبيل تغيير الهمجية إلى التمدن الحقيقى ناشرة لواء العدل والحرية فى كل بقعة من البسيطة. وحسبنا شاهدا أيضا أعمال سلطاننا الأعظم عبد الحميد خان فيما يبذله من ماله الخاص لإعانة البائسين فكيف تغمض أعينه عن الذين ليس فقط لا يهتمون بمساعدة الأرامل وصيانة دم الأيتام و الأبرياء بل يغمضون الطرف عن إظهار سافك دم البرىء ويساعدون على إخماد و إطفاء نار الحقيقة فكيف يرقدون على فرشهم الحريرية وسيوف العدالة مسلولة فوق رؤسهم وعين الله محدقة بهم.

ذكرت رسالة دمشق الأخيرة بتاريخ ٩ يونيو.

أولاً: تقرر منع الدعوى استنادا على كون الأم الثأكلة سئلت إذا كانت تود رفع دعوى خصوصية وأنها أبت (والحال إنه عند السؤال منها فى وقتها أجابت بأن انحطاط قواها والمرض الذى استولى عليها من شدة مصيبتها لا يسمحان لها بالجواب القطعى وأنه عند شفاها ترى بالإيجاب وأنها تاركة الأمر لعدالة الحكومة.

ثانياً: أن المال المدفوع لصاحب الأصل (كنا نود أن تكون الأذن بليت بالصمم ولا تسمع هذا) على سبيل الرشوة هو ألف ليرة ما خلا ما دُفع لغيره ممن يقدمون ويؤخرون فى الأمر وكان الحامل للمال اثنان هما (ى.ع) و (هـ.ن) الأسماء محفوظة.

وقال البعض أنهم مستعدون لبذل كل ما تصل إليه أيديهم من المال اخفاء للحادثة وستراً للكشف ولو كلفهم ذلك صفر اليد.. فمن ينظر لحالة هذه الأم الحزينة ولا يقول:

أفأى عين لا ترف ولا تدمع * أم أى قلب لا يرق ويفجع
لمصائب الدهر الخؤون وبأهله * فكأنه سهم ونحن المصرع

ثالثًا: أن دولتلو مصطفى عاصم باشا كان واليًا على بغداد فمنع يوما ما اليهود من دفن أحد موتاهم فى مقبرة كانت قريبة من بيوت السكنى محافظة على الصحة العمومية فهاجوا وماجوا وأخذوا يكتبون ضده فصار فصله من مركزه فخاف أن يجرى به فى دمشق الشام ما جرى له فى بغداد ولما كانت الرشوة تعمى البصيرة فقد زلت به القدم.

رابعًا : لقد قال بعض الإسرائيليين وقولهم حق أن العدل لا يجعلهم أن يكونوا مسئولين عما يفعله غيرهم من أبناء ملتهم الذين ما زال برقع الجهل على أعينه والذين لعماوة قلوبهم يظنون أن استنزاف دم المسيحى فرض من فروض الدين وذبيحة مقبولة لديه تعالى إنما المسئولة بهذا الأمر الفظيع تعود على نفس الفاعل.

فإن كان الأمر والحالة هذه كما ذكر أليس الأجدر بالحكومة المحلية أن ترفع من عقلها التصور بأنها بفحص القضية تمس أمة وتوقعها تحت طائلة الغضب وتأخذعلى عاتقها التدقيق بالأمر وأخذ المعلومات سرًا وعلانية للوصول إلى معرفة الفاعل وإجراء تأديبه على

رؤوس الأشهاد ومخابرة رؤساء الملة الإسرائيلية الذين لابد أن يروا كما يرى كل عاقل أشرقت على ذهنه شمس التمدن أن فى استنزاف دم الإنسان عملاً وحشيًا وفعلاً بربريًا لا يمكن أن ينطبق على قوانين الدين الذى إذا وجدت فيه هذه المبادئ لا يصلح أن يكون دينا بل يجب اعتباره بمنزلة شيعة مضرة بالهيئة المتمدنة وبالحقوق العمومية ومن الواجب على ذمة الحكومة وعلى كل فرد من أفراد الأمة السعى لاستئصالها أو نزع ما كان فاسدًا فيها - قال المكاتب.

أما مقالتكم فى الذبائح البشرية فقد كان لها وقع عظيم وقد شاهدنا من كان يذرف الدمع عند قراءتها أنفة وحمية بيد أن نطاق القوى ضاق عن توفية كل الطلبات نظرا لانعدام النسخ منها هنا سوى التى بين أيدينا فالرجاء أن تكرموا علينا بما تستطيعون إرساله منها وسنفيدكم عما يتوقع بالأمر ولنا الثقة بأن العدالة تأخذ مجراها ولا يوقف سريانها مال ولا أية واسطة كانت وأن كل من فى قلبه محبة الحق يدافع عنه ونحن لا نقصد إلا أمرا واحدا هو إجلاء الحقيقة والتوصل لمعرفة الشقى البريرى الظالم المفترس الأرواح ورفع العار عمن لم يتداخلوا بالأمر وعمن ينهون عن ارتكاب مثل هذه الفظائع التى لا ترضى بها حكومة ولا أمة متمدنة والسلام (اهـ).

ما رأيناه من إقدام العموم على قراءة صراخ البرىء فى بوق الحرية وحبهم الإطلاع على حقائق الأمور وما بلغنا عن لسان عقلاء الإسرائيليين أيضا من استحسانهم ما أتينا بذكره ورغبتهم فى أنجلاء الحقيقة وإشهار العدالة كيلا يبقى فى الزوايا خبايا وتأكيدنا فعلا صحة ما تقدم من تراكم الطلبات على أعداد المحروسة المتضمنة تفصيل الحادثة المنوه عنها كل ذلك يؤكد لنا بأن حكومة دمشق الشام ستباشر من تلقاء نفسها وقبل أن ترد عليها الأوامر من مصدر العدل مركز السلطنة العظمى إلى مراجعة الفحص والتدقيق بالدعوى المار ذكرها وأن تشهر المحاكمة التى تجرى بها علنًا لتعرف عند الجميع تفصيلاتها كما عرفت عندهم ظروف الواقعة وتكون إجراءات الحكومة بهذا الخصوص باعثة على رفع ألوية الثناء عليها لسلوكها على خطة العدل منزهة عن كل غاية وفقًا لمشرب مولانا أمير المؤمنين.

ونحن نعلم بأن حضرة دولتلو مصطفى عاصم باشا وحضرة المدعى العمومى وأعضاء حكومة الشام المحلية يهمهم جدًا بألا تكون هذه الحادثة نقطة سوداء فى أعمالهم تخلد فى

الأذهان ومن بعد الأذهان تبقى فى بطون الأوراق فتتداولها الأيدى على طول الزمان وقد اعتمدنا على مداومة إطلاع قرائنا الكرام على كل ما يجد بهذه الحادثة. وأن نجعل لها مجموعة على حدة (باللغة العربية واللغة الفرنساوية) تتضمن كلما جرى ويجرى بها على إننا لا نتوقف عن إشهار الأسماء والألقاب كما هى وإيضاح الحقائق بقلم الحرية وإعطاء كل حقه بما يستحقه عمله خيرا كان أو شرا ويودنا أن تتصل دعوى قتل هذا الولد البرىء (الذى ما زال صوته يصرخ نحو العدالة طالبا الانتقام ممن قدموه ذبيحة على هياكل الترفض والجهالة والقساوة البربرية) إلى نهاية منطبقة على روح العدالة وأن تضمحل الأوهام بما ينسب للأمة الإسرائيلية من الأعمال المنكرة التى لا عقلائها ولا علماؤها ولا كل من كان ذا عقل من باقى الأمم يود أن تبقى منسوبة إليها وأن نعود لمبادينا بما كنا نعتقده بدولتلو مصطفى عاصم باشا وإلى ولاية الشام من النزاهة وعفة النفس والعدالة وإقدامه على إجراء العدل إتباعا لأوامر سلطاننا عبد الحميد لا زالت أنوار عدالته شاملة كافة رعاياه وقاطنى ممالكه المحروسة.

وأننا إيجابا لطلب الكثيرين نضع هنا رثا الأم الحزينة لولدها الذبيح ومقالتنا الأولى فى الذبائح البشرية.

رثاء الذبيح

ولداه يا ولداه بعدك بلوتى	ما العيش غير تحسر وتندم
أخذ اليهود وحيد أحشائى وقد	سفكوا دماه بجنح ليل مظلم
ولداه لما صرت تصرخ باكيا	أهل القلوب عليك لم تتألم
ولداه لما صحت ويلى قائلا	أماه كيف ندا البرىء لم يعلم
يا ظالمون أما سمعتم قوله	أماه لولا الظلم لم أتظلم
يا ظالمون أما نظرتم خوفه	وسقوط ادمعه بلون العندم
إن الصخور إذا رأت وجه البرىء	يتحول الصخر الأصم إلى فم
كى يندب المذبوح ندب تحسر	ويقول يا ربى لما لم تنقم
ولداه كأس الموت ذقت معذبا	فلما بعدل حميدنا لم تحتم
أماه ما من سامع لتضرعى	وخذوا يدى بآلة لم ترحم
فصرخت لما رأيت دمى سايلا	ولتى القساوة علة لم أعلم

يـا أيهـا الحاخـام رجعنـى إلـى أمـى وأهلـى لـيس يـنفعكم دمـى
لم يسمع القاسـى الصراخ وإنمـا زاد العـذاب بضـرب سـوط مـؤلم
وتقـدموا مثـل الـذئاب إلـى خـروف مـنهم قـد ذاق طعـم العلقـم
ناديـت يـا ربـى أزل عنـى عذابـهم فمـن قـولى لقـد سـدوا فمـى
سـأموت يـا ولـدى عليـك كآبـة فاللـه يعلـم حسـرتى وتـألمى
هنـرى حبيبـى أيـن أنـت لعلنـى غليلـى أطفـى سـاعة بـتكلم
قـد غبـت يـا ولـداه عـن عينـى فمـا لـى بالحيـاة ومـن يزيـل تظلمـى
هـل ألقـى الحـزن الـذى ألقـى علـى رأسـى علـى جبـل ولم يـتحطم
لأذاقـت الحيـات مثـل مصيبتـى كـلا ولا فهـم ومـا لـم يفـهم

الذبائح البشرية

من يطالع التواريخ وما كان فى الأعصر السالفة من تقديم الـذبائح البشـرية ويـرى بأن الوالدين أنفسهما كانا ينقادان بقوة الاعتقاد إلى أن يقدما بذاتهما أولادهما للذبح أو للحريق ضمن أصنام مصنوعة من النحاس أو الحديد تحمى فى النار فيدفعون إليها الأطفال لتأكلهم الأصنام ولأجل عدم سماع صراخهم يـدقون بـالطبول والزمـور والآلات الموسـيقية ترتجف فرائصه ويحكم بأن هذه الأمور إنما هى أمور فظيعة لا يمكن حدوثها بوقت تلمـع فيـه أشعة التمدن ولا بوقت فيه تقبض الحكومة العادلة على زمام الشعوب. ولعمرى أن التغاضـى عن سفك دم البرىء بأية طريقة كانت وآية غاية كانت إنمـا هـو إثـم فظيـع ويـأعين مبـادئ العدل والحق والحرية عار وذل وهوان. فأى قلب صخرى لا يلين وأى رأى صلب لا يميل إذا تأمل البرىء متقلبا على فـراش الألم أو سـمعه يـأن ويصـرخ وينـادى أبـا وأمـا أو شـقيقة ويتوسل لله وللحكومة التى هى نائبة عن الله فى صـيانة دمـاء عبـاده وأرواحهـم وأمـوالهم وعرضهم وناموسهم وشرفهم من يسمع أو من يبصر أو من يتصور أو من يعلم أو من يدرك فظائع كالتى أشرنا إليها ولا تحركه شعائر النخوة ولا تأخـذه شـعائر المـروة للمدافعـة عـن البرىء أدبيا وماديا وعندنا أن يهلك الإنسـان بالعـدل ولا يحيـى بـالظلم وأن تهلـك الأمـة

بالعدل ولا تسود بالظلم وأن تباد الحكومة بالعدل ولا تسود بالظلم أفحصوا أفحصوا يامن سلم الله لكم خلائقه وقفوا ولا تناموا الليل ولا تغمضوا الأجفان واكتشفوا على أسرار المظالم وجردوا سيف النقمة وحراب العدل أطعنوا بها ولا تخافوا لأن يد العلى القدير معكم فى كل حين ولا سلطة إلا منه تعالى ولا تراعوا فى المنام خليلا ولا تخافوا كشف الحجاب بل انعكفوا على إزالة أسباب الدمار المادى والأدبى معا ضمن المالك. نراكم يا سلاطين الغرب تسعون فى الاستعمار وتسعون فى نجاة الرقيق تسعون فى نشر ألوية الحرية تسعون وراء المجد وتغمضون طرفكم عما يقع فى بلادكم من الأمور التى تقشعر لها الأبدان ولا تبحثون عن سبب الفساد ولا عن المبادئ التى تسرى كالسل فى هيئة الإنسانية.

لنسفك دم الأبرياء ونكفن أجسادهم بأكفان الخيانة والخفاء ونرد فوقها التراب أين الحرية الصحيحة أين المبادئ القويمة التى يجب على خليقة الله إتباعها. نحن فى العصر التاسع عشر وآذاننا تسمع ما نقرأه عن الشعوب القديمة وعوائدها السمجة بتضحية خليقة الله. نحن فى عصر الحرية ونسمع بإغلاق أفواه المظلومين نحن فى عصر الحرية ونسمع بإغلال أيدى التعساء نحن فى عصر الحرية ونرى ونعلم بأن الحقيقة وضعت ضمن صندوق من حديد مقفول. فوا عجباه وأأسفاه ... هذا ندا المبادئ الحرة هذا عويلها وبكاها.

يا زينة المنابر يا أيها الخطباء من شيوخ وأكليركيين وعلمانيين ويا أطباء الروح والجسد ويا كتبة الجرائد اسعوا برفع الحجاب عن الحقائق كسروا الصناديق الحديدية وأظهروا للشعب الحرية عروسة عذراء موشحة بأثواب عرسها وزفوها إلى عدل الجيل التاسع عشر فتكون وإياه جسدا واحدا يدافع عن دم البرىء وحقوقه وعرضه وناموسه وشرفه. وأنت أنت أيها الولد إذا رأيت فى ابنك ظلما فارفع الظلم وإن لم تتمكن من رفعه فادفع ولدك وحيدك للقصاص. ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب. وأنت أنت أيتها الأمة ويا أيتها الرياسة الدينية إذا رأيت فى مبادئ من سن شرائعك الإضرار فى البرىء ودمه وحقوقه اطرحى للنار الأكلة كل صفحة حملت هذه المبادئ اجعلى نار الحرية نار العلم نار المعارف أن تحرق هذه الأعمال وتبيد رمادها كيلا نعود نسمع ولا نقرأ ولا ننظر ما نراه ونسمعه وننظره ويا سادة الأحكام إلى متى إغماض الطرف فاقطعى الأعضاء المنتنة واطرحيها خارجا. قفوا قفوا يا مطالعى مقالتنا ولا توجهوا قولنا هذا إلى أمور حاضرة فى دائرة نحن الآن فيها أن مبادينا لأعلى وأرفع مقاما من أن نضحى الحقيقة على مذابح المطامع وحب

الذات وما أتينا بذكره هو صدى صراخ والدة مظلومة سمعنا بكاها وعويلها من المشرق فرأينا الكسوف قد اعترى شمس العدل ولكن الكسوف لا يدوم وعما قليل تنجلى الغيوم ونحن نعدك يا أيتها الامرأة الحزينة التى لعبت بها أيدى المظالم أن دم البرىء لا تخفيه أرض ويظهر ولو ابتلعته البطون ولو دفن فى أعماق اللجات.

ونحن واثقون بأن شمس التمدن قد أشرقت على العقول وأنارت القلوب فصرنا نرى منتصرى الحق والعدل يدافعون عنه والعصر الذى أباد الذبائح البشرية العلنية يبيد هذه الذبائح السرية بقصاصات علنية تضع حدا نهائيًا والسلام.

كلمة عن حرية الجرايد

الجرائد قوتها الحرية لقد خلقت لكى تدافع عن الحق ومن واجباتها ألا تقف توصلا لهذه الغاية الحميدة تجاه سلطة الظالمين أو أسهم المنتقدين أو تهديدات المتمولين. الجرائد روح الحق والروح لا تخضع لمقاومة الماديات الدنيوية فلا تدفعها أضاليل وأكاذيب ولا تمليق أو تهديد ولا وعود أو نقود. نعم إن حرية الجرائد لمرارة علقمية على المتعظمين والمتعجرفين وعلى الذين لا يعيشون إلا إذا ظلموا ولا تقر لهم عين إلا إذا فسدوا ولا يسر بهم قلب إلا إذا أحرق على موائدهم بخور المدح فى مباخر التمليق والتدليس والطلى والتطميس ولعمرى إن هذه لصناعة إبليس وما هؤلاء إلا بكافرين وخاسرين. عار عار على بنى الإنسان أن يجد ويكد لإخفاء الحقائق وتضحيتها على مذابح مطامعه. عار عار عليك يا من تقصد أن تخفى جناية الجانى وخيانة الخائن وتظلله تحت رداء سلطتك وتقول (حاجبًا حقيقة مقاصدك) إننى أسدل ستر الخفاء مدافعة عن شرف أمة لا يجوز مسه. ألا تعلم أيها الغبى الظالم أن بمدافعتك هذه تغطى رأس الأمة التى تتظاهر بحمايتها بستار العار وهى إن صنتها يوما أو شهرا أو عاما من صراخ الحرية فعملك بذلك كمن يدك بالبارود لغما فيأتى يوم وتأتى ساعة يسمع فيها من طلق البارود دوى ورعود قاصفة ويكون لذكرك ولذكر من دافعت عنهم بالباطل رائحة الجيف المنتنة ولذكر الجرائد الحرة رائحة عطرية.

فالواقى من يقى إلى أمد بعيد والشافى من يشفى العلة أصلا وليس الشافى من يطلى الجروح والقروح الغنغرينية بطلاء ظاهرى .

إذاً لا تدفع روح الحرية إلا بروح العدل ولا يرد حسام الحرية لغمده إلا بإشهار الحق وإعلائه وإعلانه فعلى كل عاقل أن يسعى حيث لا تزل به القدم وأن لا يحذو حذو من حل بعقله اللمم وكل لبيب بالإشارة يفهم.

الحرية

طلبنا هذه المرة إلى الحرية أن تغمض الطرف وتعيرنا سكوتها فأبت إلا أن تقول لكل أمرىء فى الدنيا حسنات وسيئات فلماذا يصعب على البعض ذكر سيئاتهم أليس الأولى بهم أن يتصرفوا تصرف الحكيم بإصلاح حالهم بدلاً من الدخول بالغضب وإضافة خطأ على خطأ.

ولقد ذكرت جريدة المؤيد مرة فقرة متعلقة بالصالح العام فأصابت الرأى على أنها بما ذكرته مؤخرا بما يتعلق بالطائفة الإسرائيلية قد وقع سهمها حيث لا تقصد لأنا ذكرنا خبرا مثبوتة صحته.

وطلبنا ولا زلنا نطلب رفع العار عن الطائفة الإسرائيلية بما نسب لعمومها وقصاص الجانى فقط غير واضعين فى المباخر بخورا وغير متخذين من رفعة المقام وعلو الشأن سببا للمدح بمن لا تستحق أعمالهم المدح وهل يرى المؤيد عجبا أن يوجه اللوم على والٍ مدافعة عن حقوق البرىء والضعيف. فالولاة والأغنياء وأصحاب السلطة لا يحتاجون لمحروسة ولا لمؤيد ولا لغيرهما من الجرائد كى تدافع عنهم بل على ذمة الجرائد الأخذ بناصر الضعيف والمظلوم وعدم تكريس أعمدتها لإلقاء الدسائس فالمحروسة عن طيب خاطر تدعو المؤيد للسلوك معها على هذه الخطة الحميدة وأننا أجل قدرا من أن نتخذ العمد مبدأنا والمقاومة ضد الحق الواضح سبيلنا ولا العندية باعتقادنا. فنقول للأمة الإسرائيلية إننا نعتقد بها أمة صالحة على أن فيها كما فى غيرها من الأمم أعضاء صالحين وأعضاء فالحين فعلينا جميعا السعى لاستئصال جراثيم الفساد والوصول إلى عقاب من تستحق أعمالهم العقاب فماذا يضر بالطائفة الإسرائيلية لو أحد أعضائها قتل (لأية غاية كانت) وأجريت التحقيقات وحكم على الجانى بعد إثبات الجناية أليست هى الأمة الخاضعة لشريعة موسى السن بالسن والعين بالعين. وأننا الآن لفى عصرٍ كل مسئول فيه عن عمله فلا يؤاخذ الأب بخطية ابنه والأخ بخطية أخيه والامرأة بخطية زوجها أو بالعكس ولا أمة بخطية بعضها أو فرد من

أفرادها ولهذا فإننا بعيدون عن أن نمس كرامة الطائفة الإسرائيلية بل ندعو عقلائها وحكماها ورؤسائها وكل من أحب العدل أن يسعى بكشف الستار عن الحقيقة فهل لو فقد لوالدة أو لوالد من الطائفة الإسرائيلية أو من أية طائفة كانت ولد ووجدت جثته بالحالة التى وجدت فيها جثة هنرى عبد النور يسكت عن طلب الحق والعدالة أو يسلم هو أو أحد ممن استنار بالعدل على إخفاء القاتل سندا على كون معرفته ربما تضر بالعائلة التى هو منها أو بالطائفة التى هو أحد أعضائها.

فلينصف المنصفون على إننا والسماء والأرض شاهدتان علينا لا نقصد إلا المدافعة عن دم البرىء وتخفيف المصاب عن تلك الأم المنكودة الحظ التى لو وضع كل نفسه بمقامها مسلما كان أو مسيحيا أو يهوديًا لصرخ. أجروا العدالة. أجروا الحق. فإذا سكتت أصوات بنى الإنسان تنطق الصخور وتطلب إجراء العدل والأمان.

فالجرائد صدى الحق وكما أنها تستعمل الحرية لإظهار الأفكار فهى خاضعة لنفس هذه الحرية من وجه الانتقاد عليها والدخول معها بالبحث عن الأمور التى تكتبها مما يستوجب الأخذ والرد والمجادلة إظهارا للحقيقة المقصوة فأمر كبح الجرائد والحالة هذه بقوة خلاف قوة القلم والجدال وتقييد حريتها بالتخويف أو التهديد أو غير ذلك من الأمور المادية إنما هو أمر من جملة الأمور الوحشية التى لا يناسب اتخاذها فى عصر الحرية والتمدن اسمعوا يا متهددون.

بناءً عليه فالجريدة ما دامت فيها روح الحياة عليها أن تقتات من الحرية وتصرخ فى بوق الحرية فإن عاشت فنعم الحياة وأن ماتت فما سوف عليها من أولى الحق والعدل ومحبى النور والصلاح. فما زالت الحرية قائمة فالمحروسة فاتحة أعمدتها لإيضاح الحقائق لا تقف فى سبيل ذلك أمام تهديد أو تخويف ولا أمام سطوة أو تنديد لا تراعى فى المنام خليلا ولا توقد للبطل سراجًا لا تمشى فى الظلمة ولا تتخذ من الدرهم الخداع مشورتها فهى تبذل الدم محاماة عن الحقيقة ومدافعة عن الحق فلديها الكل بهذا الأمر سيان لا تخشى أن تذكر للمحاكم هفواته ولا للغنى سيئاته ولا تقف عن إظهار حسناته. لا تفتح أبوابها للغنى والمقتدر ولا تغلقها فى وجه الفقير والضعيف بل الاثنان لديها بمنزلة واحدة. فاليد التى تحرر المحروسة متعلقة بقلب ثابت وعقل حر.

لا يأخذكم الغضب ولا يدخلكم روح الكبرياء يا أيها المعتلون عرش السلطة وأغنياء الدرهم ولا تقولوا ما هذا الكلام الذى يضر بسلطتنا ونفوذنا ويكون لنا منه أهانة إن هذه لأقوال الجاهلين الذين ختم الله على سمعهم وأبصارهم غشاوة. اعلموا أنه مهما كان علو عرشكم فلستم عليه إلا بإذن وإرادة من لو نظر إلى الجبال تتزعزع وأنكم على عرش الملك والسلطة لتقضوا بالعدل وتسوسوا الرعية بالحق والحكمة فالحكيم لا يرزل المشورة ونفسه تكره التمليق والتدليس.

لا تقولوا من الحرية إضرار ومن المتكلم بالحرية اضطراب كلا ثم كلا الحرية عروس الحكام والمحاكم والجرائد فى فيها الحكمة وفى عينيها نور الحق وفى قلبها الشفقة على البائس والمظلوم أما أعدائها فقوم كافرون قوم يسعون وراء إطفاء مصباح الحرية لكون الظلمة ستارا لأفعالهم السيئة. يقولون إذا ظلمنا فظلمنا عدل وإذا بعنا حقوق الأرملة واليتيم بالمال فاستعملناه لسرورنا وفرح قلبنا ترى من ينتقد علينا وهم لا يعلمون بأن عين الله عين الذى لا ينام الليل تخرق الظلام وتبيد يده الشرير وذريته إلى الأبد. فإن عشت أيها الظالم فأنت بيد الله كعصا يستعملها لقصاص شعبه فإذا ارتد شعبه إليه حياتك تباد. لماذا أنتم مضطربون تقرعون أبواب المتسلطين أأنتم من الحق خائفون أو من إشهار الحقيقة وإيقاد مصابيح وهاجة تضىء فى الظلمة فتكشف الستر عن عيوبكم أنتم مغضبون لقد مرت أجيال وأيديكم تسفك الدم البرىء والأرض التى لا تشرب دما قد فتحتم فيها الحفر والمغائر ووضعتم على الأعين البراقع وقلتم من يقدر علينا ونحن المتسلطون سنريكم والعالم جزءا من فظايعكم.

كانت السلطة لإرباب المال فكانوا بالمال يبلغون مآربهم كانت السلطة للمال فكان المال يعمى بصائر الحكام. كانت القوة للمال فكان المال يجذب عقول القضاة وقلوب المتسلطين. أماالآن فقد استضاءت الأرض ومن عليها بنور العلم والمعرفة قد بزغت شموس العدل فرب المال الذى يبتغى بالآمال بلوغ مآربه لا يدرك بالمال وصوله. فالمال ميال لضعيفى العقول وسقيمى المعرفة نعم إن المال فخر ولكن للعادلين المال عز ولكن لمستقيمى الرأى وإنما المال عار للظالمين المال ذل وهوان للمعتسفين.

لقد ظن البعض إننا توقفنا عن إتباع خطة سلكنا بها خوف تهديدات أو احترام مال أو مراعاة خاطر ولكن من يصبر ير والظالمون يرون ساعة ينكشف بها الستار عن الحقيقة

فتكون الحقيقة على قلوبهم أشد من الحديد المحمى يزئرون كالذياب المقيدة بالسلاسل أما الحرية فتسخر بهم وتستهزئ بزمجرتهم وأنا لهم بقرب هذه الساعة لواعدون.

أجوبة جلية

تعرضت الإجبسيان كازت لذكر بعض عبارات (ربما كانت صادرة عن فكر زاد فى الكبر حتى بلغ درجة الخرف) بما يتعلق فيما كتبته المحروسة عن حادثة قتل هنرى عبد النور فى دمشق الشام فنحن سلفا نؤكد للجريدة المذكورة بأنها خبطت بما كتبته خبط عشواء وأنه عما قليل ترى ويرى كل من يحب الإطلاع على الحقائق مجردًا من كل غاية وتعصب أن بما كتبناه بالمحروسة عين الصحيح وأنه راكز على براهين عقلية وأدلة ساطعة حسية خلافا لما حررته الإجبسيان كازت من الأقوال الصبيانية والاعتقادات الوهمية التى لا نود أن نكون مسندًا لها ولا زلنا على وعدنا ثابتين بإتباع فروع المسئلة المنوه عنها إتباعا متواصلا إلى أن تظهر حقائقها فترتفع البراقع التى وضعت على الأعين كالبرقع الذى غطى أبصار من تصدوا للاعتراض على المحروسة قبل أن يعلموا من الحادثة الكوع من البوع.

وأنا نجاوب على الطلبات العديدة التى وردت علينا ولا زالت تتوارد بطلب الكراسة التى وعدنا بها بأننا صرنا نسلمها بعد أن نضيف عليها جميع ما بيدنا من الإفادات وجميع ما نراه لازماً لإجلاء حقيقة الحال وإظهارها للعيان لا يوقفنا عن إجراء تلك اعتراضات ولا تهديدات على إننا لا نؤاخذ إلا بالبرهان ولا نقنع إلا بالبيان ولا يرهبنا إلا حسام الحقيقة بيد أى كان.

تنبيه أفكار

لقد ذكرنا مرارا بالأعداد السابقة بأن القصد من نشرنا بالمحروسة واقعة قتل الولد هنري عبد النور فى دمشق الشام لم يكن إلا لتحريك شعائر عدالة من بيدهم زمام الأحكام لأجل التحرى للوصول لمعرفة اليد أو الأيدى الذابحة هذا الولد البرىء وقصاص الجانى قصاصا صارماً على إجراء هذه الجناية الفظيعة التى القت على وجه العدالة برقعاً مضمخاً بالدماء.

ولقد استغربنا ما يرد علينا من الإفادات عن تحرى ولاية الشام لأجل التوصل لمعرفة اسم مكاتبنا بقصد الانتقام منه على أن الانتقام ممن يوضح الحقائق ويطالب بدم الأبرياء وإعانة الضعفاء لإثم فظيع بأعين العدالة وحرية الضمير وهو أكبر خطأ يرتكبه الحكام وأعظم عار عليهم فى الحال والاستقبال فالأولى إذا البحث والتحرى عن سافكى الدم البرىء فإن بهذا فقط موافقة لنظامات الدولة العلية ومشرب جلالة مولانا السلطان الأعظم عبد الحميد خان.

أما ما يرد علينا يوميًا من التهديدات الخطية من بعض الذين أحجبت غيوم الجهل عن بصيرتهم حقائق الأمور فلما كان مصدره الدنأة إلى حد أن الكاتب خجول من وضع إمضاه فنرى حسناً إتباع قول من قال لجهته (إذا نطق السفيه فلا تجبه).

على إننا لا ننكف عن إتباع نشر الحقيقة ونرجو حضرة صاحب الدولة وإلى ولاية الشام أن يهدى غضبه ويتروى بالأمر حتى لا تبقى حادثة هنرى عبد النور نقطة سوداء فى صحف التاريخ وإذا أمر أو سمح بإخفاء أعداد المحروسة عن ولايته فلا يحجبها عن الاستانة العلية ولا عن الأقطار المتمدنة وكل واسطة يتخذها لمنع دخول كتاباتنا ضمن ولايته لا تجديه نفعا لأن أحسن خطة لصيانة سياسة الحكام ضد التنكيت والتنديد هى السلوك وفقا للعدل و إلا فمنع الجرايد موقتا عن الدخول ضمن الولاية لا يمنع من إيصالها إليها على طرق شتى بل ويزيد مطالعيها رغبة ويأتى يوم تتداولها الأيدى على رؤوس الأشهاد ويقول لسان حال التمدن والإنسانية ما لا نود أن يقال عن صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا بل نتمنى لدولته صيتاً حميداً وعمراً مديداً وذكراً سعيداً.

وأما الذين تصدوا للرد قاصدين إلقاء الغشاء على أبصار الناس فويل لهم يوم الحشر فى الموقف الرهيب.

فاسمعوا يا محبى العدل

وأنتم يا مغضبون تنزهوا عن حدتكم قليلا لعلكم إلى الحق تقادون وإياه تتبعون.

فاليكم الآن شىء من بعض ما لدينا من الإفادات عن دمشق الشام رقم ٢٥ يونيو (وأهم تفاصيل الذبح وكل ما يتعلق بغوامض هذه الحادثة وغيرها سيأتى ذكره) كنا نحسب القتلة اليهود بعد أن اقترفوا ذلك الإثم وضمخوا أيديهم بدم البرىء يجهدون فى طمس

آثاره بتجنب المقال كما جهدوا بطمسها ببذل المال ولا يحاولون تكذيب ما هو أثبت فى اعتقادهم من نعال الأكراد فى أقفائهم حتى وردتنا جريدة فرنسوية رأيت فيها منقولاً عن سجلات (الاتحاد الإسرائيلى) رسالتين استدللت بما فيهما من قبح التقول والبهتان وقحة الأفكار على أنهما للبلغارى الهارب من الخدمة العسكرية كوهن مدير المدرسة اليهودية فى دمشق فرأيت أن أتكلف الرد عليهما مكرهاً لذكر هذه الحادثة المشئومة التى يأبى القلم خطها أنفة وانقباضا إلا أننى قبل الشروع فى التكلم عن هاتين الرسالتين أفيدكم بوصول أعداد المحروسة إلى أولياء الحكم هنا فأهاجتهم هياجاً شديداً وقد أثرت فى القلوب عموماً فاذرفت من الدموع ما لا يحصى ..

سأتبعكم بتفصيلات التشريح وببعض التلميح عن القتلة ومحل القتل وبأمور شتى مما يكشف الحجاب.

أما الرسالة الأولى التى نوهت عنها فمورخة من ١٥ أبريل (نيسان) فأول كذبة أفرعها به قوله "الأحد الماضى ثانى يوم الفصح توارى غلام نصرانى" مع أن اليوم كان يوم الاثنين ثالث يوم الفصح عندهم الساعة التاسعة ونصف بعد الظهر. ثم قال:

"وبعد خمسة أيام قضتها الشحنة نفسها فى أدق التفتيش تذكرت النصارى بوجود اليهود فيما بينهم وأنهم يحتفلون بالفصح فثاروا بأجمعهم).

فهذا التذكر الذى ذكره لم يكن بعد خمسة أيام قضيت (فى أدق التفتيش) ولكنه كان أول ما استفاض الخبر بفقدان الولد إذ أجمع رأى كل من فى المدينة مع اختلاف مذاهبهم وتباين أجناسهم على اتهام اليهود (ومن العجب العجاب أن لا تفقد أولاد النصارى إلا بعيد فصح اليهود) ثم تخصص أفراد منهم باقتراف الجريمة فإذا كان ذلك التذكر لم يحصل إلا بعد خمسة أيام فلم تجمهر الغداة الحاخامات وأعيان الطايفة بعد أن أكثروا اللغط وانطلقوا إلى الوالى يتهمون عنده النصارى بتعمد الهياج واتخاذه ذريعة للتوصل إلى احتلال الأجنبى فى البلاد.

وأما ما ادعاه أن بعض حوانيت اليهود فى حارة النصارى أغلقت إجبارا وأهين أربابها فدعوى باطلة إذ ليس لليهود حوانيت فى حارة النصارى إلا ما قل وقد أغلقها أصحابها اختيارا خوفا على أنفسهم إذ كانت التهمة محققة وشكوى ضمائرهم تزيدها

تحقيقا ولم يقصد المدعى البلغارى سوى حانوت مائر المورلى الكائن إلى جانب منزل الغلام الذبيح وكان هذا اليهودى كثير التردد على المنزل نظرا لابتياع أهله كل حاجات الخياطة من عنده ومعرفته بروجينا المغنية اليهودية التى كانت أيضا تتردد على المنزل الذى نشأت فيه منذ صغرها كما سيأتى وكان ما ير كلما دخل وخرج يقول لأم الذبيح أن لا تغالى بالاهتمام بولدها وتجهد فى توطيد نفسها على سلوه إذ كان ضعيف أسباب الحياة واهى أركان العيش ويقول للجدة أنها مفرطة فى الاعتناء به حالة كونه ابن بنتها وابن البنت غريب وفى ثالث يوم العيد بينما كانت أم الغلام بحالة تذيب الصخر الأصم حزنا تفتش على ولدها وحشيشة قلبها فى البرية لعله وقع فى نهر. صادفت ماير فى طريقها فقال لها لماذا أراك باكية جائلة فى البرية فقالت له أفتش على ولدى هنرى فهل رأيته أنت .فللحال انعبق لونه وانقبض انقباضا ظاهرا وقال لها بلى رأيته أمس واقفا أمام الثكنة الشأهانية مع ظابط وعندى أن الظابط هو أخذه أراد أن يلقى التهمة على أحد الظباط المسلمين ليثير الفتنة بينهم وبين النصارى فتنسب الحكومة حركاتهم إلى إرادة تسبيب الاحتلال الأجنبى فى البلاد كما سار بذلك بعض القابضين على زمام السياسة جماعة الحاخامات ولما فقد الغلام أغلق ما ير حانوته لا إجبارا كما ذكر ولكن اختياريا وتواريا وسافر إلى بيروت يوم الخميس بعد عيد الفصح وبقى فيها إلى أن وجدت جثة الغلام فعاد إلى دمشق الشام. وبينما كانت الأم الحزينة خارجة من منزلها نهار الجمعة صباحا فى ٢٥ نيسان بعد أن دفن ولدها رأت ماير أمام حانوته فضحك عليها وحياها تحية فائقة الاحترام (هزئا) وقال لها نعمت صباحا ياسيدتى فلم تتمالك ووثبت إليه فبدخولها مخزنه تحطم بعض ما كان فيه من الزجاج فقال لا بأس إذا كنتم تحطمون الزجاج بدلا من قتل أولادكم ثم بادر برفع دعواه إلى الشحنة ولما بلغ دولة الوالى اهتز اهتزازا شديدا (كأن صراخ الزجاج المحطم حل بأذنيه منزلة صراخ الذبيح) فأمر بإلقاء القبض على الأم المنكودة الحظ وكاد يلقيها فى أحد المستشفيات زاعما أنها مجنونة لو لم يتوسل لديه من لم يخل قلبه عن شفقة ورحمة.

وأما روجينا المغنية فهى حفيدة الحاخام نسيم بيرس وربيبة أهل الغلام الذبيح ظلت تتردد عليهم فى طلب الخياطة سنين كانت فى خلالها تتولى خدمتهم بنفسها نظرا لفقرها وإحتياجها وتخص بالخدمة هنرى ابن (أختها جميلة) كما كانت تدعوها ولبثت على ذلك إلى أن ترعرعت وباشرت الغنا وأولع بها الغلام فلم يكن يفارقها ما استطاع وكان كلما مكنته الفرصة يأتيها فى منزلها إما من تلقاء نفسه وإما رسولاً من ماير المذكور يحمل إليها

بعض الحاجات منه ولذلك لما فقد الغلام سألها أهلها عنه فأنكرت أن تكون رأته وفى عشية ذلك اليوم أتت ووالدتها بيت الغلام وبقيت إلى الساعة السابعة ليلاً تندبه وكان والدها يأتى ثم يعود ثم يرجع. واتفقت أنها بينما كانت جالسة إلى جانب الشباك المطل على الشارع مر بها أحد أقربائها فجعلت تكلمه بالعبرانى ثم تهيأت للذهاب وصحبتها خادم أهل الفقيد ولما وصلت إلى بيتها ولحظت بأن الخادم يروم دخوله كما كان له بالعادة أن يفعل حينما كان يصحبها نظرت إلى صدرها وقالت لوالدها الذى كان قد جاء ليفتح لها الباب اهـ.

أضعت المداليون الألماس فشرعوا يفتشون عليه عايدين على الطريق.



روجينا المغنيَّة

روجينا المغنية

المال مطلوب لدى كل الورى ولدى أفضل من غلام قاصر
قتل الغلام يحل فى تلمودنا ويجيزه شرع الحخام الآمر

مع الخادم حتى أوصوله إلى منزل الفقيد ثم رجعت روجينا مع والدها لوحدهما وفى الغد سألتها أم الفقيد عن المداليون فتوقفت عن الجواب ثم تذكرت بما زعمت أنها أضاعته وقالت بلى وجدته بين ثوبى ومشدى (بوسطو) حال كونه كان معلقاً بسلسلة فى عنقها فوق ثوب محكم التزرر فلحظ الحضور ارتباكها وتكلفها هذا القول فبادرت للانطلاق زاعمة أنها سائرة إلى منجم دعته ينظر فى أمر حبيبها هنرى.

وكانت الجدة قد خرجت ذلك النهار تفتش لعلها ترى أحدا يعلمها بشىء عنه فمرت بحارة اليهود وصادفت أبا روجينا فقال لها وقع إلينا خبر تغيب الغلام فبتنا فى المنزل على مثل جمر الغضا لا سيما ابنتى روجينا فإنها شديدة القلق وقد انطلقت رغما عن إرادتها لبيت أحد المسلمين حيث دعيت للغنا وكانت العبرأت ملء جفونها وما زال فى صحبتها يحادثها حتى رجعت إلى منزلها وفى عشية هذا اليوم كان مجىء روجينا مع والدتها لمنزل الفقيد كما تقدم.

وكان الرجال الذين أرسلوا لينشدوا الغلام قد تفرقوا فى أنحاء المدينة فمر أحدهم بسوق تدعى سوق الساروجة ذكر أنه شاهد فيه الساعة الرابعة ليلا مسلمة أخبرته أنها رأت نحو المغيب غلاما ووصفت له ذى الفقيد أمام حانوت كذا فى العصرونية فاسرعت الوالدة فى صباح الغد لصاحب الحانوت وسألته عن ولدها فأنكر أن يكون رآه بل أنكر وجوده فى تلك الساعة التى عينتها المرأة فتأكد إذ ذاك أهل الغلام أن ذلك كان مكيدة دبرها عليهم أبو روجينا قصد إلقاء الفتنة بين النصارى والمسلمين إذ السوق التى ذكرتها المرأة هى بين حارة المسلمين كما فعل شريكه مائر حينما اتهم الظابط بأخذ الغلام وعلم بعد حين أن خبر ذهاب روجينا إلى دعوى فى بيت أحد المسلمين كان خبرا عاريا عن الصحة والصحيح أنها كانت ذهبت إلى منزل المرأة المسلمية التى فى سوق الساروجة وهى إحدى من يترددن من نساء المسلمين على بيوت اليهود أيام السبوت لقضاء بعض حاجات لهم واعزت إليها أن تقول لمن يفتشون على الغلام ما قالت :

وبعد ذلك انقطعت روجينا عن التردد لبيت الفقيد واشتغلت عن ندبه والبكاء بالغناء فى منازل بعض أولياء الحكم وبعض ظباط الجنود والشحنة ولم ترى فيما عبر من أيامها بضاعة الروح من بضاعتها فى هذه الأيام وهى اليوم سائرة على طريق حماه بين الإتباع والخدم قدمها أمامه صاحب السعادة معاون باشا وسيلحق بها يوم الخميس نفياً

للظنون أ هـ ، وا أسفاه على الذين يتقلدون مهام الأمور فيخضعون أفكارهم للغادة الحسناء
ويوم الحساب لا يشعرون وفى خطاهم يعمهون).

ولا جرم أن روجينا ستنقلب فى صحبته بين الراح والريحان وتمرح من طيب عشرته
فى حديثة فيها من كل فاكهة زوجان والعاقل من تقلب فى أعطاف الخفة والطيش واغتنم
معين اللذات قبل انقراض العيش (وطيب العيش فى خبث الحرام).

ويل لك يا من أقمت لترعى الرعية بالعدل إلا تسمع إذ ذاك صراخ البرىء يطالب
بدمه وأنت سكران بالخمرة واللذة ألا تخاف من أن يدا سرية تكتب لك على الحائط (ما نا
تاسل فارس) فينقضى عزك وينقرض حكمك وتنتهى حياتك.

هذه هى الأهانة التى ذكرها البلغارى أنها لحقت شركاه فى العصبية لا فى الدين
وأن كان يعنى بها غير ما ذكرت فليقصه ما شاء على مجمعه الإسرائيلى. وأظنه لو سأل
هارون فيستق المتبجح اليوم بمنزلته عند الوالى أن يستعلم دولته عن الأهانة التى أهان بها
نصارى دمشق لما بخل عليه بذلك ولذكر له أسماء من أمر بسجنهم منا لا لتهمة مذكرة بل
لمجرد الحديث فقط.

ومن أغرب ما أمتأته من الزور قوله بعد.

(وأعظم الحوادث التى حدثت أمس كانت فى منزل الفقيد عينه حيث اجتذب
كثيرون من مساكين اليهود وضربوا بعد أن سلبوا أشياءهم وهكذا سلب حلوانى من
حلوياته ونجار من أدواته).

فقد بحثت أشد البحث وأكثرت من السؤال فلم أظفر باسم حلوانى يهودى فى
دمشق ما لم يكن البلغارى بنفسه ولعله أراد ذكره لينبه على حرص أهل دمشق على المآكل
ونفوذ همتهم إلا عن غشيان الموائد وخدمة الشهوات على أنه كان عليه أن يخصص بسلب
الحلواء عامة الناس لا بل خاصتهم إذ كانوا أشد كرما وأكثر شجفا ولا يعمد إلى أسرة لم
تذق الطعام من حينما إذاقها بعض أصحابه مرارة الفقدان فيفترى عليها مثل هذا الافتراء ولم
يكتف بذلك فقط حتى اضاف إليه "إن غلامين من تلامذة المدرسة اليهودية عمر كل منهما
تسعة سنوات كانا منطلقين نحو المساء إلى منزلهما فمرا فى طريقهما على البيت الذى ذكر
أنه صار مجذبا لمساكين اليهود وإذا بامرأة أمسكت طربوش أحدهما ورمت به إلى الدار

فدخل الغلام يجرى وراءه وأغلقت عليه الباب وقيد أمام راهبين كبوشيين مع ابنتين صغيرتين وغلام آخر قال. وشرع الراهبان يسألان أين الغلام الذى أخذته اليهود وفى قبواى من أعيانهم. إلى آخر ما ذكره من الأباطيل التى لا يختلقها إلا من نشاء من مثل أسرته .

وحقيقة الواقعة أن الغلامين اللذين ذكرهما (ولا نشاحنه فى سنهما) هما من تلامذة مدرسته أرسلهما عمداً إلى بيت الفقيد لأسباب يأتى ذكرها فلما انتهيا إليه تناول أحدهما طربوش رفيقه ورمى به فيه فما لبث الولد أن دخل فى طلبه ولما توسط الدار شرع يصرخ صراخاً شديدًا متوالياً (كما علموه) ليوهم الناس بأنه يضرب ضرباً مبرحاً وبادر رفيقه الذى بقى خارجاً وجاء بوالدته والشحنة وفى اليوم نفسه قدم عرض فى هذا الشأن لصاحب الدولة عاصم باشا فأمر فرقاً من الضابطة أن تعصم اليهود من اعتداءات النصارى وهذه هى البقية التى توخاها البلغارى بعد استشارة رؤسائه فى إرسال الغلامين.

وأما الراهبان الكبوشيان فما أظنه ينكر علينا إذا سألناه أن من هذه الرهبنة لا يوجد الآن أحد فى دمشق بل كان فيها سنة ١٨٤٠ راهب واحد مع خادمه كما يقول واسم كل منهما مكتوب على جباه بعض اليهود القائم هو بينهم بأحرف دموية وهما البادرى توما وخادمه إبراهيم (وسيأتى الإيضاح عن تلك الحادثة وغيرها من الحوادث التى تقشعر لها الأبدان وتنقبض لها الصدور).

وما ذكره بعد ذلك من أمر الجنازة التى زعم أن بعض أهل الدعارة أوقفوها أو طرحوها على الأرض بعد أن أثخنوا بالضرب على حامليها فلا أتكلف دفعه إذ كان يريد به ما أراد إرسال الغلامين من حمل الحكومة على تعيين من يحافظ فى غدوهم ورواحهم وإقبالهم وإدبارهم ومثل ذلك كثير مما ذكره فى رسالته الأولى والثانية.

لقد تركت لضيق الوقت القسم الأهم من الجواب إلى البوسطة الآتية مع تفصيلات تشريح الجثة وخلاف ذلك من الأمور المهمة بالقضية.

رد مقنع

من يدافع عن الجانى خارجًا عن المدافعة التى يوجبها القانون لدى المحاكمة لا بد من أن ينسب إليه أحد هذه الأمور أما أن يكون شريكاً له بالجريمة وإما أن يكون مندوبًا منه لفعلها وإما أن يكون قد ارتكبها فداء عنه أو لخدمته ومنفعته وهكذا يقال عن جمعية

وعن أمة. تقول هذا لحضرة الموسيو كرمبرج مكاتب جريدة الفارد الكسندرى الذى برهن لنا بما كتبه بتاريخ ٥ الجارى عن كونه لم يفهم معنى ما كتبته المحروسة أو لم يرد أن يفهم حتى أخذ يبرهن لنا بأن كثيرين من العلماء وأعداء اليهود نفوا عنهم تهمة سفك الدماء المنسوبة إليهم.

ونحن نقول لحضرته

إن كنت لا تدرى فتلك مصيبةٌ * وأن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

وليعلم حضرته أن شهادة النفى لا تنفى الإيجاب الثابت فنحن ذكرنا حادثة ذبح هنرى عبد النور وثبوت استنزاف دمه على طريقة سبق إيضاحها وستنجلى حقيقة أمرها حتى يرى حضرة المكاتب وغيره ثبوت الأمر ثبوتًا لا يشوبه ريب فيقول حقًا:

وليس يصح فى الأذهان شىء * إذا احتاج النهار إلى دليل

تعرضه إذا لذكر أسماء من نفوا عن اليهود إستنزاف الدم لا يمنع أن يكون بعض اليهود استنزفوا دم الولد المحكى عنه أو دم غيره وإيضاح الحقائق غير متوقف على علو درجة الإنسان ومركزه من جهة العلم أو الغنى، فكان الأولى بحضرة المكاتب وبجمعيته أن يتخذوا خطة عادلة بطلب التحرى عن سافكى دم هنرى عبد النور وإجراء تأديبهم اظهاراً للحقيقة وقياما بواجبات العدل والإنسانية وتبرئة للأبرياء ورفع للشبهة عن عاتق الأمة والعار الذى يلتحق بمن يسمحون بالظلم أو يحامون أو يناضلون عن الظالمين. فبشر الكاذبين بعذاب أليم.

قالت جريدة الراوى الغراء

يابنى إسرائيل

إذا لم يكن غير الأعنة مركب * فلا يسع المضطر إلا ركوبها

قضت الظروف وقرائن الاحوال بأن يتهمكم المسيحيون بأخذ دمهم فوقع النزاع فيما بينكم وتأسست البغضاء وتنافرت القلوب. ولما كنت رسول الولاء إلى الناس رأيت أن أتخذ على عاتقى السعى فى إصلاح ذات البين وهو سعىٌ محمود لا أراكم إلا أن تساعدونى عليه.

يابنى إسرائيل أنا نحن المسيحيين من أشد الناس اعتقادًا بنزاهة مذهبكم عن إجازة الدماء وتحليل القتل لكن البعض منا متشبثون بثبوت التهمة عليكم يقولون أنها بدعة على غير سنة الكتاب فادفعوها بالتى هى أحسن وأظهروا واللعيان يثوب برئ ولكم إلى ذلك سبيل ممهدة. وإذا شئتم فإننى أدلكم عليها. أنتم تعلمون أن التهمة لا تنتفى عنكم إلا إذا ظهر قاتل الذى يدعون عليكم بدمه فعليكم إذا أن تأخذوا بيد الحكام وتعاونوهم فى البحث والتحقيق ليبرح الخفاء ويتجلى الضياء لا أن تجهدوا فى قطع الألسنة وسد الأفواه وغل أيدى الثكلى المطالبة بدم برىء أريق ظلمًا وعدوانا. هذا إذا كانت دعوى المسيحيين فاسدة مبنية على الباطل والوهم وأما إذا كان لما يقولونه عن قصد اليهود فى الاشتراك بالدم أثر فكفى يا عقلاء اليهود خرافة ووهما وكفاكم تمسكاً بالباطل واقترافاً للذنوب والجرائم وقوموا ياحكماء الأمة اليهودية يا بنى العصر المستنير بضياء العلم والحقائق واضطروا بحكمتكم ومعرفتكم رؤساء الملل منكم الذين يجيزون هذه البدعة الشريرة إلى تحريمها والعدول عنها وبذلك تستحقون أن تقولوا نحن بنى إسرائيل لا غش فينا. وإنى أرى لتبرئة ساحتكم مما يرميكم به المسيحيون إلا هاتين الطريقتين فإن عملتم بهما أصبتم ونفيتم عن أنفسكم الظنة وإلا فلا .....انتهى.

لقد وعدنا ووعد الحر دين بأن نتمم ما بأشرنا به من إتباع الإفادات عن حادثة استنزاف دم هنرى عبد النور من بعض يهود دمشق الشام الذين طرحوا بعملهم هذا تحت الأقدام شريعة الله والناموس وقوانين الحكومة المدنية وتعلقوا بأقوال تلمودهم وحاخاماتهم فقتلوا هذا الولد البرىء على هيئة وحشية تختلج لفظاعتها عروق بنى الإنسان وأنه لا يوخرنا عن ذلك لا وعود ولا تهديد ولا نقود ولا آمال ولسنا ممن تنقبض قلوبهم خوفًا ولا ممن يقصدون الاحتماء تحت راية غير الراية العثمانية فإننا نعتقد فى ظلها أعظم وقاية من الغدر. فكم من مرة أرسل بعض اليهود الجهلة يتهددونا بتهديدات متنوعة بعد أن قطعوا آمالهم من استجلابنا بغير وسائط ظنوها فتمأمة فى كل قلب فكانوا يظنهم مخطئين فلم تقف

عن إتباع ميادينا حفظ حريتنا بظل الراية العثمانية وإشهار الحق والمدافعة عن حقوق البرىء وأننا رضعنا مع لبن الأم معرفة كون الحق يعلو ولا يعلى عليه واعتقادنا بأن الإنسان يموت مرة واحدة موتاً طبيعياً ومذ بلغنا التمييز وتفحصنا حقائق الأمور تأكدنا بأن عصر مولانا السلطان الأعظم عبد الحميد خان هو عصر الإصلاح وهو العصر الذى فيه ترتع عبيد الله بالراحة والطمأنينة الممكنة أن تكون على هذه الدنيا وهو العصر الذى به تلمع شموس الحقائق وتمحى من بين العثمانيين الأوهام التى غرسها فى عقول بعضهم قوم من الأجانب بأن لا تقدم ولا نجاح لهم بالعثمانية وهم المضلون الضالون السفهاء الذين يفسدون فى الأرض وما هم بمخلصين. فنحن ولا نتوقف عن أن نعلن كوننا عثمانيين وشرفنا العثمانية (مع إعتبارنا الدول الأجنبية) لا نراعى الأجانب الحق ولا نقف خايفين من ألسنة الظلم ولا من سيوف الغدر فإن الذى بيده الأرواح يقينا من شر المعتسفين وسامع صراخ البرىء يحطم قسى الظالمين.

هذا ونعلن قراءنا الكرام بأنه بعد أن كتبنا ما كتبناه فى جريدة المحروسة عن حادثة ذبح هنرى عبد النور تشاغلت الأفكار وتلاعبت الأيدى بالقضية وطارت المكاتبات لكل ناحية خطًا وبرقًا فرأينا جوا مظلماً وليلاً مدلهماً ثم سمعت آذاننا عن بعد رعودًا قاصفة فقلنا ماذا جرى فلا بد لكل سبب من سبب ولكل معلول من علة فصبرنا وقلنا لعل بعد الغيوم من رواق الفلك وبعد الضيق من فرج فمرت أيام والبحر الذى كنا سائرين على سطحه أخذت مياهه تهيج هياجًا شديدًا فقلنا لا بد من الخروج إلى الشاطئ فخرجنا مدة ومن شدة العناء رقدنا على الرمال فإذا بحلم تراءى لنا فيه سمكة خارجة من البحر فكتبنا فى صفحات المحروسة نشير إليها بيانًا لأولى الألباب.

"عندما خرجت السمكة الذهبية من الماء قالت أواه لقد" "أخرجتنى يد الصياد الظالم من روح حياتى وسلبت منى حريتى" " وأدخلتنى فى شبكة وأنا أود الموت لأنه ينجينى من قيودى المادية ونفسى لا يحكم عليها الأشرار. حاولت البقاء فى مياه البحر الرائقة تحت جو صاف. بليت بمطامع بنى الإنسان فشقت" "على حريتى. يا ويل من تحدق به أعين الشامتين الحاسدين"، "الطامعين. بين الحياة والموت شعرة وبين الحرية وحجزها شعرة أواه فاقت بلواى الحدود فقلت أليس من شفقة رأيت بين الناس صلاحاً ولكن هل الصلاح

للرؤساء. سلوت المياه الرائقة. والجو الصافى وقلت ظلام الموت ولا نور الظالمين (محروسة) " "عدد ١٨٠٥ فى ١٧ يونيو سنة ٩٠.

وكان إذ ذاك قد تداخل البعض من عظماء اليهود وقصدوا التوصل لتوقيف الكتابات عن حادثة الشام ففازوا ببعض النجاح ثم استغنموا الفرصة لكى يطرحوا على أفكار العموم غطاء يخفى عنها الحقايق فاستأجروا من كتب لهم الرسالة الآتى ذكرها فأدرجتها جريدة المقطم الغراء بعددها ٤١٩ فى ١٥ يوليو سنة ٩٠ ثم تكرر نشرها بجريدة المقتطف البهية فى الجزء الحادى عشر من السنة الرابعة عشرة صفحة ٧٦٨ وهى هذه.

الحقيقة

لما رأيت الناس يلهجون كثيرا بالتهمة الموجهة على الأمة الإسرائيلية وكنت من المطلعين على الحقائق الداحضة هذه التهمة الناقضة دعوى الواهمين أحببت أن أخدم الحقيقة بنشر ما لدى من البراهين المؤيدة حجج القائلين أن الإسرائيلى لا يأتى هذا المنكر ولا يلج باب هذه الجناية ولم يكن فى زمن من الأزمنة الغابرة مقدماً على اقترافها وليس لديه ما يدفعها إلى ارتكابها لا حتياط دهرى عن معتقد دينى كما يدعى بعضهم فمن أجل ذلك أقبلت على مقتطفكم الزاهر راجيًا أن تفسحوا لى فيه مكانًا لهذه السطور التى لم أقصد فيها المناظرة والجدال بل تقرير الحقيقة من حيث هى نور يجلى ظلام الأوهام ويزيل الإشكال عن الأفهام.

قام أحد الواعظين فى زمن لفونس العاشر ملك قشتيلة عام ١٢٥٠ مسيحية وأدعى أن اليهود لا يمكنهم أن يعيدوا الفصح من غير أن يسفكوا فيه دم إنسان مسيحى متذرعاً بهذا الإيضاح إلى أثره النصارى من اليهود لطردهم من تلك البلاد كما يظهر ذلك لمن دقق البحث فى التاريخ فحصل إذ ذاك عن أقوال مثل هذا الواعظ أن ثار المسيحيون على الإسرائيليين وطردوهم من بلادهم واستولوا على أموالهم. ثم طلب الملك إجراء بحث مدقق فى التلمود فتقدم إليه قسيس يدعى توماس وكان من قبل يهوديا وتنصر فأعلن عن علم ويقين أن هذه التهمة زور وبهتان ليس لها من شبه الصحة مكان وأعقب ذلك أن عقد مجمع مؤلف من كبار العلماء برئاسة الملك وجرى فيه البحث المدقق فلم يظهر شىء فى التلمود ولا فى التوراة ولا فى كتب التقليد ولا فى غيرها من كتب الدين يدل على صحة تلك

الدعوى. وقد عثرت على شهادتهم فى مؤلفات بعض النقلة المدققين الذين اعتمدت على أكثرهم فى إيراد هذه الحقائق الراهنة الواردة فى مصنفاتهم المطبوعة باللاتينية والعبرانية. ولكن لما كانت البغضاء قد تملكت قلوب أولئك الثائرين أبو إلا الاعتصام بآرائهم فلبثوا عاملين على اضطهاد الإسرائيليين .

وكل من يطرح الغرض جانبًا ويدقق النظر فى تواريخ الأعصر السالفة يرى أن هذه التهمة كانت موجهة على المسيحيين من الأمم الوثنية وقد بدئ ذلك فى أوائل التاريخ الميلادى فإن الوثنيين اتهموا فى ذلك العهد قومًا من النصارى بأنهم يأخذون دم ولدٍ وثنيٍ ويقدمونه على المذبح ممثلاً دم المسيح. فقام قياصرة الرومانيين وولاتهم واحدٌ بعد واحد يشدون النكير على المسيحيين ويذيقونهم أشد العذاب فكانوا يقلون بعضهم بالزفت والزيت وغيرهم من السوائل ويشوون أجسامهم فى الأفران ويقتلون بعضًا آخر بحد السيف وذلك بناء على ما كان يتهمهم به الشعب زورًا وبهتانًا ويسعون به لدى الولاة والحكام وشاية عليهم ظلما وعدوانا ولم يكن للنصارى ما يدفعون به عن أنفسهم تلك التهم والوشايات إلا الصبر والصلاة و الابتهال لله تعالى لكى يمنحهم القوة لاحتمال تلك المكاره ويبرئهم من كل ما نسب إليهم من تلك التهمات الفاسدة. ومن أراد تحقيق ذلك فعليه بمراجعة تاريخ الكنيسة فيجده مشحونًا بالروايات الناقلة أخبار الاضطهاد فى تلك العصور وقد اقتفى أثر هذا المنقول كثيرون من الكنية والمؤرخين مثل ترتوليان وبوستينس مارتين وبنيدا وخلاصة ما كتبه هؤلاء أن المسيحيين كانوا يتهمون بأخذدم غريب لإتمام فريضة تذكار موت المسيح الذى يقع فى أيام عيد الفصح فكيف انقلبت هذه الدعاوى والتهم جميعًا على أمة اليهود ولكن هى سنة الدهر فى بنيه لا تبقى على حال وسبحان مغير الأحوال.

وإنى فى هذا المقام أغتنم الفرصة لتقديم عبارأت الشكر لحضرة مدير الايجيبسان غازت الذى أفسح فى جريدته مقاما لرسالة نشرت فى العدد ٢٦٦٨ منها الصادر فى ٢٤ يونيو الماضى بقلم جناب الفاضل المستر ماكى أحد المرسلين الإنكليز وفيها ما يشف عن حقائق لا تقوى على نقضها أوهام العام.

وإذ كنا مستعدين للرد على هذه المقالة الباطلة التى البسها محررها ثوب الحقيقة طرأت تلك الظروف التى المحنا عنا فأوقفتنا عن الخوض بمسئلة اليهود قتلة هنرى عبد النور فنوهنا عن الأمر بالعدد ١٨٠ من المحروسة فى ١٧ يوليو سنة ٩٠ تحت عنوان وعدُ.

"وعدنا مكاتب المقطم حضرة إسكندر أفندى ميخائيل بالرد على ما عنونه باسم (الحقيقة) مأجورًا ولكن منعنا عن ذلك ما عقدنا عليه لواء العزم إرجائه لوقت آخر يناسب ظروف الزمان والمكان...... ويكون ذلك فى كتاب يحتوى فى التفصيل ما لا يقبل ردًا أو دحضًا. ويكون طيرًا غير مقصوص الجناح وعلى أكمة الحرية كالبلبل الصياح.

وكان قصدنا العزلة لإتمام ما شرعنا به حبّا بالحقيقة غير واضعين نصب أعيننا سوى وجوب المدافعة عن حقوق البرىء والتوصل لمنع حدوث مثل تلك الذبائح البشرية فى جبل الإخاء والتسوية والحرية. وكان بذلك الأثناء قد بلغنا صدور الأوامر السامية بعزل حضرة معاون ولاية الشام فأشرنا إلى ذلك بما يأتى:

أخبار ولاية الشام

لقد صار فصل معاون حضرة دولتلو وإلى ولاية الشام الذى ذكرنا عن تجوله مع روجينا المغنية فى ربوع حماة وقلنا له فى حينه بالعدد ١٨٠١ من المحروسة تاريخ ٨ يوليو سنة ٩٠ " ألا تخاف من أن يدا سرية تكتب لك على الحائط" (ماناتاسل فارس) فينقضى عزك وينقرض حكمك وتنتهى حياتك. فمن المولى نطلب عدم إتمام الفقرة الأخيرة وأن يعتبر الأمر غيره فيعدل. والآن نجاوب مدعى الحقيقة بما يأتى مما كان قد تجهز لنشره قبلاً.

كنا نود بأن يكون حضرة مكاتب المقطم قد تسلح بدرع من حديد أو فولاذ أو أن يكون اختفى بعيداً عن وجه الحرية القاضية بالويل على المواربين والمراوغين كيلا يسقط تحت حرابها المسنونة على أنه لا درع يقاوم الحرية ولا متراس يحمى أعداها من طعناتها التى تقد الجبال قدا من نصالها التى تكسر عظام المنافقين والمفسدين تكسيراً.

لقد وعدناك يا أيها المكاتب المأجور برفع برقع الوهم عن عقلك وأننا سنثبت لك ولغيرك ممن حملت على عاتقك المدافعة عنهم (وحملك أثقل من أن تظن) مبينين لك كالشمس فى رابعة النهار حادثة استنزاف دم هنرى عبد النور من بعض اليهود فستنجلى لك الحقيقة أن لم تبق على عينيك غشاوة التجاهل. فاعلم الآن بأنه لو كان حتى هذه الساعة القصد من كتاباتنا إثبات كون بعض اليهود اعتادوا استنزاف الدم فى الأعصر الغابرة لغاية دينية لما تأخرنا يوماً عن أن نسرد لك ببراهين قاطعة وحجج دامغة حوادث تاريخية لابد من

أن ترفع عن عينيك برقعاً ترأى لك أن تسترهما به خوفاً من أن ضياء الحقيقة الساطعة إذا ما قاومت أشعتها تخطف منك البصيرة والبصر. وبما أنك ندبتنا لذلك بما أوردته فاسمع أن كنت لبيبا وانظر إن كنت بصيراً وراجع إذا شئت التاريخ تعلم بأنه فى ٢٤ يونيو (حزيران) سنة ١٢٤٠.

صار عقد جلسة حافلة وعلنية فى سراى الملك لويس التاسع فى باريز تحت رئاسة الملكة بلانش وكان القصد من هذه الجلسة الفحص عما ادعى به على اليهود من الأمور المنكرة ومن جملتها استنزاف الدم البشرى حملاً على اعتقاداتهم الدينية وعلى ما جاء فى تلمودهم. وهنالك أعطيت الحرية المطلقة لبنى إسرائيل بالمدافعة عن أنفسهم وعن تلمودهم ولما لم يتمكنوا من إخفاء حقيقة ما نسب إليهم أقروا به وقد تحصل وقتئذ من ترجمة بعض نصوص تلمودهم ما يعتقدون به وهو. "أن يسوع الناصرى موجود فى لجات الجحيم بين الزفت والنار وأن أمه مريم ولدته بمباشرة الزنا (أستغفر الله) مع عسكرى اسمه باندارا وأن الكنائس النصرانية بمقام قازورات وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها وأن العهد مع رجل مسيحى لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهودى بالقيام به وأنه من الواجب ديناً على اليهودى أن يلعن ثلاث مرات روسا المذهب النصرانى وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بنى إسرائيل.

فرغماً عن هذه الإيضاحات لم تسمح الحكومة وقتئذ بإضرار اليهود لأنها لاحظت بأن الأصل فى الإنسان واعتقاداته ما يتلقاه من المبادىء عن صغر وأن فى إتلاف التلمود ومنع نشره وتعليمه صيانة كافية لقطع الشر وعروق الفساد من بنى إسرائيل وعليه فقد صدرت الأوامر بإتلاف وإحراق جميع ما وجد وقتئذٍ من نسخ هذا الكتاب.

ثم فى سنة ١٢٥٤ تكررت الأوامر بمنع اليهود عن توجيه اللعنة على غير اليهودى وحرم عليهم معاطاة الربا فتبعوا الأوامر حتى سنة ١٣٩٤ حيث عادوا لسلب الأموال بطريق الربا فلما امتلأت خزائنهم مالا بطروا وعادوا إلى اعتقاداتهم الواهية فصاروا يخطفون الأطفال ويستنزفون دماءهم بين أمر العذاب وعلى أشنع الطرق الوحشية فاضطر الملك كارلوس السادس بأن يصدر أمرا مبرما بتاريخ ١٧ سبتمبر (أيلول) سنة ١٣٩٤ بوجوب نفى اليهود من جميع أراضى فرنسا. ولكى لا يظن بأن علة نفيهم القصد من الاستيلاء على المال (كما يجتهد اليهود أن يوهموا فى كل مرةٍ تصادف أعمالهم الوحشية النفى والاضطهاد)

أطلق لهم الملك كارلوس الحرية كى تستولوا على جميع ما يملكونه وذلك فى بحر سنة إذ بعد مضى هذه المدة يكون كل من يبقى منهم فى أراضى فرنسا معرضاً لخطر الموت.

فما أوردناه من مسامعك الآن هو جزء طفيف مما سنضمنه فى كتابنا هذا من الحوادث المهمة التى تقضى على مَن مِن اليهود يعتقدون بصحة الذبائح البشرية وكونها مقبولة لديه تعالى بعقابٍ شديد.

أما ما أوردته لنا من أن الوثنيين كانوا يضطهدون المسيحيين بعلة ما نسب إليهم من قتل الأولاد فهذا محض اختلاق منك ومن بعض اليهود فإن الذين من آبائهم أرادوا وقتاً ما رفع هذه التهمة عن عاتقهم وألقاها على النصارى قرروا عنهم ما ذُكر أمام ملوك الرومانيين. أما اضهاد النصارى من أولئك الملوك فلم يكن له علة سوى أن يجعلوهم عبدة لأوثانهم.

فلا تكن يا أيها المدعى الحقيقة وأنت عنها بعيد كمن لهم أذنان ولا يسمعون واعين ولا ينظرون وفى جهلهم وغباوتهم يعمهون بل قل لنا هل ما قرأته بالتاريخ القديم ينفى لك ولنا أو لمن تقصد المدافعة عنهم حادثة استنزاف دم هنرى عبد النور فى هذه السنة سنة ١٨٩٠ إحدى سنين الجيل التاسع عشر جيل الحرية والتمدن جيل محو التعصب والجهالة والحماقة وهل ينفى ارتكاب هذه الجناية الفظيعة على شخص ولدٍ وحيد لأهله تتفتت لرؤية صورته الأكباد وتذرف العيون على ذبحه دماً لا أدمعاً فإن كان اليهود قد ارتكبوا هذه المذبحة البشرية فى عصر التمدن والحرية وقد ارتكبوا فيه أيضا نظيرها (مما سنورده بمحله) فهل عاد من شبهة بأنهم كانوا يفعلون بمثل ذلك فى الأعصر الغابرة واعلم بأننا لا نوجه الشكوى على جميع بنى إسرائيل فإن فئات منهم لأبرياء من هذه الأمور الشنعاء (وسيأتى تفصيل ذلك) فتأمل إذا أيها اللبيب وليتأمل غيرك من إسلام ونصارى ويهود ودروز ومن كل أمة أوجدها الله على وجه الأرض ولداً له من العمر ست سنوات مستدير الوجه حنطى اللون أحمر الوجنتين صغير الأذنين أقرن الحاجبين طويل أشفار الجفنين وأسودهما أنجل العينين متوسط الأنف عالى الجبين وعلى سطحه خصلة شعر قليلة مجعدة تجعيداً طبيعيًّا نبيهاً ذكيًّا رجا أهله ووحيدهم وانظره بين يدى أناس كالوحوش الضارية خايفا مرتعباً متوجعاً واسمع صراخه وأنينه وتأمله ينظر بعينيه الدامعتين لدمه السايل من جراحاته وكلما علا صراخه زاد صالبوه عليه قساوة وقل لنا بعد ذلك ما هى أفكارك...إننا نسمعك بل نسمع

صراخ ضميرك يوجه اللعنات ويطلب النقمات من السماء على أولئك القتلة وعلى كل شخص يتعرض للمدافعة عنهم بآية حجة كانت.



حضرة الدكتور تمبل بك

كلّ الشرائع حرّمت سَفك الدما ٭ فاعجب لفعل قد جرى في عصرنا

ان سرنا ضد الحق يغضب ربّنا ٭ فيديننا ويدين والي أمرنا

فيا أيتها السماوات والجلد الذى فوق أعلى السماوات صبى نارا وكبريتاً على سافكى دم البرىء وعلى رؤوس مساعديهم والمحامين عنهم. اجعلى أيامهم وسنينهم ساعات عذاب ودقائق علقم وليصيروا كالرماد الذى تذريه الأرياح. تأمل بتقرير الأطباء العشرين الذين شرحوا جثة هنرى عبد النور فإننا ننقله حرفاً بحرف وامعن النظر فيه وردد فى ذهنك معانيه واكتشف الأسرار من مبانيه وقل لنا بعد ذلك كله إذا كان عاد يجال بأفكارك أن التواريخ القديمة تمنعنا وإياك عن الخوض والبحث بأمور جرت الآن وإن كان بما تنفى حصوله سابقاً نفى أيضا لما يحصل فى الحال وسيحصل فى الاستقبال. وهل ما نقلته لنا هذه التواريخ يمنعنا عن أن نلتجئ للعدل كيلا يذهب الدم المسفوك فريسة مطامع بعض الولاة والأغنياء والمتسلطين. فاصبر قليلاً نريك أيضا ما يحول لك أفكارك ويجعلك أن تندم على

بيعك حريتك بطبخة من العدس وأنتصارك لجريدة الإجبسيان كازت ولما كتبته عن لسان مرسالها من الأوهام والخرافات التى أرسلنا عليها فى حينه شعاع الحق فاضمحلت وبعد إمعان النظر ورفع برقع التعصب احكم بالإنصاف وساعد الحقيقة إن كنت حقيقةً من محبيها.

هذا ما كان قد تهيأ نشره فى الصفحة الأولى من عدد المحروسة ١٨٠٥ ثم صار تأخير من إدارة الجريدة لبعض أسباب لا نتعرض الآن لذكرها إلا إننا نود أن نضع أمام أعين العموم ما كتبناه فى العدد المذكور (تحت عنوان السلطة) بدلا مما اضطرينا لتوقيف طبعه وقتئذٍ فيرون إننا عند أشد المقاومات لم نلو عزماً ولم نقف عن التنديد بمن ابتغوا توقيفنا عن إشهار الحقائق لغايات لا نود أن نذكرها ليس خوفاً بل لعدم رؤيتنا من ذكرها فائدة.

السلطة

جعل الله السلطة بيد ملوك الأرض ليكبحوا بها لجام مطامع الناس وما يتراءى لهم أن منه ما يضر بصوالحهم وصوالح أمتهم على أن الله منح للملوك السلطة قيدهم بالعقل والحكمة وتهددهم بالعقاب الشديد إذا استعملوا القوة لكبح ما كان منه رفع منارة العلم وتشييد مبانى الحق والعدل والحرية الآيلة لتنبيه الأفكار ضد ما هو خطأ وتشجيع المبادئ الصحيحة القويمة. فالحق يعتلى وإن قصد دفنه فى شقوق الأرض وينمو ولو أحرقته نار المظالم ويثمر ولو قطع جذر شجرته لذلك نرى بأن كلمة الحق التى اجتهد بدفنها الظالمون وظلت مدفونة أشهراً وأعواما بل دهوراً عادت إلى الحياة فكان لها من القوة ما لم يكن فيها قبل دفنها.

ولعمرى باطلاً يشدد جلالة إمبراطور ألمانيا على البرنس بسمارك بقصد إطفاء صراخ هذا السياسى الشهير فلا يفيد تشديده إلا لازدياد حرارة هذا البرنس وعوده إلى حالة الشبوبية من القوة وعلى ما روته بعض صحف الأخبار لقد باشر بسمارك بعمل تأليف ربما لا يظهره بحياته خوف الفتك به بل لابد من ظهور هذا الكتاب يوماً وهو كتاب يكشف الخبايا والمكنونات ويحول ما لا يلذ للإمبراطور ولا يروق بأعينه فلو لم تقاوم حرية البرنس بسمارك لما اتصلت النار إلى التأجج وإذا كان هذا السياسى يتعرض لبعض التبكيت والتنكيت والتنديد فعلى الأقل يكون تعرضه وتنكيته بدرجةٍ لا يترتب عليها اطلاق سنان

الهجو فى الإمبراطور لاستعمال نفوذه وسلطته لإطفاء نار الحرية الواجب على كل سلطة تسلك بالعدل عدم تحويل الأفكار لإخمادها. فإن كان البرنس بسمارك يقصد إشهار حقائق فالحق نور ولا يتصور العقل أنه يضر إلا بصوالح المفسدين وإن كان يقصد إشهار غير الحقائق فهل ليس للحق فى مملكة ألمانيا مدافعون فيشهرون خطأه.

ولما كانت حياة الإنسان على هذه الدنيا قصيرة وكل وعلى الخصوص ذوو السلطة والسيادة ينظرون للحياة المستقبلة وما سيحفظه لهم الاستقبال من المدح والثناء أو من الذم والقدح كان على العاقل أن يرى ذلك فى حياته ليحكم منه على استقباله فى عالم التاريخ أما المصريين فكانت عوائدهم أن يشهروا حسنات ملوكهم أو قبائحهم بعد موتهم ليكون ذلك عبرةً للملوك السائدين عليهم وهذه أيضا من الأمور المحمودة العاقبة فى عالم الوجود.

فلو كانت الحرية مطلقة فى زمن نيرون وغيره من الظالمين لما اتصل ظلمهم إلى استجلاب التشنيع بهم وإلقاء ستار العار عليهم إلى انتهاء الدهور بل أنهم كانوا توقفوا عن الإتيان بالمنكرات والمظالم وإذا كانوا باشروا بها فكانوا أصلحوا السيرة والعمل.

فلو راجعنا التاريخ منذ البدء حتى الآن نرى الحكام الذين أشتهرت عدالتهم وحفظ لهم التاريخ أفضل ذكر هم الذين فتحوا آذانهم لصوت الحق وسمعوا نصائح الحكمة.

فلم يقطع الملك داود لسان النبى إذ قال له أن ينوح على ذبح بقتل أوريا بل ندم على خطاه وبكى. فالتواريخ إذا تنبه أفكار أولى السلطة والتقدم إلى أمور جرت ولا تنفى أمورا جارية أو سوف تجرى فالتاريخ يحكم على الماضى ويعلم الناس كيفية السلوك فى الحال والاستقبال ولا يقول لهم كذا لم يجر فى الأعصر الغابرة وعليه فلا يمكن أن يجرى فى عصر أنتم به ولا فى العصر الآتى.

فمن يتصور ذلك إنما هو لعلى ضلال مبين ولا يستحق أن يعد من جملة المتنورين بل تركه وشأنه لصلاح مبين.

لقد ندد البرنس بسمارك بسياسة مؤتمر الفعلة تنديداً حقيقياً فدلت النتيجة على صحة تنديده فلو كان بسمارك مع تنازله عن الوزارة بقيت له حرية القول وفتحت لنصائحه الآذان بقطع النظر عن الغايات لما كان ما كان فأمران فى الدنيا يعاكسان الحقيقة بل ثلاثة. عظمة الإنسان وخداع المال والجهالة ففى كل أمر يعاكس الحقيقة افحص تر ذلك أما العاقل

فإذا نطق لسانه بالحق وألقيت عليه التهديدات كما ألقيت على البرنس بسمارك فعليه الاعتصام بالصبر فإن لم تنفذ بالحال كلمته بالحق ستنفذ كتاباته بالحق فى الاستقبال.

كان البرنس بسمارك قد عزم على السفر إلى إنكلترا ثم عدل عن فكره لأمور سياسية فعدول الإنسان عن عزمه لأمور خارقة العادة لا تعد إخلالا بالوعد ولا تقصيراً على أن فى بعض الأمور السكون عواقبه شدة الريح والعود فيه أحمد.. هذه أقوال لأناس يعقلون.

ثم أثناء ذلك وردت علينا رسالة من دمشق الشام تابعة لما قبلها مما صار نشره وفى آخرها صورة تقرير الأطباء العشرين الذين شرحوا جثة الولد هنرى عبد النور وهى هذه.

وأما الرسالة الثانية فمؤرخة من ٢٢ نيسان أبريل لم يتملك محورها البلغارى فى أولها أن زفر من كبد حرى زفرة الرازح الذى ألقى عنه ما يتعبه وصرخ قائلاً الحمد لله قد وجد أمس الغلام المتوارى فى بيت نصرانى وتخلصنا من هذا الكابوس يريد ببيت النصرانى مأوى العجلات الذى ذكر قبلا أنه عند فوهة حارة اليهود حذا الثكنة الشأهانية وكان خبر وجود الغلام فى هذا البئر المجهول معلوما من قبل إذ أن يهوديا اسمه أصلان فارحى قد أخبر عن رجلاً يدعى كميد وذلك فى صيدلية قصر المخشن وعلى مسمع من صاحب الحانوت المجاور بائع عرق السوس وكان هذا الأخبار قبل وجود جثة الغلام الساعة السادسة عربية أى نصف الليل وفى هذا الوقت بعينه أخبر بهذا الخبر فوزى باشا رئيس الظابطة فلما أبلغ إليه لم يتمالك من الاضطراب وظل يقبل ويدبر فى صحن داره فسألته والدته عما به فقص عليها ما بلغه فصاحت به قائلة وما بقاؤك هنا وقد عرفت الحقيقة وما يمنعك عن هتك ستر القتلة وقد علمت بهم فقال لها (ماذا أفعل والأوامر التى أتتنا صريحة لا يمكن مخالفتها) فأنكرت عليه جوابه هذا وأنتهزته ثم انصرفت عنه غضبى وهى تدعو عليه أثقل الدعاء.

تأمل أيها القارئ اللبيب بسيرة هذه الأم الجليلة فلا ريب بأنها خدعت بما قالته الإنسانية والحقيقة فاستحقت أن تذكر بين النساء اللواتى يستوجبن الثناء من فم كل محب للعدل فيا ليت كان لمن لا يخجلون عن المحاماة عن القتلة أمهات كهذه الأم لكانوا يقفون عن إتباع غيهم أو على الأقل كانوا يشعرون يوما بتوبيخ الضمير. ونحن عن بعد نهديك يا

أيتها الوالدة الجليلة خالص الشكر لأن ما أشعرت به وما تكلمت بـه صـادر عـن فـؤاد فيـه استقرت روح الاستقامة.

وكان الذى حمل الخبر إلى حضرة فوزى باشا أحد خدمه عبـده قبـوات النصـرانى المتهود بلغه إياه القتلة اليهود لما لهم بهذا الرجل من الثقة التأمـة (ولا عجـب فـإن الـذى اعتاد على اختلاس الأموال الأميرية والتصرف بأقبح الأعمـال وارتكـاب أشـنع الفظـائع لا يقف عن بيع دينه بدنياه كما فعل هذا المتعجرف) غير أنه رأى عبده قبوات المذكور بإنه كان قد نسى موقع البئر الذى دله عليه اليهود ولذلك ذهب الغداة قبل وجـود الجثـة إلـى مـأوى عجلات حذا البيت الفقيد وسأل الحاج حسنين وقال له هل فى هذا المـأوى مـن بئـر فلمـا أنكر الحاج سؤاله طلب إليه أن يدله على مأوى عجلات قريب فيـه بئـر فقـال لـه الحـاج لا أعلم ولكن حذا الثكنة الشاهانية عند فوهة حارة اليهود مأوى فانظر فيه فقال له أصبت. ثم بادر إلى حيث كان البئر وما كاد يلمحه حتى استروح رائحته كما ذكرت سابقاً وجـزم أن فيه الغلام.

يا ليت والدتك لم تحبل بك ولا تمخضت بك يا عابد القبوات ولم يسمع العالم بـذكر اسمك حتى لا تخدم سافكى الدم ولكيلا تكون مدفناً للحقيقة ومساعداً على خداع العدل.

ولقد كافأت اليهود هذا العبد النصوح على خدمته كمـا تكـافئ يـوداص الكـافر على أن بين مكافأة ذلك وهذا بونا لأن عبده قبوات قبض فى الحال ما جعله أن يكـون الآن حسن الحال مغبوط العيش وكيف لم يقبل ذلك ومخدومه فسح له الطريق وقد ابتاع مـن عهـد غير بعيد ألبسة لم يتعود جسمه على مباشرة مثلها فلما سار البائع إلى منزلـه ليقـبض ثمنهـا أخرج أمامه كيساً قدر البائع أن فيه مئتي ليرة فدفع له الثمن نقداً خلافاً لسالف عوائده.

ولقد اختير البئر هذا دون ما سواه لكى تنفى التهمة عن القتلة اليهـود ويقـال بـأن النصارى رموه فى إحدى آبارهم وأنهم أقبلوا يرجفون بأن اليهود فعلوا ذلك ليـثيروا الفـتن فى المدينة ويسببوا الاحتلال الأجنبى.

وقد ذكرت فى رسالتى الأولى كيـف أن سـايقى العجـلات أقـروا أول اسـتنطاقهم بمجىء أنفار من اليهود وكانت بينهم روجينا المغنية ومشاغلتهم لهم حتى أنفـذوا مـا جـاؤا لأجله من طرح جثة الولد وأزيدكم اليوم أن البئر مشترك بين مأوى العجلات الذى كان من

قبل بيتاً وبين بيت مجاور ليهودى يدعى إبراهيم كثران غير أن الوصلة بين البيتين مسدودة اليوم بأجر وقد كان فى نية إبراهيم هذا أن يطرح جثة الغلام فى بئر خراب أمام منزله لأحد جيرانه نصرى جرمانوس غير أنه خشى إذا فعل ذلك أن يوشى عليه جرمانوس ويرفع الأمر إلى الحكومة فاختار البئر الذى فى مأوى العجلات ولما كانت الليلة التى عينها لرمى الجثة شوهد يذهب ويجىء إلى نحو الساعة الرابعة وهو يرقب منزل جاره فلما فرغ اصطباره نادى أم نصرى جرمانوس وهى فى الغرفة المطلة على الطريق وقال لها إلا ترقدين الليلة ثم لما استفاض الخبر بوجدان الجثة فى البئر بادر إلى منزلها واختبأ فيه خوفاً على نفسه لشدة شكوى الضمير وجعل يصلى ويدمدم بالعبرانية غير أن هذا الخوف لم يلبث أن انقلب طمأنينة وسكوناً بعد نشل الغلام فهو اليوم آمن فى منزله وأدع البال وقد احتفل نهار الثلاث الماضى فى ٢٤ حزيران (يونيو) بزفاف ولده ودعا النساء يرقصن بين يديه فى حين كانت الأم التى أثكلها ولدها الذبيح ترقص فى منزلها رقص الطير المذبوح من الألم. وقد كان بوده أن يدعو روجينا شريكته فى الإثم لو لم يستصحبها إلى حماة حضرة معاون الولاية الذى عزل اليوم ولا شك بأنها لو كانت فى دمشق للبت دعوته وبادرت إليه تغنى فى منزله ويعاطيها كأس الشراب مغسولاً بماء البئر التى طرحت فيها الجثة كما أعطاها كأس الدم من قبل ولا ريب بأن ولده وعروسته تناولا من دم الذبيح بحسب السنة (كما سيظهر ذلك بمحله) ثم قال البلغارى وقد قضينا البارحة ليلة هائلة وإذا كنا لم نصب بما نكره فإنما الفضل فى ذلك نصرح به علانية لا وليا الحكم ولا سيما للوالى مصطفى عاصم باشا. وقد ذكرت هذا المدح جمعية الاتحاد الإسرائيلى فى سجلها بعد أن كانت شحنته بذكر المظالم التى عزتها لدولته فى الطائفة اليهودية فى بغداد وملأت بها أسماع النظارة الداخلية فى الآستانة حتى سببت عزله. وإذا كنا نرى من التغير فى أعمال دولته بشأن الطائفة التى أخرجته من بغداد مكرهاً فإنما الفضل فى ذلك نصرح به نحن علانية للجمعيات التى التأمت فى بيت موسى طوطح وانفرجت عن أكياس عجز يحملها إليه يعقوب عدس وهرون فسيتق وقد ذكر أمس سلمون إسلامبولى اليهودى فى البنك العثمانى بمشهد من بعض متوظفيه أنه دعاه يعقوب عدس إلى اجتماع عقدوه لينظروا فى مال يبتغونه لرشوة أولياء الحكم وأنه قد رفض وما أدرى إذا كانوا دعوه أيضا حينما جمعوا المال الذى أنفقوه فى المأدبة لتى أدبوها لدولته ودايرته السنية فى حديقة الجبخانة من عهدٍ قريب ونسبوها إلى بعض وجوه المسلمين بيد أننى أعلم حق العلم أن المأدبة كانت شائقة جمعت من طيب المآكل والمشارب ما شخصت

له العيون وتجلت له الشفاه. وبينما كانت الأم الثاكلة ساجدة عند لحد ابنها الذبيح تنشب أظفارها فى التراب الذى يوارى جثته كان أولى الحكم سجوداً أمام صحف الألوان ينشبون مخالبهم ليلتقموا ما فيها التقام الحوت. فكأننا فى تلك الساعة نرى العرش الحميدى عرش جلالة سلطاننا الأعظم يرتجف ارتجافا من أعمال هؤلاء الذين باعوا الدين بالدنيا. فما ربحت تجارتهم. فلهم بالآخرة عذاب أليم بما كانوا يعملون.

وقد انصرف المدعوون جميعهم من هذه الوليمة الفاخرة متخمين مكتظين يلازم كل فراشه فى حين كانت أمور حوران وما حصل فيها من الهيجان بين طائفة الدروز والعساكر الشاهانية تطلب اليوم حضور بعضهم ورب أكلة منعت أكلات.

وبعد أن ذكر البلغارى الهارب من العسكرية ما افتراه على جلالة مولانا السلطان من ذكره قول الوالى للحاخام الكبير أن جلالته تيقن أن شكوى الدم تهمة فظيعة أثارتها الأوهام الدينية وأن الحكومة ساهرة على طائفته. قال "ومع ذلك قد جالت والدة الغلام أنحاء المدينة نظير المجنونة وهى تطلب قصاص جميع اليهود الذين قتلوا ابنها" قال جميع اليهود مع أن والدة الغلام الحزينة التى جالت أنحاء المدينة نظير المجنونة لم تطلب معاقبة جميع اليهود وإنما اتهمت ثانى يوم الفقدان أشخاصا دعتهم بأسمائهم. فليكن بأمان من معاقبتهم إذ كانت معاقبة الجمهور كما قال دولته غير مستطاعة ونحن نعلم أن من اليهود أبرياء لم يشتركوا فى ذبح البرىء ولم يعرفوا لا أن ولا مكان هذا المذبحة. وقد نقلت لكم فى رسالتى السابقة ما قال بعض أعيانهم من أن الشعب غير مسئول بما يقترف بعض أحاده المتعصبين البرابرة فكيف مع ذلك يتهم عامة اليهود وإذا كان كلما يأثم فرد ينسب إثمه للجمهور إزاحة للعقاب فما علينا إلا أن ندفع أحد الجهلة منا إذا وجد إلى الانتقام من القتلة ثم نعزو قتلهم إلى جمهورنا ونصبح بأمان من أن تنالنا يد العدل.

ثم عدد البلغارى الاعتداءات التى بنى عليها رسالته وأخذ بها النصارى الباغين ثم قال بعد سهواً وغفلةً وهو منتهى العجب منه أن كل المساعى التى بذلها النصارى ليفتشوا فى بيوت اليهود ذهبت سدى. وقد بحثت الشحنة لأسباب تحملها على أن تعتقد أن الغلام فى بئر بيت نصرانى فى آبار أكثر من مئة وخمسين بيتاً". فكفى بعدم تمكيننا من تفتيش منازلهم حجة على تأثيمهم إذ لو كانوا أبرياء لفتحوا لنا أبوابهم رحبة لتظهر براءتهم ويتضح نقاء ساحتهم من التهمة. وما كان أجدر لو ذكر تلك الأسباب التى حملت الشحنة

على أن تعتقد أن الغلام فى بئر بيت نصرانى. أما نحن فنعلمها وقد ذكرتها ويا حبذا لو تفضل علينا بذكر أسماء المئة وخمسين بيتاً التى صار البحث فى آبارها فإننا لا نعلم منها إلا اثنين وكأنه لم يكتف بهذا العدد حتى قال "بعد أن بحثت الشحنة فى كل الآبار ومعلوم ما فى دمشق منها" وقوله أن البئر الذى وجد الغلام فيه هو لنصرانى لا يثبت شيئاً بعد أن ذكرنا فى شأنه وموقعه ما ذكرناه جلياً وحكينا إقرار سائقى العجلات.

وأما زعمه أن المدعى العمومى هو مسيحى فكذب لم يعهد نظيره مع معرفته بأنه مسلم أبا عن جد وأن اسمه عبد الرحمن أفندى بدران (وصداقة هذا الافندى لعبده قبوات سنين عديدة ومساعدته له على سلب الحقوق إذ كان رئيساً لمحكمة تجارة الشام..لا يجعل بينهما امتزاجا لحد عدم التمييز بين مذهب والآخر) ولا نعلم إذا كان عبد الرحمن أفندى تذكر بأن المسلم من سلمت الناس من شروره وندم على ما فعل وقتئذٍ ولعمرى لو كان ندم على مساعدته قبلاً سلب المال لكان تمنع الآن عن مساعدة إخفاء فظيعة سافكى الدم. على أن المثل قال "وعادة فى البدن لا يغيرها إلا الكفن".

وكذلك قوله أن معلم المدرسة كان حاضراً عند نشل الجثة فكذب أيضا حالة كون الغلام تلميذاً للراهبات العاذاريات. وأما التقرير الذى ادعى بأن الأطباء حكموا فيه بأن الولد مات غريقا بالصدفة فلا أقول فيه حرفا بيد أننى سأبعث اليكم بصورة حصلت عليها من ذلك التقرير الذى أخذته الحكومة من الأطباء العسكريين والملكيين ووضعته تحت أختامها ثم بلغنا عن لسان البعض بأنه استبدل بآخر...أهـ.

إن كان خبر الاستبدال صحيحاً فهل عاد عار أعظم من هذا وهل خيانة للعدل أكبر من هذه الخيانة. كيف أن الذين سلمهم الله وجلالة أمير المؤمنين المحافظة على عبيده ورعاياه وعلى دمائهم وحقوقهم يضحون هم أنفسهم الذئاب الخاطفة للحقوق وهل لا يعلمون بإنه عدا عن المسئولية العظيمة الناتجة عن خداعهم هذا فإن من يحذف من تقارير الحقيقة كلمة بقصد أخفائها يحذف الله اسمه من سفر الحياة. فيا حبذا أصدرت نظارة العدلية أوامر بعمل سجلات مخصومة منمرة ومصدق عليها من محكمة التمييز العالية ترسل لكافة الولايات بالمواد الدنائية المهمة وتحفظ القرمة فى مركز الولاية ليصير تقديمها فى كل مدة للآستانة العلية بحيث يتعسر على المأمورين إبدال ما يكون قد كُتب بديهياً قبل تلاعب أيدى الخادعين وعلى كل فلما كان التقرير المنوه عنه هو بإمضاء عشرين طبيباً فلابد إذا

كانوا خافوا رهبة الوالى وكتموا الآن أمر الإبدال من أنه يأتى يوم تتعاظم فيه دودة الضمير إلى حد أنهم لا يعودون قادرين على احتمالها فيفشون السر فتكون الفضيحة الثانية أشر من الأولى.

لقد أدرجت جريدة المقتطف الأغر بالجزء العاشر من السنة الرابعة عشرة صفحة ٦٨٨ رسالة جاءت إلى إدارتها من سليم ذاكى كوهن فنود نقلها هنا كما هى مع جواب المقتطف عليها.

سفك الدم عند الإسرائيليين

سيدى الأكرمين..

ما كنت لأجسر على مكاتبتكما لولا أمران أذهبا ما بى من الحصر ويقلمى من العجز وعليه أستأذنكما بعرض ما أشكل على فهمه فمثلكما من إذا أراد أفاد..

إن ما يعزى إلى الإسرائيليين من أمر الدم أخذ أهمية عظيمة فى قلوب البعض فى هذه البلاد منذ أمد قريب وذلك مما جرأنى على أن أستفتيكما فى هذه المسألة لأنه أخذنى العجب والانذهال لدى إطلاعى منذ أسبوع على الفقرة المدرجة فى أحد إعداد المقطم (وهو الجريدة التى أخذت المقام الأول بعد المقتطف) لمراسلة الدمشقى الأديب فتبين لى أنه أما أن يكون حضرة مدير المقطم الأكرم إذن بنظرها بعد الإطلاع عليها أولاً فإن كان الثانى فذلك إهمال يؤاخذ عليه وأن كان الأول فأدراجها يدل صريحاً على أن جناب المدير مصادق على ما أتحفه به مكاتبه الدمشقى. هذا وإنى أقرع برسالتى هذه مقتطفكما راجياً منكما تبريد غليلى بمجاوبتى بصريح العبارة ما هو رأيكما وآراء العلماء الأفاضل فى هذه المسألة والله يجزل أجركما ويحسن ثوابكما. بيروت .. سليم زاكى كوهن

(المقتطف) أنه يطلب من مكاتبى الجرائد الصادقين لن يذكروا الحوادث كما يرونها ولا يتعرضوا لذكر آرائهم الشخصية إلا حيث يُطلب منهم ذلك فهم كالشهود العدول يشهدون بما يرون ويشاهدون لا بما يظنون ويعتقدون وقد جرى جناب المكاتب الدمشقى هذا المجرى. وإن كان قد أخطأ فى تقرير الحادثة كما وقعت فالمقطم لا يتأخر عن نشر الرسائل التى تثبت هذا الخطأ ولكنه غير مكلف أن يرتاب فى صحة قول مكاتبه قبل أن يرى ما يثبت الارتياب. ولم يعقب على رسالة المكاتب. لأن المكاتب نفسه يعتقد فساد ما يزعمه

العامة بنوع عام كما يظهر من رسالته. ويا حبذا لو نشرت حكومة دمشق تفصيل هذه الحادثة كما حدثت تماما وتقرير الأطباء وقضاة التحقيق منعاً للقال والقيل. ولو تمهلتم أن صدر العدد ٣٩١ من المقطم لرأيتم فيه نقضاً صريحاً لزعم العامة معززاً بكثير من الأدلة.

أما نحن فقد درسنا هذه المسألة منذ بضع سنين وقابلنا بين ما وقفنا عليه من الأدلة التى تثبت التهمة التى يتهم بها الإسرائيليون وبين الأدلة التى تنفيها فوجدنا أن الأدلة التى تنفيها أقوى كثيراً من التى تثبتها ولذلك اقتنعنا أن التهمة باطلة لا سيما وأنها غير محللة فى كتبهم الدينية مطلقاً .. أ.هـ.

إذا ما تأملنا بما كتبه الفيلسوفان العالمان محرراً جريدة المقتطف لا نود أن نحسب قولهما إلا لقصد تخفيف أحزان بعض اليهود الذين رأوا بحادثة هنرى عبد النور تحريك الأفكار والأقلام إلى إزاحة ستر الخفاء دفعة واحدة عن عادة فظيعة ما زالت موجودة منذ القديم عند بعضهم على إننا نر فى قول حضرة المشار إليهما بانهما اطلعا على إثبات ونفى وأن النفى أقوى من الإثبات ولا يخفى بأن ما يثبت مرة فمائة نفى وألف نفى لا ينفيه عدا عن كوننا سنضع أمام حضرتهما وامام الجميع ليس أثباتا واحدا بل مئات من ألوف غير قاصدين إلا إيضاح الحقيقة. ثم إننا نرجو حضرة الفيلسوفين أن يطالعا تقرير الأطباء الذى سنضع صورته فى كتابنا وأن يطالعا بتأنٍ كل ما ورد عن حادثة قتل هنرى عبد النور فيصادقا على كون تهمة بعض اليهود باستنزاف الدم لم تكن إلا مسنودة على حقائق لا على أوهام كاستناد من ينفون عنهم هذه التهمة ومن ثم فإننا نضع أمام الأعين ما كتبه المعلم لوتاروس الفيلسوف عن اليهود ونظن بأن العالمين الفيلسوفين ينقادان لأقواله كيف لا وهما قد تبعا تعاليمه اعتقادا بصحتها. فهذا ما قاله لوتاروس.

رماداً رماداً اجعلوا كنائس اليهود ومجامعهم وبيوتهم أما اليهود أنفسهم فالقوهم فى الاسطبلات مع البهائم ولتباع أملاكهم وتنفق على المهتدئين ويؤخذ اليهود القوى البنية رجالا ونساءً وليصر إخضاعهم للأشغال الشاقة ولتؤخذ من أيديهم كتبهم الدينية وتلمودهم وليحرم عليهم مطالعتها تحت قصاص الموت وليصر منعهم حتى من لفظ اسم الله القدوس. لا شفقة ولا رحمة على اليهود فلو كان لى عليهم سلطة لجمعت علمائهم وعظمائهم وتهددتهم بقطع اللسان من أصله.

فلماذا كتب لوتاروس ذلك عن اليهود ولماذا طلب منعهم عن تلاوة تلمودهم إذا لم يكن متضمنا شيئاً منكراً.

فنحن مع اطلاعنا على الفظائع التى أجراها بعض اليهود لا نسلم بالحنق والحقد والاضطهاد على وضد جميع الإسرائيليين بل قلنا ونقول أيضا بأن فيهم من الأفاضل على إننا نرشق بسهام التنديد من منهم أو من باقى الأمم يتعرض للمحاماة وللمدافعة عن سافكى الدم من أية ملة كانوا ونوجه خطابنا لحضرة صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا وفوزى باشا وعبد الرحمن أفندى ولغيرهم ممن تبعوا مسيرهم ونقول كم من السنين مرت عندما كتب لوتاروس هذه العبارات عن اليهود وهى الآن بيدنا وتحت أنظارنا فليعتبر دولته ومن شاركه بإخماد حادثة هنرى عبد النور بأن كل ما أتوه من المنكر سيبقى محفوظاً فى بطون التواريخ إلى الأجيال المستقبلة وليتذكرا بأن كل سلطة على الأرض لابد لها من انقضاء وأنه فى يوم الحساب لا تفيد دولته الأموال لأنه سيخرج يوماً من هذه الدنيا عرياناً ولا يفيد المال أيضا حواشيه ولا الحسن والجمال فإن دم الولد الذبيح ودموع والدته المسكينة وذلك القلب وتلك الرئتين الخالية من الدم تقوم عليهم وتطالبهم يوم النشور فى ساعة الحشر وفى الموقف الرهيب. أما كان الأجدر بدولته إتباع خطة العدل بدون محاباة ولا أخذ بالوجوه والإسراع بقصاص الجانين بعقاب شديد. ألم يتذكر دولته الآية الشريفة "ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب".

صورة تقرير الأطباء

لما نشل الولد المطلوب الكشف عليه بأمر الحكومة العثمانية المحلية وذلك يوم الإثنين فى ٢١ نيسان سنة ٩٠ الساعة العاشرة عربية لف بقطعة من الشاش فى المحل الذى وجد فيه وختم عليه بالشمع الأحمر بأختام كثيرين من الأطباء المطلوبين للكشف ولما كان الغد الساعة السادسة من النهار حين ابتدأنا بالفحص وضعت الرمة على مائدة التشريح ودقق فى الاختام المذكورة فوجدت سالمة لم يمسها أدنى تغيير فمزق النسيج عنها فظهرت جثة ولد عمره ست سنوات وكان ملقى على قفاه طوله مائة وعشرة سنتيمتراً وعليه الملابس الآتية مبتلة بالماء.

كان جذعه مكسوّا بردأء (جاكته) قصير من كتان زى ترابيع بيضاء وسوداء مـذرور على مقدم صدره ثلاثة أزرار فقط من التسعة التى فيه وعليه تراب وطـين وكـان قـب العنـق واليدين مفقوداً وكذلك صدرته ولما نزع ظهر تحته فسطان نصفه العلوى من مضام مزرور على الصدر ونصفه السفلى من نسيج الرداء وهو مشمر إلى الأعلى بغير انتظام وعليه أيضا تـراب وطين. فقص بمقص من الأسفل وفكت الأزرار وكشف ما تحتها فظهـر رداء آخـر مـن جـوخ أسود قديم مزرور على الصدر بثلاثة أزرار والرابع مفقود يقابـل العـروة. وبعـد فـك أزراره انكشف عن قميص من مضام رقيق وهو قديم وليس له أزرار مـن المقـدم. فقـص بمقـص مـن الأسفل إلى الأعلى وكشفت السراويل الكاسية الطرفين السفليين وفحصت بالتدقيق فوجدت مقلوبة ووجهها الباطن إلى الظاهر وبالعكس وهى تكسو الجسد من أسـفل السـتره بسـنتيمتر واحد إلى مفصل الركبة وعلى طرفها السائب شغل ركامو وأما أعلاها حيـث تحـزم الـبطن فكان مفتوحاً على الجانبين مقدار ١٥ س مثل كثير من السراويل وعلى كل من طرفى الفتحـة شريط من فتيل المصباح مخيط بالقماش خياطة غير متقنـة تظهـر أنهـا خياطـة رجـل. وكـان الطرفان الأيسران منحرفين نحو المقدم ومربوطين ربطة متينة أسفل السرة بنحو سنتيمتر واحـد بعيداً عنها إلى اليسار نحو ٢ أو ٣ س والأيمنان مـتجهين إلـى الخلـف بعيـداً عـن العمـود الفقرى وإلى يمينه ٤ س وهناك كانتا مربوطتين ربطة غير متينة ووجد على رجلـى السـراويل طين كثير وتراب وعلى اليمنى منهما طين وحصى. ثم قصت السـراويل مـن طرفـى رجليهـا السائبتين إلى الأعلى بمقص. وأما الـرجلان فكانتـا مكسـوتين بجـوربين مـن القطـن الأزرق منقوشاً بنقط سودا وكان الأيمن منهما وأصلا إلى مفصل الركبة مربوطاً عليه بحاشـية نسـيج بعضه أبيض ملون بأزرق الجورب وبعضه أسود وذلك طولاً وكان الجورب مبتلاً بالماء وملوثاً بالطين. وأما الجورب الأيسر فكان منقلباً على الحذاء مغطيا إياه إلى محـاذاة القـدم وهنـاك رباطه كان من نسيج الأيمن وبطوله ولكنه عريض غير منتظم الحافـة الواحـدة الطويلـة. وبعـد ذلك فحص القدمان فكانتا مسكوتين بحذائين جديدين من الجلد الأسود مـن النـوع المسـمى بالطبق وعلى مقدم كل منهما أبازيم من الجانبين مربوطـة بشـريطة سـودا مـن الأسـفل إلـى الأعلى وكانا ملبوسين بالمخالفة أى الأيمن للأيسر وبالعكس على سطحهما طين وتراب. ثـم نزعا من رجليه ونزع الجوربان أيضا فتعرت الجثة كلها من الأبسة التى وضعت جانبا لـتحفظ مختوماً عليها وظهرت الرمة بادية بالوضوح وابتدى بفحصها من القمة التى كانت معـراة مـن الكساء قبلا . ولدى إمعان النظر فى الرأس شوهد منتفخاً وعليه بقع كـثيرة مخضـرة مكمـدة

وكانت نحو القمة إلى اليمين أكثر اتساعا مما إلى اليسار وكان على جبهة العظم الجدارى الأيسر والصدغى انخفاض قليل وكانت الأنسجة هناك رخوة تحت الضغط. وأما بشرته فكانت تنزع بالأصابع بسهولة مع الشعر الذى كان لونه أشقر مشبعاً وطوله نحو ١سم وهو ملوث بالطين. على أنه كانت بقعة واقعة على العظم الجدارى أيمن الرأس وإلى الجبهة العليا طولها نحو ٤ س يحدها تقريباً من الامام متصل الجدارى بالجبهى وعرضها نحو ٣س عارية عن الشعر من قبل وهكذا كان مثلها بقع صغيرة متفرقة. ولدى فحص القسم الجبهى رئى الارتفاع الأيمن أكثر بروزاً من الأيسر بقليل. وأما الأذنان فكانتا محمرتين بأكمداد وعليهما تراب وطين واليمنى منهما فيها حصى وشحمتها منقلبة نحو الصماخ. وكانت العينان وارمتين قليلاً وعند فتح الجفنين شوهد فى الملتحمة أكدار والقرنية مظلمة باهتة وأما الأنف فكان مفلطحاً وبشرته تنسلخ عنه بسهولة ولم يكن به كسر وكان مرطبا بسايل مدمى ينفذ من ثقبه. وكانت الوجنة اليمنى وارمة معراة من بشرتها ولونها مكمداً يضرب إلى الأزرق المخضر وكان الفم مفتوحاً بيضى الشكل وشفتاه متقلصتين منقلبتين إلى الظاهر قليلاً وعلى باطن الطرف السائب من الشفة العليا إلى اليسار انخفاض قليل طوله نصف س ومثله على الشفة السفلى إلى الأيمن. وكان اللسان بارزاً بين الثنايا نحو ٢ س طولاً ولم يكن يتجاوز الشفتين وكان منتفخاً قليلاً بحيث أنه كان مع الشفتين يستر الأسنان وكان عليه وعليهما تراب وطين وحصى. أما الأسنان فكانت سليمة وعليها طين كما كان على الوجه ولم يكن فى الذقن شىء غريب. وأما العنق فلم يكن بها آثار سوى بقع مخضرة بسبب الانحلال البادى وهكذا الصدر والبطن وكانا منتفخين وكان الجلد ما خلا البقع المذكورة مصفرا والبشرة على جميع تلك المساحة تقشر بسهولة وكان أسفل السره نحو سنتيمتر ونصف على محيط البطن أثر حزام السراويل والأربطة المؤلفة من فتيل المصباح المذكور آنفاً وعرض الأثر المذكور وكان نحو سنتيمتر. وكان القضيب والصف منتفخين ولونهما أصفر والأول منهما منعقفاً على زاته ولم يشاهد بالاست شىء غريب. وأما الطرفان العلويان فكانت محدودين على جانبى الجذع منتفخين بعض الانتفاخ وعليها بقع مخضرة مزرقة وعلى متصل الثلث العلوى والمتوسط إلى الأنسية من كل العضوين بقع حمراء صافية بيضية الشكل مساحتها من الأعلى إلى الأسفل نحو أربعة سنتيمتر على أشد عرضها وعلى محيطها أكدار. أما اليد اليمنى فكان على معصمها إلى ظهر اليد على نقطة محاذية للأصبع الوسطى وأعلى من متصل الساعد بالرسغ قليلاً جرح عرضى طوله ثلثا سنتيمتر وعرضه نصف ذلك ناشئ عن

آلة قاطعة وهو لا يتجاوز الجلد إلا قليلاً في المادة الدهنية التي تحته وإلى الوحشية منه والأسفل قليلاً على محاذاة الخلاء الواقع بين قاعدة مشطى الخنصر والبنصر وعلى نقطة تبعد عن رأس العضم العكبرى نحو سنتيمتر واحد وعلى مسير الوريد الأسيلم جرح وخزى يظهر أنه ناتج عن آلة محددة الطرف وقد دخل به بلا معارضة مسبر من فضة كال الطرف وكذلك طرف إبره كان متوسط الحجم غالظها غلظ طابع الدبوس دخل بلا معارضة أيضا مسافة أكثر من سنتيمتر واحد على الوريد الأسيلم إلى الأعلى بانحراف وضمن تجويفه وشرحت الأنسجة فوق الوريد المذكور إلى الأعلى والأسفل حتى ظهر للعيان فشوهد بتجويفه فقاقيع هوا تتحرك تحت الضغط اللطيف فأدخل فيه نحو سنتيمتر إلى الأعلى مسبر رفيع ولزيادة التدقيق حقن من أسفل الفتحة المذكورة على بعد نحو سنتيمترين بماء ملون بأعلى منغنات البوتاس فخرج الماء من الفتحة المراد ذكرها.

وكان جلد قفا اليد اليمنى غير منتفخ والأوردة ظاهرة من تحته منتفخة ولونه بنى زاهٍ موشح ببقع حمرا زاهية صغيرة وأما جلد اليد اليسرى فكان مخضراً بكليته منتفخاً وأما راحة اليد والأصابع فكانت معرأة من البشرة تماما وقد التصقت بها الأظافر التي لم يكن تحتها تراب وطين على أن الطين كان على أطراف السلاميات وفي الراحة فقط. وأما الطرفان السفليان فكان على أنسى فخذيهما بقعة كبيرة محمرة زاهية وأما في ما بقى من الرجلين فلم يكن بهما أثر يذكر إلا حيث يضغط الحذاء عليهما في الثلث السفلي. وكان أخمص القدم مجعداً تجعيداً كثيراً وبشرته تنفصل بسهولة عن ملتقصها وهكذا جلد الأصابع والأظافر. وبعد قلبت الجثة فظهر القفا ولم يكن به آثار سوى بقع الفساد المخضرة. ونزعت البشرة كلها واعيدت الجثة إلى وضعها الأول أى ألقيت على الظهر ونزعت البشرة من الوجه المقدم أيضا وكذلك الشعر من الرأس لأن جميع هذه الأجزاء كانت سريعة الأنفصال عما تحتها ثم غسلت بالحامض الفينيك. وابتدى بتشريح الأعضاء الداخلية فشقت الفروة شقاً صليبياً من المقدم من نقطة متوسطة بين الارتفاعين الجبهيين إلى الحدبة المؤرخية من الجانبين من الشعر الحلمى إلى الآخر وفصلت الأنسجة الظاهرة عن العظم ولم يكن فيها على الجانب الأيمن شيء يذكر وأما على الأيسر فكان انسكاب دم في سماكة الأنسجة وكان ذلك الانسكاب مكان الانخفاض الرخو المذكور آنفاً وكان ممتداً كما سبق القول من قرب متصل الجدارى بالمؤخرى على طول العظم الجدارى إلى الحفرة الصدغية حتى المفصل الفكى وكانت عضلات الوجنة متخللة به أيضا. وبعد كشف الأنسجة الرخوة عن العظم ظهرت التداريز كلها

متخلخلة وكان ملتقى الدرز السهمى بالكليلى متباعداً وكانت تظهر من تحته الأم الجافية ثم نشر العظم على محيط الرأس من الارتفاع الجبهى إلى الحدبة الموخرية وكشف عن الأغشية التى تحته فكانت زاهية فضية اللون قليلة الاحمرار ثم شق الجبيب الطولى العلوى فكان فارغاً من الدم وبعد ذلك رفعت الأغشية عن نسيج الدماغ فكان متلينا رخو النسيج بسبب الفساد البادى فيه وكان لون الطبقة السنجابية مكدرا قليلاً للانحلال والتعفن ولون الطبقة البيضا أبيض فضياً. ولدى فتح الصدر والبطن رفعت الحنجرة مع القصبة والرئتين والقلب معاً وابتدى بفحص الحنجرة فكان لسان المزمار سليماً والحنجرة فارغة من السوايل وفيها بعض جلط دموية صغيرة وقطع من القضامى ثم اتبعت تفاريغ القصبة وجرحت طولاً بيستورى فظهر فى اليمنى منها بعض جلط دموية صغيرة وقطع من القضامى أيضا وأما اليسرى فكانت فارغة منها وأما الرئتان فكانتا مكمدتين بزرقة ضامرتين غير مالئتى للتجويف الصدرى تماما تعطيان بالضغط صوتاً فرقعياً للهواء القليل فى خلاياهما. ولما وضع قطع منهما فى الماء عامت عليه. وأما القلب فشق شطره الأيمن بالطول فوجد فارغاً من الدم تماما إن بطيئاً أو أذنية ومثله الشطر الأيسر وهكذا الأوردة الرئوية والأورطى والأجوفان وباقى الأوعية الدموية المنبثة من القلب.

وأما المعدة فكانت متلينة قليلاً ولدى فتح جوفها وجدت ملأى بكتلة الطعام تتميز بينه قطع القضامى ولم يكن فيها سايل على الإطلاق وقد تمزقت أثناء التشريح بسبب لينها وتعفنها. وأما الأمعاء فكانت ملأى بالغازات ثم نشر الفك السفلى وكشف الفم فوجد فيه من القاضامى بعض القطع وقليل من الجلط الدموية وأثر من الطين .. وهكذا انتهى تشريح الجثة. وثبت الاستنزاف ثبوت الشمس فانكشف الغطاء وبرح الخفاء واتضح الحق وانهزم الباطل وألقى الخوف ستاره والرعبة جناحيها على الأئمة حتى ظنوا بأنهم أشباح فصرخوا يا أرض ابتلعينا ويا جبال أسقطى علينا.

وأما نتيجة كل ما ذكر فهو (على رأى المدافعين عن اليهود القتلة وعن البرابرة القساة الرقبة والقلوب) أن الغلام المستنزف دمه مات غريقاً بالصدفة فإن الغرض والمال أعميا بصيرتهم وأغمضا أعينهم فمن أين لهم أن يميزوا النور. فيا ترى أين خلو القلب والرئتين من الدم أين الجرح الوخزى بآلة حادة أين العروق الخالية من الدم وأين وأين وأين..

فواعجباه وا أسفاه على رجال الجيل التاسع عشر وعلى علومه وفصاحته وتمدنه إذا كان يغشه الضلال ويخدعه النفاق ولكن حاشا فإن الحق قد اتضح. قال بعض اليهود ومن يدافع عنهم "أن الولد سقط فى البئر فمات فلو فرض المحال وكان الأمر كذلك فأين دمه وهو مستنزف على آخر نقطة كما اتضح ذلك من التشريح فلا يمكن الادعاء بأنه انسكب فى البئر من جرح أو من وخزة فارة .. لأنه قد أنزل أشخاص إلى البئر فلم يجدوا فيه من آثار الدم شيئاً..

هذا ما بدا لى أن أذكره فى الرد على هاتين الرسالتين ولعل كاتبهما البلغارى بعد قرأته هذا يتمنى لو أصيب بالخرس ولانبث بكتابته مثل هذه الدفاين وله بعدها أن يقول ما شاء أن الغلام قتلته النصارى فى بيت بعضهم أو مات غريقا بالصدفة وكذلك لصاحب الدولة مصطفى عاصم باشا أن يبحث ما شاء عن اسم مراسل الجرائد فى دمشق ويطلب ما شاء من النظارة الداخلية فى الأستانة الأمر بتعطيل الجريدة التى نشرت هذه الأخبار وغير ذلك من التطلبات.. فإن الله مع الدافعين عن الحق.

فإذا حللت ودون بيتى غاوة * فابرق بأرضك ما بدالك وارعد

ولعمرى ما يرجو دولة من البحث عن اسمى أيستر ذلك ما ابتدعه فى سنن العدل ويخفى خدمته لليهود الذين باعوه فى بغداد بثمن بخس ثم اشتروه فى دمشق بثمن بخس أم هل يظن أنى فى محاكمته لى أقتصر على تعداد ألقابه وذكر مناقبه وأحنى الرأس له إجلالا وتعظيما وما يأمل من البحث فى بيت آل الفقيد وارتياده للحجج وفى نفيهم من دمشق سوى أن يبعث الناس على زيادة المقال فيه ويضم إلى ما سبق من أعماله هذه المأثرة التى تخلد له أثر جميلاً. وهلا ثنى هذه الهمة إلى مقر القتلة ومعاقبتهم كما يستحقون وكما يقضى به العدل والإنسانية ونظامات دولتنا العلية الأبدية القرار وشرف الرتبة التى هو قائم فيها فيمحو بذلك ما تقدم من تحامله وسيئ أثره ويرتجع من حسن الاعتقاد فيه ما خسره براغمته للحق. وإنى لأرجو أن يصادف كلامى هذا منه سمعاً صاغياً وقلباً واعياً ويوافق منه منة جميلة فى إظهار العدل ويداً مبسوطة فى إلقاء القبض على القتلة الباغين والله لا يضيع أجر المنصفين.

وهذه أسماء الأطباء الذين حضروا وأجروا تشريح جثة الولد الذبيح.

عسكريون

الدكتور تميل بك ميرالاى إنكليزى مسيحى.

الدكتور نيقولاكى بك ميرالاى رومى عثمانى مسيحى.

الدكتور لوغاناتى أفندى بكباشى رومى عثمانى مسيحى.

الدكتور ميخائيل أفندى بكباشى عثمانى مسيحى.

الدكتور إبراهيم أفندى قول أغاسى عثمانى مسيحى.

الدكتور صادق أفندى بكباشى مسلم.

الدكتور توفيق أفندى قول أغاسى مسلم.

الدكتور مارقو سيناتى أفندى قول أغاسى يهودى عثمانى.



حضرة الدكتور ماركوسينالي

إني خدمت الدين والدنيا معًا ۞ يا أمتي فلك الهناء بذاتي

ولقد خفيت بفطنتي سراجي ۞ إثبات ذنب ثابت الإثبات

ملكيون

سباستيو أفندى طبيب الكورنتينا إيطاليانى

أنطون أفندى خورى طبيب البلدية

إبراهيم أفندى معاون طبيب البلدية عثمانى

هورد شيانو أفندى رومانى

الفريد أفندى ببولانى إيطاليانى

إبراهيم أفندى مشاقة إنكليزى

إسكندر أفندى مشاقة إنكليزى

ديمترى أفندى سويوفيتش يونانى

داود أفندى أبو شعر عثمانى

يوسف أفندى كحيل عثمانى

يوسف أفندى شحلاوى عثمانى

أما الدكتور مارقو سينانى اليهودى الذى ادعى كون الجرح الوخزى ناتجاً عن سنان فارة فقد سهى عن فكره بأن سنان الفارة لا تفعل كما فعلت الآلة التى رآها بعينه.. والعجب كيف أن حضرته طالع الكتب الطبية وكان له من الذاكرة ما جعله أن يحفظ ما تضمنته لم يعد يذكر بعد أيام قليلة تلك الآلة المسماة (اسبيرأتور) **(Apsirateur)** التى ساعدت على استنزاف دم هذا الولد البرىء حتى آخر نقطة وأن استعمال هذه الآلة لا يقوى عليه إلا الأطباء فقط. فالويل الويل لك يا ساع وراء إخفاء الحقائق. الويل الويل لك يا مساعد على سفك دم الأطفال ومحامى عن القتلة. ترى أين شرف الرتبة العسكرية التى تزينت بها أما تعلمت بأن الثوب العسكرى الشريف يوجبك أن تكون سياج الملك والأمة وأن الذى يدنس شرف العسكرية جزاءه أشر جزاء. فماذا تكون حالتك يا طبيب العلة إذا ما اتصحت يوماً ما أعمالك ومساعيك تجاه العدالة وبلغت مسامع من تهاب سطوته الأسد مسامع السلطان الحميدى الجالس على السدة الشاهانية الراكزة على أعمدة

الحق. ألا تخاف بأن حياتك تباد ويكون ذكرك ذكر سوء وشؤم على مسامع وألسن أبناء الجيل الحاضر والأجيال المستقبلة. فارجع عن غيك إننا لك من الناصحين. لقد كفرت وأى كفر بمدافعتك عن القتلة رفقائك الشياطين فنقول لك اسمع الآية الشريفة. وبشر الكافرين بعذاب أليم.

وأنت أنت يا روجينا التى استندت على حسنك وزهرة شبيبتك وورنقها وعذوبة ألفاظك وسهام ألحاظك لوقاية نفسك من أسهم العدل أنت التى بعت الولد ودفعته للذبح بمبلغ ثلاثمائة ليرة فرنساوية سيزول جمالك وينقطع صوتك وتطفى عيناك فتعلمين بأن إله إسرائيل لا يقبل الذبائح البشرية ولا يرضى عن الذين يدنسون الهياكل والديانة بسفك الدماء. ستكونين ملعونة طول أيام حياتك وتائهة الأفكار. لا ترقدين ليلة على سرير الطمأنينة وصورة الذبيح تترآى أمام عينيك للعذاب الأليم.

كانت أم الذبيح استدعت فى بادى الأمر مساعدة الدول ومؤخراً رفعت التماسها إلى جلالة الملكات فصدرت الأوامر من حكومة إنكلترا وإيطاليا واليونان إلى قناصلها بدمشق لتكليف الأطباء الذين أجروا التشريح والذين هم من تبعتها إلى تقديم تقرير خطى إليها عن هذا الحادث فقرروا (والمأمول أن يسلموا تقريرهم خطاً) بأن أمر الاستنزاف ثابت لا ريب فيه وهو مجموع عليه من الأطباء ما عدا الطبيب اليهودى. ثم أخيرا كلفت حكومة إيطاليا سفيرها بالآستانة لمخابرة الباب العالى. بهذا الصدد باسم الإنسانية والمدنية فالتمس السفير صدور الأوامر اللازمة والمؤكدة إلى وإلى سوريا لإجراء التحقيق عن هذا الأمر وكشف حقيقته وقصاص القاتلين. فصدرت الأوامر المشددة من الباب العالى ولابد من محاكمة الجانبين فإن العدلية العثمانية لا يحتاجها إنهاض همة لإتمام نوايا حضرة أمير المؤمنين سلطان الحكمة والعدل ولا سيما بأمر اشتهر فى جميع أقطار الدنيا ويبقى ذكره حياً فى صحف التاريخ إلى ما شاء الله. ولئن كانت جثة الذبيح هنرى عبد النور قد بليت الآن ولكن دمه ما زال محفوظاً حتى هذه الساعة فى أوان يتناوله أبناء الأفاعى فيكون سبباً ليس لخلاصهم كما يعتقدون بل لهلاكهم فى أعماق الجحيم. أما ذكر حادثة استنزاف دم البرىء الفظيعة فراسخة فى الأذهان مسطرة على صفحات الصدور معلقة بصحف الأخبار فتبقى إلى آخر الأزمنة والأيام.... لقد تداولتها وتتداولها الألسن. رددتها وترددها الأذهان روتها وترويها المحابر والأقلام تناقلتها البرد والأسلاك والبرقية حتى عم انتشارها جميع أنحاء

العالم فتأثرت لها القلوب وبكت لأجلها العيون دموعاً سخية ولانت لها الصخور الصمة وأما القابضون فى دمشق الشام على زمام الأحكام فكالفولاذ قلوبهم قاسية وكالحديد عيونهم جامدة شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق.. لقد اهتموا باستحضار الرتب والنياشين إلى صديق القتلة ومن ساعدهم على المكر والخداع. كتبوا ولم يخجلوا لكى يحصلوا على علامة الشرف لعبده قبوات ذلك الرجل الذى باع الحق بالباطل واشترى بمال الظلم مقرا له بين الكافرين ولعمرى ليس النياشين لتزين بها صدور السفهاء ولا صدور الخبثاء ولا صدور الأردياء بل النياشين لذوى الفضل والمروءة وشهأمة النفس والعفة. فلا نعجب إذا ما نظرنا دولة الوالى مهتماً أيضا لاستحضار الرتب والنياشين إلى يعقوب عدس وهرون فيستق والبلغارى فإنهم خدموه بأكثر مما خدمه عبده قبوات. فتأملوا يا منصفون واحكموا إن كان عبده قبوات ورفقاؤه بما أجروه عبيد لله أو عبيد مخلصون لإبليس وخدام لخدمه الذين لصراخ البرىء يسمعون إلا أنهم يثنون صدورهم.

لقد غرست حادثة هنرى عبد النور كشجيرة فى جنة العدل العثمانى تستقى من دموع ذوى الشفقة والحنو ذوى الحلم والرحمة لا ينشف أصفر الوجهين لهم دمعاً ولا يغشى لهم بصيرة ولا بصراً. ستنمو هذه الشجرة كلما مرت عليها الأيام رغما عن هبوب الأرياح السأمة ما حولها حتى يقال يوماً لقد ازدهرت فأنتشرت عن أزهارها الروائح العطرية لأن أصولها نمت بأرض العدالة وهى تشرب من مياه الرحمة تحت أشعة شمس العدل الحميدى. لا ترقدوا بهنا أيها القتلة المولغون فى الدماء ولا تقولوا لقد مضى البرق فكان خلباً وصفا لنا الجو فكانت غيومه هباءً منثوراً لقد تعكر الجو من جهة المغرب فعما قليل يرسل الله الأمطار لتغسل وجه الأرض التى دنستموها بفظائعكم وشروركم بسفك دم البرىء إذ كان يتململ بين أيديك أيا ظلام فى تلك الليلة الظلماء مضرجاً بدمه تتقاطر عبرأته ويعلو أنينه ونحيبه وأنتم متغامضون وإنما لإتمام هذه الذبيحة البشرية مستيقظون وأبواب الشفقة والرحمة من قلوبكم مغلقلون. ستنقض على رؤوسكم الصواعق فتميتكم موتاً. سيف العدالة مسلول فوق أجبنكم فلا تعلمون أى متى تضرب به أعناقكم فتسقطون إلى الهاوية حيث لا حياة ولا رجوع. الهيجان واحتلال الأجنبى اللذان ذكرتم وذكر محاموكم حصوله والخوف من حصوله متخذين لكم من ذلك ترساً تأملتم أنه يحميكم من أسهم العدل (إذا أخذت أقوالكم بهذا الشأن بعين الاعتبار) فإن كذبكم بالأمرالآن قد اتضح وعلم بأن تلك

الأسباب لم يكن لها من وجود بل أن مكركم أوجدها من الوهم وكون لها من العدم جسماً على أن الحجاب قد انكشف والحبال التى كانت تربطكم واقية إياكم من الهبوط فى هوة مظالمكم قريبة أن تتقطع. " أن فى ذلك ذكرى لمن كان له قلب" ولكن أفئدتهم هواء وأنت أنت أيها البلغارى القلوب المتجاهل الواضع على عينيك بلورة سوداء تريك الأبيض أسود والنور ظلاما فمهما تجاسرت على إبدال الحقيقة بالكذب والبهتان فالحقيقة نور ورداءها الصدق والضياء والكذب نار تتأجج فى قلوب الكاذبين. لقد رغت أيها البلغارى اللئيم بما كتبته يداك كما تروغ الثعالب فى الحقول لقد قلت بنفسك "ها أننى جعلت الحق باطلا ففزت وتكللت يدى بالنجاح" ولكن العدالة واقفة لك بالمرصاد فالويل لك أن عاقبة كذبك وإفترائك على الحقيقة بالبهتان لو خيمة عليك. لم تكتف يا أيها الغر الجهول بإخفائك الحقيقة تحت غمام تعصبك الذميم بل تجاسرت على أن تمس كرأمة الذات الشأهانية العالية المنزهة عن كل عمل يستوجب حتى شبهة اللوم إذ رويت عنها ما رويت من المحافظة على اليهود واعتقادها بأن ما ينسب لهم من استنزاف الدم إنما تعصبات دينية لا أصل لها ثم ذكرك بأن بعض قناصل الدول الفخام قد عرضوا خدماتهم لمساعدة التلموديين (محاماة عن القتلة ومشاركيهم على سفك دم البرىء هنرى عبد النور) فكان قولك هذا مجلباً على رأسك العار واللعنة فإن العاقل لم يعر لقولك أذنا صاغية وما من مدرك عار من روح التعصب المقوت يتصور بأن جلالة مولانا أمير المؤمنين تقتنع بالقول أن التهمة صادرة عن أوهام دينية فتمنع رؤية دعوى القتل الشنيع والخيانة الفظيعة. ومن يصدق بأن وكلاء الدول يمدون يد المساعدة تجاه القتلة ليكونوا مشاركين لهم بسفك الدم كما شاركتهم أنت يا فاجر بمدافعتك عنهم ووضع الستار على جنايتهم أو يحمونهم عن غايلة القانون. أما نحن فالذى نعلمه ونعتقد به ونصدقه فهو أن جلالة سلطاننا عبد الحميد إنما هو شمس العدالة بالذات وأن قناصل الدول فى دمشق الشام وغيرها يحافظون على مبادئ الحرية والإنسانية وينتصرون للحق وما سكوتهم بحادثة هنرى عبد النور إلا لكونهم واثقون بعدالة الباب العالى ومؤكدون بأن جناية استنزاف الدم ستأخذ مجراها القانونى رغماً عن كل مقاومة.

أما ما جاءتنا به جريدة نهضة إسرائيل التى تطبع فى القاهرة لما كان من جملة الأقوال الملفقة والمنتفخة انتفاخ المنطاد (البالون) فلا نرى من لزوم لأن نأخذكلامها الفارغ بعين الاعتبار بيد إننا نطلب إليها أن تراجع تلمودها الذى تتجاهل معانيه وتحاول إخفاء مبانيه وتمعن النظر فما جاء بفصل نهدرين وعابوره زاره وعروبين وبراخوت وبياموت

ويتراوكتين وما ذكره الرابى يعقوب فى كتابه الطور بـوردو والمشـنى تفسـير التلمـود للرابـى موسى بن ميمونة وكتاب تسلحا وعاروخ حش مشياط وبعد ذلك نكلفها تقول لنا هل تحوى هذه الكتب إباحة دم وعرض ومال الخارجين عن دين بنى إسـرائيل لأنهـم معتـبرون كبهـائم وحيوانات أولاً.. ولقد جاء بحديث فى الجامع الصغير للسيوطى (ما اختلى يهـودى بمسـلم إلا وحدث نفسه بقتله).

وفى بعض الكتب للامرأة اليهودية حرية التصرف بجسدها بغية الوصول لفائدة لهـا أو لأبناء دينها.

وسنعود إلى ذكر بعض عبارأت التلمود والكتب التى يعتبرهـا التلموديـون منزلـة ونذكر كثيراً من الحوادث التى تعيد كيد النهضة الإسرائيلية لنحرها فينقطع صـوتها وتصـفر اصفرار الموت فلا تحصل على نقطة دم لتحيى بها إلا إن كان يرسل إليها بعض نقط مـن دم هنرى عبد النور من دم هذا الولد الذى ذهب فريسة الوحش التلمودى..

لقد نقلت إلينا جريدة الفارد الإسكندرى بعددها ٢٤٢ تاريخ ٣٠ أغسطس من سـنة ٩٠ الخبر الآتى تحت عنوان.

وحـش

لقد نقلت الجرائد الروسية حادثة على جانب عظيم من التوحش. جرت هذه الحادثة فى ببالوستوك. قالت إنه منذ بضعة أيام كان ولد يهودى له من العمر اثنتا عشرة سنة مارا أمام جنينة الدكتور كرانويسكى وكان باب الجنينة مفتوحا فأجلبت الولد شراهته إلى أن يدخل الجنينة فيقتطف منها بعض الأثمار فلما نظره الطبيب المذكور انحدر إليه وقبض عليه فأتى به داخل البيت ونزع عنه أثوابه وبدا يضربه بباقة من القراص ثم تناول منشطرا ونزع من ظهره قطعة من البشرة بقدر كف اليد ثم أخذ قلما من نترأت الفضه (الحجر الجهنمى) وكتب بها على وجه الولد كلمة (سارق) باللغة الروسية والألمانية والعبرية ورسم له على أنفه صليبا وعلى شفته العليا شنبات وتركه على هذه الحالة فجاء الولد نحو والدته ووجهه منتفخ بسبب ما جرى له فما كادت أن تراه حتى أغمى عليها وحصل لها من هذا المنظر المفجع ارتجاج فى الدماغ أفضى بها إلى الجنون فصار وضعها فى المارستان. أما الولد فأخذإلى المستشفى وحالته تنذر بالخطر وستجرى محاكمة الطبيب المذكور.

فيانهضة إسرائيل ويابنى إسرائيل من حاخامات وعظماء وأماثل وعلماء وأكابر وأصاغر إليكم جميعا نوجه الخطاب هل ترون النصارى يدافعون عن هذا الطبيب الروسى الذى يحق لكل من شب على الشعائر البشرية أن يدعيه ليس وحشا فقط بل وحشا ضاريا فأننا من أول الذين يصرحون علانية بطلب مجازاة هذا الرجل العديم العديم الشفقة (هذا إذا كان الخبر المنقول عنه صحيحا) ونعتقد بأن الحكومة الروسية (رغما عن اضطهادها لليهود) ستأخذ بناصر هذا الولد الغير البالغ وتشفق على حالة والدته المنكودة الحظ وتجرى إيجاب العدالة والقانون بحق المجرم بقطع النظر عن الجنسية أو المذهب. أكبادنا تتفتت على ذلك الصغير الذى قاسى العذاب وهو لا يستحق عذابا بين يدى الطبيب الظالم المعتسف فإذا لا سمح الله قضى على الولد بعلة ما أصابه فمن لا يشتهى أو من لا يطلب بلسان البشرية وبلسان العدل مجازاة الجانى وفقا للقوانين المرعية قصاصا لعمل وحشى تخجل منه الإنسانية. فالكل يعطى الحق لتلك الوالدة الحزينة أن تطلب الانتقام من عدل الله وعدالة الحكومة ويكون ملعونا من يعاكسها. فمن منكم يابنى إسرائيل يطلع على حادثة هذا الولد اليهودى ولا ترتجف فرائصه أو من منكم يتأمل بحالة هذا الولد وعذابه وآلام والدته ولا يذرف الدموع أو من منكم لا يطلب مجازاة هذا الطبيب والنمر الكاسر فإذا لا سمح الله قام أحد من الإسلام أو من النصارى ودافع عن هذا الطبيب واجتهد فى إخفاء فظيعته أو بذل المال فى سبيل إخفاء الحقيقة ثم قال أن هذا الفعل أجراه أقارب الولد أو حصل بطريق الصدفة أو أن فارة فعلت ذلك... ماذا تقولون عنه لا شك بأنكم بصوت واحد تصرخون فليرجم هذا اللئيم بالحجارة إلى أن يموت فدمه مباح (ويكون معكم بذلك حق) فلماذا ياترى لم تكن عندكم نفس هذه الشعائر ويخرج من أفواهكم نفس هذا الصراخ بأمر حادثة هنرى عبد النور وتعذيبه واستنزاف دمه بطريقة وحشية وهو لم يأت بشر ولا ارتكب ذنبا ولا شبه ذنب أليس عار عليكم أن تبذلوا المال وتجردوا الأقلام للمدافعة عن قاتلى هذا الولد البرىء أفليس هو من لحم ودم وخليقة الله ربنا وربكم أليست والدة هنرى عبد النور أما حتى ترق لحالتها القلوب اسألوا والدة الولد حالة يهودى (ولو كانت مجنونة) فهى تجيبكم عما تقاسية من العذاب اسألوا الأمهات بين نساءكم فيعلمنكم بفظاعة سفك دم الأولاد وتعذيبهم وبعد ذلك قفوا وامتنعوا أن تفعلوا بالناس ما لاتريدون أن يفعل الناس بكم. وأنت يا نهضة إسرائيل كونى لإنهاض الحق وليس لإنهاض الباطل ندى على الإسرائيليين الذين هاجوا وماجوا مذ قرأوا حادثة هنرى عبدالنور وعلى أولئك الذين بادروا فى الحال

لاستعمال الطرق توصلاً لإخفاء الحقيقة لقد هم كثيرون فساروا يطلبون توسط السلطة لإطفاء الأخبار والمقال بما يتعلق بأمر نسبوا لعواقبه الشقاق ومضادة روح ديانتهم ولقد سمعت آذاننا كثيرا من التنبيهات من المراكز العالية ولكن أولى السلطة لم يخرجوا عن دائرة هذه التنبيهات الحبية لعلهم أن يخروجهم عنها مضادة لروح العدالة. ولقد أضحكنا كثيرا كتاب ورد علينا بإمضاء أحد اليهود يقول فيه "لقد تعجبنا غاية العجب مما أدرجتموه بجريدة المحروسة ضد اليهود فننصحكم أن تسكتوا و إلا فلو لزم الحال ندفع ألفى جنيه لتوقيف الجريدة فلا نتأخر" .. وهل يلام من يجرى إيجابات ديانته .. والسلام ...

والدة الذبيح هنري



اذا لم يعدل الحكام فاعدل * ايا ربّاه في يوم النشور
اذا ظلموا ايا ربّاه فاظلم * عليهم في الحياة وفي القبور

ثم جاءتنا كتابات كثيرة تهديدية مسبوكة بعبارأت البذاءة والدناءة فطرحناها حيث تستحق أن تطرح وقد جاء مرارا من يستدعينا لمقابلة فلان بك وفلان معتبر من

اليهود ومن يستقصى الخبر ويطلب معرفة اسم الكاتب الشامى فلم يحصل عن كل هذه الوسائط فائدة لأولى الغايات ولا لمبغضى الحق والعدل ومن جملة ما ورد علينا كتاب من الإسكندرية وفيه ." من برهة توجه الحاخام باشى وبرفقته يحيى بك عند دولتلو مختار باشا الغازى وعرضوا لديه عما كتبته المحروسة ولم نعلم غير ذلك ثم من برهة ثلاثة أيام حضر شالوم طوبى عند الحاخام باشى وقال غرامة القضية ألف أو ألفين جنية تدفع لتعطيل المحروسة ولو ستة أشهر مع سجن صاحبها يكون أشرف لنا ..... آه

لم يعلم حضرة الشالوم بأن حكومة الحضرة الخديوية بعيدة عن أن تعير لأقوال أعداء الحق أذنا صاغية يجهل حضرته بأن الذات الخديوية منزهة عن كلما يخدش القانون والنظام وأن المال لا يميل إليه قضاة الحق والعدل وأن أبا العباس هو الأسد الحامى الحرية وأن فى أيامه تلمع شموس الأمن وقد شادت العدالة لها فى مصر عرشا مؤبدا. يجهل اليهود بأن دولة الغازى أحمد مختار باشا رب السيف والقلم يحمى الحقيقة ضد أعداها وقاصدى دفنها وأن دولته يراعى شعائر العدل ويعلم أنه هو أساس الملك والعمران وأنه يود التوصل لمعرفة حقيقة ما يتهم به بعض اليهود حتى إذا ما رأى الصحيح يأخذ بناصر من ينتصرون للأبرياء ويدافعون عن حقوق الضعفاء ولا بد أن تبلغ الحقيقة مسامع سمو مليك مصر وتوفيق العصر وهى القائلة لسموه

حقا أيا توفيق حكمك عادل ولعدلك السامى البرية تحمد

عصـر النبـوة كان فيـه محمد عصر العدالـة أنت فيه محمد

فلا يعد يتحاسر أعداؤها على المثول أمام سموه أو تطويح أنفسهم فى بحر الآمال الفارغة. ولقد جاءتنا كثير من المكاتبات انتصارا للحقيقة فأخذنا كتابا واحدا منها وها هو بحرفه حضرة........

لافض فوك على ما جئت به تحت عنوان صراخ البرىء ولا حرمنا الله منك نصيرا للحق وعضدا للإنسانية وأننى لا عجب كيف أن الجرائد والكتاب وأهل الأدب والهيئة عموما لا تقوم تبحث عن هذا الأمر المهم وتبين الحقيقة فى كل حال لأنه إذا كان ما جاء من الشام عن بعض اليهود حق فالأرض بأجزائها يجب أن تقوم عليه وتقتص من الجانيين قصاصا لذنب يرجف الكون منه. الشائع الآن أن بعض اليهود كتبوا إليك يطلبون منك

السكوت عن هذا الأمر ويحاجونك بقولهم إيلام الإنسان إذا تم فروض دينه...... وإن بعضهم يتهددونك بالأذية وبالقتل إلى غير ذلك مما نسمعه من الخاص والعام

أصحيح ذلك أصحيح إذْ ما سمعته منذ الصغر عن بعض اليهود أنهم فى كل سنة على عيد الفصح يستنزفون دم طفل بعد أن يذيقوه أمر العذاب مدة ثلاثة أمهاتنا ونحن أطفال كن يخفوفننا من الذهاب بين اليهود لئلا يصلبوننا ويستنزفون دمنا ولكن لما كبرنا ظننا أن ذلك حيلة علينا لكى لا نخرج من تحت نظرهن مع إننى اتذكر وأنا بعد فتى بأن أحد أقربائى أخبرنى أنه وهو مار فى حارة اليهود فى بيروت مع أبيه تأخر عنه بعض خطوات فخطفه أحد اليهود وحمله إلى بيته الذى كان على الزروب ولكنه أخذ أن يصرخ حتى ملأ الحى من صراخه فخاف اليهودى وأطلقه.... فاخدم الإنسانية أيها الفارس وتكرم علينا بما تعلمه بهذا الشأن واكشف الحجاب عن المسئلة. فعار على من يعلم حقيقة هذه ويخفيها وعيب كبير على ابن انثى عنده شىء من الشفقة والإنسانية إذا لم يساعد على تبيان الحقيقة والأخذ بناصرها للتوصل إلى استئصال هذا الشر الفظيع من الأرض إذا كان أبدا فيها.

وكان اليهود فى الشام وبيروت والإسكندرية ومصر باهتمام كلى لمنع البحث فى قضية هنرى عبد النور فقامت الجرائد الإسرائيلية تجرد الأقلام للمدافعة عن القتلة وكانت الكراسة الأولى من صراخ البرىء بلغت دمشق وبيروت ورغما عن جميع الاحتياطات التى اتخذها صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا لإخفاء أثرها قد انتشرت فكان لها وقع عظيم عند العامة وقد تخصصت دولته بنسختين منها ولهذه الساعة لم نعلم ما أجراه هذا الشهم فهل بادر مهتما بغسل تلك النقطة السوداء التى ألقاها على صفحات تاريخه أو أحب أن يزيد عليها خلافها بمدوأمة البحث عن محبى الحق والعدل لينتقم منهم غير مكترث بما قيل من أن الانتقام صفه اللئام وليس من شأن الكرام تابعا قول من قال. أنا الغريق فما خوفى من البلل.

ولقد تصفحنا فى هذه الأيام نسخة من جريدة (لافرى فرانس) فرأينا فيها رسالتين منقولتين عن جريدة (أرشيف دالاليانس إيزرائليت) بعث بها معتمد جمعية الاتحاد الإسرائيلى فى دمشق دفاعا عن حادثة القتيل فما كنا نظن بأن القحة تحمل هذا المكاتب

على الخوض فى هذا البحث وتسويد وتشويه وجه الحقيقة وطرح غطا الكذب عليه إلى درجة تاباها العقول السليمة

لقد أراد هذا المدافع أن ينفى (كما فعل غيره) ما يتهم به اليهود من اغتيال الأطفال واستنزاف دمهم فاستصرخ العدل أن يحكم بينهم وبين المفترين (ولم يفعل ذلك إلا لتأكيده بأن باب العدل أثناء صراخه كان قد قفل فى دمشق الشام بهمة صاحب الهمة دون صراخ البرىء المستنزف دمه ودون وجه والدته الحزينة) ورغب فى نفى التهمة فسرد من حوادث الاغتيال ما أيد به التهمة فكان فى دفاعة كالباحث عن حتفه بظلفة أو كالقاطع مارن آنفه بكفه.

رويدك أيها الإسرائيلى لا تأخذنك الحدة فى قولك فتلقى على كاهل المسيحيين أوزار البعض من بنى ملتك الغادرين الفاتكين ولا تطلبن لإخوانك فى اليهودية مخرجا من حمأة الرزائل بترديد ذكر الحوادث الفائتة أن فى الرجوع إلى ذكر حادثة البادرى توما وخادمه إبراهيم قمارة عود إلى ذكر الفظائع البشرية عود إلى ذكرى الذبائح الإنسانية عود إلى بيان ما أنطوت عليه قلوب البعض من الأمة الإسرائيلية من الضغينة والحقد وارتكابهم حالة تظاهرهم بالرقة والوداعة والأنس واللطافة أعمالا بربرية تحمر لها وجوه قومك فى كل صقع وناد

أتظن فى العفو عن ذويك وقتئذ مخرجا لهم مما جنته أيديهم أو أن العفو عن جناية ما يقرر برأة الجانى فى أعين العادلين وحيث الحال كما ذكر فإننا سنورد عليك حادثة قتل البادرى توما ونقص عليك وعلى العموم ظروفها والعفو الذى أشرت إليه فتخرج إذ ذاك من دائرة الغرور على إننا نسألك السؤال عن تلك الحائثة المريع من شيوخك من حاخام وريان فهم يطلعونك على الحقيقة سل رئيس حاخاميك فإن أبى عليك الإجابة بدعوى عدم جواز الإقرار وهو فى الإسرائيلية فسله أن يخرج من اليهودية إلى الإسلامية كما فعل أبوه السيد محمد أفندى أبى العافية فيخبرك كيف ذبح البادرى توما وكيف أخذ دمه وأين ألقيت اشلاؤه وكيف اخرجت من أمام دار الهرارى واية مكيدة فعل أولئك الأشرار وقتئذ بقصدإخفاءأثر الجناية. أدخل الدار الهرارية أو الدر الفارحية فتنبئك الأحجار بما لقيت من هول تلك المذبحة المرعبة .فإذا وقفت على الحقيقة فاسدل حجاب النسيان على تلك الفاجعة وقل كما يقول غيرك من أبناء مذهبك المغترين " أن البادرى توما قتل لعداوة شخصية

وليس بقصد استنزاف الدم إننا لا نأكل الدم فهو محرم علينا ولا نستعمله فى الفطير ولا نسقية عرساننا ولا ندهن به أطفالنا عند الختان ولا نمسح به مرضانا إذا احتضروا ولا.... ولا...."وإذا لم تكن ممن بلغتهم الأسرار لأنك لست بسيد قومك فاحلف يمينا يتلوه عليك مشايخك ولا يكون باعثا لك بعد خروج روحك أن تدخل دورا ثانيا فى هذا العالم بشكل هرة أو كلب أو حمار..... (سيأتى تفصيل ما ألمحنا عنه بعبارات واضحة ليتم ما قيل. لاخفى إلا سيظهر ولا مكتوم إلا سيعلن ويعلم .... لقد ذكرت جريدة المقتطف الغراء بجوابها لحضرة الذكى سليم زاكى كوهين بأن فى عدد المقطم ٣٩١ نقضا صريحا لزعم العامة معززا بكثير من الأدلة (انظر صفحة ٨٨ من كتابنا هذا) فبعد أن بحثنا فى ما جاء بالعدد المذكور وقلبنا مرارا رسالة ذلك الفاضل اليهودى الإسكندرى (ولا نحسبه إلا من فطاحل عائلة كوهين لم نجد من ذلك النقض الصريحالا ألفاظا نبتت فى السباخ وما تلك الأدلة الكثيرة إلا جعجعة دون طحن. وهذا سبيل كل من تعرض من مثل هولاء المتشدقين لدفع حجج المحققين الأثبات. قال مؤلف فرانسا اليهودية فى كتاب له ظهر حديثا: (ولو شئت لسبقت هولاء فى ذكر ما سيدفعونه فى وجه الأدلة التى نأتى بها. فما نكاد نسمع لهم إلا "ذكر عصر الحرية وفلسفة الخلق وازدهار أنوار الحقائق مشرقة على نور العالمين هازمة أمامها ظلمات الجهل ناسخة أية الأباطيل" إلى آخر ما يعددونه من الأقوال التى هى كالخلاف له منظر فى العين ولا ثمر فى اليدين)

فما شاحن فيه ذلك اليهودى الإسكندرى من الرسالة التى كتب بها إلى المقطم من دمشق مدفوع إذ أنها كتبت فى بدء الحادثة على حين كانت الآراء الصحيحة خافية بعض الخفاء والتفاصيل الحقيقية مستورة برماد الإشاعات والأراجيف ولو سئل كاتبها لأخبر بأنه تلقن ما كتب فيها من أفواه بعض أهالى دمشق وأرسل بها وهو على وشك الرحيل عن هذه المدينة وهو لم يتعرض وقتئذ لإثبات الحقيقة نظرا لعزة الإثبات فى ذلك الحين مع تيقنة خلافا لكوهن الإسكندرى أن الولد مات مستنزفا لا غريقا ولقد ثبت الآن تيقنه ليس فقط من الأقوال التى شاعت فى دمشق وكانت ولم تزل شايعة بين كل الشعوب والأمم وسائرة فى جميع الأقطار مستفيضة بين البدوى والحضرى والمتمدن والبربرى على تباين المشارب والعادات وتناقض الأديان والمعتقدات بل من نفس هيئة الولد وتشريح جثته ومئات من الظروف التى ذكرت وستذكر أيضا كيف لا والقول باستعمال بعض اليهود الدم البشرى قول نظم حاشيتى البر والبحر وأجمع على الأخذ به كل سكان الأرض فى جميع العصور

والأزمنه فإذا صح ضلال فرد ذهب إليه فمن المستبعد تصور ضلال العموم ولكن نفترض بأن مكاتب المقطم من دمشق ضل كما قال الفاضل الإسكندرى واقتصر على قص الأخبار الشائعة فأى خبر ثبت ذكر حضرته وما هى الأدلة الساطعة التى أتى بها دفعا لما ثبت من استنزاف دم الغلام البرىء فغاية ما تمكن من ذكره بعد أن عصر له رأسه أياما طوالا وطالع له أسفار الأعصار السالفة شتان بنى كل منهما على التخيل تابعا بذلك خطة أسلافه الذين تصدوا لدفع الحق بأسهم البطل ولستر الحقيقة بغطاء الوهم فليس فى أفواهم صدق حناجرهم قبور مفتحة.

الأول:" أن الغلام مات غريقا لأن الذين يموتون كذلك فى آبار سوريا كثار لكثرة آبارها المكشوفة التى يخشى منها على الكبار فكيف بابن ست سنين والثانى " أن البابا الحالى تفادى من جرح حاسات الشعب الإسرائيلى وأن البابا أبنوشنته الرابع حرم فى سنة ١٢٤٧ القائلين بقتل الأطفال بدعوى أن شريعة اليهود ما وإليها ذلك وأن الأب رفرت حلف بأن حادثة البادرى توما عارية عن كل صحة.


حضرة الدكتور نيقولاكي بك
حضرة الدكتور سباستيدي افندي
علينا ان نقول الحق نلقى * من الرحمان يوم الحشر أجرا
فان الحق يعلو كل أمر * وسيف الحق يأتي المرء نصرا

أما الدليل الأول فما كان أجدر حضرته الفاضلة أن يسأل اخوانه اليهود فى دمشق على حالة الآبار فيها وعن عدد هؤلاء الكثار الذين يموتون فيها قبل أن يهجم على ذكر ما ذكره فبمراجعة ما ذكرناه عن حالة البئر التى وجدت فيه جثة هنرى عبد النور ما وإليها امتناع وقوع هذا الولد فيه بغير فعل فاعل ومن المعلوم بأن العادة فى دمشق الشام هى تطويق الآبار بحجارة أقل ما ترتفع عن سطح الأرض نيف ومتر ونصف فكيف لابن ست سنين أن يقع فيها إذا لم يتعمد ذلك وكيف يرمى هنرى عبد النور نفسه فى تلك البئر طواعية يوم عيد الفصح وعليه حلته الجديدة وفى منزله الحلواء اللذيذة والألعاب الجميلة معدة لحين قدومه.

ولقد كان من المكتشف الغريب المهم جدا الذى كان على المقتطف أن يزين به جيده مع الاكتشاف الذى ذكره فى حقيقة الدفتريا موت غلام بأسفيكسيا الغرق (مع خلو العروق والرئتين والقلب من الدم) ثم أنه إذا صح أن هنرى عبد النور مات بأسفكسيا الغرق فلم اضطرب اليهود هذا الاضطراب وانكمشوا ذلك الإنكماش وبادروا فى أثناء الحادثة وقبل أن تثبت عليهم شكاية إلى الاعتصام بملجأ صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا والجأر إلى إخوانهم ورؤسائهم فى الخارج والزيادة فى أوقات الصلوات والاجتماعات خلافا لما سبق من سكونهم حينما كان يتهمهم بعض الناس عند فقدان بعض أولادهم ولم عندما وجدت جثة الغلام طربوا ذلك الطرب وأقبلوا يشرون بعضهم بعضهم كأنهم نجوا من أسر بابل ثم تقدموا فى تزيين منازلهم مثل تزيينهم فى عيد لهم عمومى وإذا كان خال الولد قتله كما زعموا أو بعض من رجال الكهنوت النصارى ثم رموه فى بئر نصرانى (ليس عند فوهة حارتهم ولا أمام الثكنه الشأهانية) فما الذى بعثهم من مرقدهم الوثير كما قال كوهين رئيس صبيانهم وأى دخل لهم بما كان بعيدا عنهم بلى لا ننكر يكون التهمة ألقيت على بعض أناس اتفق أنهم كانوا يهودا ولكن لم ثاروا كلهم ذلك الثوران وسعوا ذلك السعى فى طمث آثار البحث والتنقيب وإخفاء نتيجة التشريح ومنع إتباع سير الدعوى (القضية) ومحاكمة المتهمين. كان للطائفة بأثرها غاية فى الاستنزاف إرادتها واستخدمت لها أفرادا منها. وهب أن اليهود فى دمشق بعثهم الحسب أو النسب على أن يدافعوا عن المتهمين منهم فلم انبرى هذا الفاضل الإسكندرى الغريب النسبة والدار للمدافعة عن الأمة بأسرها. وهلا فطن وفطن غيره أن فى تعميم الإثم الخصوصى دفعا لوقوع الجزاء إثبات لهذا الاثم وليت

شعرى أى نسبة بين ذكر حادثة استنزاف دم هنرى عبد النور وفروعها وبين ما ذكره الفاضل الإسكندرى وغيره كمراسل جريدة الفاردالاكسندرى وما الفائدة من ذكر كون حاخام لوندره كتب إلى الكاردينال مونن وفلان المدرس فى نسبروك حلف أن اليهود لم يقترفوا مثل هذا الأثم لافى القرون الخالية ولا فى الحاضرة وهل هذه الأقوال تنفى حادثة استنزاف دم جرت فى دمشق لافى لوندره ولا فى نسبروك وتجعل الصحيح وهما والحق باطلا لقد ادعى أقارب الولد هنرى عبد النور قتله مستنزفا واتهموا بعض اليهود وأتوا بالبينات الواضحة والأدلة الساطعة فما بال هؤلاء الكتبة الفطاحل يواربون مثل هذه المواربة ويدورون فى المسألة هذا الدور ويسرعون (عوضا عن دفع ما تعزز بالحجج الدامغة) إلى ذكر مثل هذه الأسماء المستهجنة فى مثل تلك البلاد النائة وهل يعقل بأن حادثة جرت سنة ١٨٩٠ ينقضها قول قيل سنة ١٢٤٧ فتأمل .

وأما الدليل الثانى فقد ذكر فى صدره أن حاخام لوندره اعتقد " استنادا على مأورد فى بعض الجرائد أن قداسة البابا لاون استحسن كتاب الموسيوديبورت المعنون سر الدم Le mystére (dusang) وأنه أى الحاخام كتب بذلك إلى الكردينال مونن منكرا له وأن الكردينال هذا عرفه بعد مكاتبه الكردينال رامبولا أن هذا الذى اعتقده وهو لا صحة له فينتج من ذلك أن حضرة الحاخام العلامة الفاضل يعير أذنا صاغية لكل الأخبار المختلفة ويعتقد بكل الحكايات السائرة وأن الكردينال رامبو بين له خطأه بواسطة الكردينال مونن. أما رأى الكردينال مونن فى هذا الشأن فلا نعلمه وما ذكر فى الجريدة لا يثبت شيئا إذا اعتقدنا بعد ذلك صحته إذ أن نيافتة عالم محقق ولا سيما فى تاريخ بلاده فهو لا شك مطلع على ما ذكره برمبتون وجرفيز الانكليزيان وغيرهما من المقاتل العديدة التى حدثت فى انكلترا كمقتل القديس غليوم فى نورديك سنة ١١٣١ على عهد الملك إتيان ومقتل غلام آخر فى كلوستر سنة ١١٦٠ على عهد هنرى الرابع ومقتل رويرت فى لوندره سنه ١١٨١ وكذلك مقتل سنة ١٢٣٥ و١٢٤٥ و١٢٥٤ و١٢٥٧ و١٢٧٩ مما سنأتى بذكره إن شاء الله توضيحا وتفصيلا .

وما نقله بعد عن قداسه البابا الحالى من أنه " أبعد الناس عن جرح حاسات الشعب اليهودى " لا ينفى تهمة ولا يبرى ذيلا إذ أن انقباض قداستة عن استحسان كتاب سر الدم ليس إنكارا لما ورد فيه. ولكن حزنا وغما لذكرى ما ذكره فيه " وتفاديا من جرح

حاسات الشعب اليهودى " والتصريح بما يسؤهم سمعه ويؤلمهم ذكره فالسيد المسيح نفسه الذى احتمل الصلب من اليهود طلب لابية أن يغفر لهم لانهم لا يدرون ماذا ماذا يعملون (على أن يهود الجيل التاسع عشر نظنهم يدرون بما يعملون ولا نظنهم إلا أنهم يعقلون فلا يسلمون بالقول عن البرىء (دمه علينا وعلى أولادنا) فلا عجب إذا عاملهم قداسة البابا لاوون بالرفق ومن المعلوم المستفيض ما كانت علية الباباوات فى كل عصر منذ أول قرون النصرانية من التلطف باليهود والتقريب إليهم والمدافعة عنهم يرجون بذلك أن يستدنوا قلوبهم ويسهلوا لمن عساه منهم أن ينتصر سبيل التنصر فلا يرد بسبب ما لعله يكون تلطخ به قبل من جرائم القتل ولنا أعظم شاهد على ذلك ما صرح به البابا اينوشنته الرابع فى رسالته لأساقفة ألمانيا وفرنسا كما يأتى وهذه الرسالة التى استشهد بها الفضل الإسكندرى وتاريخ إرسالها فى اليوم الثانى من شهر تموز (يوليو) سنة ١٢٤٧ لا (سنة ١٣٤٧) وقد استشهد بها قبلة حاخامات إيطاليا لما قتل بعض اليهود أحد غلمان الأروام فى ازمير سنه ١٨٧٢ واتخذوها حجة على براءة القاتلين فنشرتها إذ ذاك بتمامها جريدة الوحدة الكاثوليكية الإيطالية فى تورين فى العدد ١١٢ نقلا عن السجلات الأصلية الرسمية التى جاءت فيها وتعريبا عن اللاتينية وهذا نص ما يدور عليه بحثنا نجتزى به دون سايرها " قالت الرسالة ".

لقد سمعنا نواح تشكيات يهود ألمانيا من أن كثيرا من الأمراء .... يتهمونهم باطلا " دون أن يعتبروا أن مصدر أدلة الإيمان ..... المسيحى هو من اليهود وأن الكتاب المقدس يقول فى أحد وصاياه لا تقتل وينهى العبرانيين عن أن يرتكبوا أى قتل كان فى الاحتفال الفصحى " بأنهم فى هذا الاحتفال يتناولون قلب غلام ذبيح ذهابا إلى أنهم يجرون هكذا على سنه الشريعة نفسها فى حين أن ذلك مخالف تماما لهذه الشريعة .... أما نحن فبما إننا لا نود ظلم هولاء اليهود الذين ينتظر الله الرحوم تنصرهم ونعتقد فى نسلهم كما شهدت الأنبياء أنه سيخلص ...... نأمركم أن تكونوا ذوى رحمة وشفقة عليهم ...

إلى آخر ما ذكره مما يشهد بأن غاية ما أراده قداسة البابا فى كتابته هذه الرسالة إنما هو الإفراج عن اليهود تسهيلا لأمر تنصرهم واستدناء لقلوبهم. وأما قوله بأن القتل مخالف لشريعتهم فإنما يعنى بالشريعة كتاب العهد القديم (التوراة) الذى هو مع كتاب العهد الجديد أساس لشريعة النصارى أيضا لا كتاب التلمود. فأين الحرم الذى ذكره

الإسكندرى نقلا عن التمس أو اختراعا من عنده. وأين تلك الأدلة الكثيرة التى صححها المقتطف لا نقول" محافظة على مشتركيه الكرام من اليهود " بل لغاية ربما اعتقدها حميدة والله أعلم بما فى القلوب .

أما الأب الذى دعاه الفاضل الإسكندرى رفرت وحلفه فى عظة سامية بأن دعوى الأب توما كانت عارا وتجديفا وأنها عارية عن كل صحة ولا وجود لها فى العهد القديم فإننا لا نعلمه ونجهل أيضا ما قاله مشفوعا بالحلف بيد إننا نعلم ما أعلن به على رؤوس الأشهاد الحاخام محمد أبو العافية المرتد عن دينه أبو الحاخام إسحق أبى العافية الحالى وأيده بمغلظات الإيمان فى حضرة قنصل فرنسا إذ ذاك الكونت ده رأتى مانتون (**Comte de Ratti Menton**) وصاحب الدولة شريف باشا النائب ساكن الجنان محمد على باشا مما سنأتى بذكره لدى تكلمنا عن حادثة ذبح البادرى توما بقى دليل فرعى من جملة أدلة الفاضل الإسكندرى وهو ادعاه تعطيل جريدة البشير الغراء فى بيروت محتجا به على تكذيب حادثة دمشق واهتمام الدولة العلية باليهود. فقد نشرت الجريدة المذكورة أمر عرض حاخامات أوربا وأمركا لقداسة البابا بما يتعلق بتهمة الدم التى يوجهها النصارى على اليهود ووزعت الأعداد بعد أن وقف على نسخها الموكل من لدن الحكومة لمطالعتها ومطالعة جرائد بيروت أيضا قبل طبعها ثم لم تمض أيام حتى صدر الأمر بتعطيل جريدة البشير لأسباب جهلت عند مديره وكانت مجهولة منا أيضا حتى أعملنا الفاضل الإسكندرى كاتم أسرار أمته أن التعطيل كان بسبب اليهود.

ولقد بلغنا بأن صاحب الدولة عزيز باشا وإلى بيروت المشهور باستقامة المبدأ والعدل لم يأمر بتعطيل البشير بضعة أيام إلا من تثقيل اليهود عليه. فلو كان بذكر ما ذكرته هذه الجريدة محاولة لإلقاء الفتنة والشقاق كما زعم الفاضل الإسكندرى لما تسامح دولة الوالى بإعادة نشرها وإذا كان فى تعطيل البشير دليل على علم الدولة العلية ببطلان مدعاه ففى المبادرة إلى إظهار دليل أعظم على علمها بصحة ما ذكره (والذى نظنه بأن الفاضل الإسكندرى لم يذكر ما ذكره عن البشير إلا تحريكا لإدارة وخاطر أصحاب المقتطف والمقطم للإسراع لنشر رسالته هذه الملفقة. هذا" هو السلاح الذى يفرى ترهات أعداء اليهود " وهذه هى الأدلة التى دفعها الفاضل الإسكندرى بعد أن شاور لها كل رؤساء أمته وعلمائها وقرأ المراسلات الرسمية وتاريخ الأعصار السالفة وليس العجب من هجومه على ذكرها قبل

تصفحها ظهرا وبطنا وإنما العجب العجاب من قول المقتطف فى شأنها (أن فيها نقضا صريحا لزعم العامة معززا بكثير من الأدلة) وعدم تشبته فى تدبرها حق التدبر حالة كونه المحقق الذى لا يرضى بمجازفة القول ورمى الكلام على عواهنه والمدقق الذى اعتاد إذا سئل عن رأيه فى أمر أن يجيب ما يجيب به دائما وهو "هاتوا شهودكم" وحبذا لو تكرم علينا وهو المتفضل المنعم بسرد هذا الدرس الذى درسه من بضع سنين وذكر تلك الأدلة النافية التى وجدها أقوى كثيرا من الأدلة المثبتة وياحبذا لو تمهل المقتطف إلى أن يصدر صراخ البرىء ويطلع على تقرير الأطباء لرأى فيه نقضا صريحا لما زعمه (معززا بكثير من الأدلة) وياحبذا لو اعتمد الفاضل الإسكندرى فى ما كتبه على حضرة حاخام باشى دمشق إسحق أبى العافية بن محمد أفندى أبى العافية المسلم كما اعتمد على قول حضرة العلأمة الجليل حاخام باشى لوندره فيعلمه حضرته ولا ثالث بينهما أنه قتل هنرى عبد النور كما قتل والده البادرى توما وخادمه إبراهيم أماره ولا يحتاج معه إلى تخطى نيف وستة قرون ليحرف ما قاله البابا أينوشنته الرابع لأساقفة ألمانيا وحينئذ نقطع جهيزة قول كل خطيب ويكون القول ما قالت حزام.

من بين الجرائد التى ذكرت استنزاف دم هنرى عبد النور جريدة الفلاح فى القاهرة فقالت ما يأتى بعددها ٢٢٩ فى ١٧ يوليو سنة ٩٠ لقد اتسعت دائرة المناقشات بين بعض الجرائد الوطنية بمناسبة اتهام طائفة الإسرائيليين فى مدينة دمشق الشام باستنزاف دم غلام مسيحى عمدا وقصدا على كيفية تقشعر منها الأبدان وتخجل منها الإنسانية كما ثبت ذلك على زعم القائلين به لدى فحص الجثة ولم يلبث أن رأينا بعض جرائد أوربا ذكرت هذه الحادثة كلها بين مثبتة التهمة على الإسرائيليين بما تزعمه من أن الحجج والرباهين على صحة ذلك هو دينهم من قديم العهد. وقد ظهرت الدلائل على ثبوته أكثر من مرة وأن الذى يلجئهم لاقتحام مثل هذه الخيانة العظيمة هو الإيفاء بفروض بعض واجباتهم الدينية التى تقضى عليهم باستخدام دم المسيحى أو غيره وأنه لا يمكن أن لا يكون لهذا الاتهام صحة على حين تكرار وقوعه فى مدن مختلفه حتى لم يبق محل للإنكار وإن كان لازال مجال واسع لتسترها فى معدن الذهب والفضة إلى غير ذلك مما لا محل لذكره وبين مكذبة نفيا للتهمة بدعوى أنه لا يعقل ولا يدرك أن أمة مثل طائفة الإسرائيليين فيها من العقلاء والفضلاء

والنبلاء والأغنياء والراشدين يصدر عنها مثل هذا الفعل المنكر ذوقا وعقلا لشناعته وقبحه الشنيع .... إلخ.

فلا نر بعد ما ذكرناه لزوما لإعادة القول بأن الذى لا يصدقه العقل أن يصدر عن عقلاء وعلماء وعظماء أمة يصدقه عند ما يصدر عن مصدر التعصب والاعتقادات الدينية الباطلة من بعض الذين لا يعلمون بأن الرجل السافك الدماء والغاش يرزله الرب. وأن الحوادث التى تقع فعلا لا وهما لا يكون العقل مخطئا إذا صدقها بل من واجباته تصديقها وإن كانت حصلت من شخص أو من أشخاص كان يظن بهم عقلاء أو فلاسفة ثم وجدوا ذئابا خاطفة تحت جلود الحملان فصح أن يقال لهم (ارجعوا عن اثامكم ياسافكى الدما وخبيثى النوايا كيلا تسقطوا تحت رجز الله فإن أقواسه مهيأة وفيها آنية الموت. لا تؤمنوا بما نقل اليكم فى كتاب المشنى (بأن دم ولد غير يهودى يكون مقبولا عند الله بأكثر من دم خروف الفصح) أن هذه ليست بأقوال الله إنما هى أقوال إبليس اللعين.

ولقد ذكرت حادثة هنرى عبد النور كثير من الجرائد الإفرنجية نذكر منها جريدة لافره فرانس والأونيفر ونوفأليست داليون وقد نددت كثيرا على حكومة الشام لعدم إجرائها العدالة فى الفحص والتحرى عن هذه الجناية الفظيعة إن لم يكن حبا بالإنسانية والمدنية فعلى الأقل احتراما للقوانين والنظامات المرعية وقد تناقلت هذه الأخبار جرايد إنكلترا وإيطاليا والمسكوب والنمسا حتى ملأت الأرض باجمعها وكم من طالب بلسان هذه الجرايد معرفة ما آلت إليه هذه الدعوى وكيف حكمت بها المحاكم وكم قرأنا من عبارات التعجب من عدم مباشرة حكومة دمشق الشام لاتباع فروع هذه الجناية وإلقاء القصاص على رؤوس الجانين

ومن جملة ما جاء من الأخبار الشامية ووجد صداه فى الجرائد الأوربية هو أنه بعد دفن الولد ووضع الحراس على القبر وتكاثر القال والقيل بأمر الاستنزاف صار نشل اليد من التابوت. فالبعض قدروا إرسالها إلى الاستانة العلية سندا على أوامر صدرت من الباب العالى والبعض الآخر بأنها أخذت من القبر لاخفائها خوفا من أن تصدر الأوامر بمراجعة الفحص والتدقيق وجاء أيضا " بأن المبالغ التى أنفقت من صندوق النفقة الإسرائيلى بمسألة هنرى عبد النور بلغت عشرة آلاف جنيه " وأن بعض اليهود يقولون جهارا " إن للإسلام والنصارى ملوكا تحميهم وتعينهم أما نحن فلنا ملك هو المال وهو أعظم ملك فى العالم يستميل نحونا القلوب فيخضع الكل لسلطته " وأن صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا

استحضر لدية شقيق جميلة عبد النور الحزينة والدة هنرى الذبيح وقال له " أما أن شقيقتك بصحة العقل أو مختله الشعور ". فإن كان الأول بلغها وأقنعها بعدم مراجعة التشكى لأننى سألقيها فى السجن وإن كان الثانى فلا وجه لى غير إرسالها إلى المارستان (محل المجانين).



أهذه القساوة أيها المولى الخطير هى عبارأت السلوى من قبل ولاة الأمور عند حصول ضربة أو فاجعة أو مصاب عظيم لأحد الرعايا المودوعين بين أيديهم. أهذه

العبارات المؤلمة مرهم لقلب والدة تهشم وطعن ألف مرة بحراب الاحزان والغموم والأكدار أهذه الأقوال والتهديدات هى البلسم الشافى لجروحات أم تبل فى كل ليلة فراشها بدموعها من خطف ولدها الذى تأملت أن يكون عصى شيخوختها. لقد مزجت خبزها بالرماد ولسان حالها يقول .

أنا الثكلى التى تبكى دماء على ولد لها قد مات قهرا

فيا أسفى عليه كيف سالت دمـاه حينما ذبحــوه غدرا

أيها المولى الخطير: أهذا القرار الذى أمرت بإبلاغه لهذه الثكلى هو القرار العادل الواجب عليك ذمة وديانة وشرعا ونظاما وإنسانية وتمدنا اتخاذه لإظهار الحقيقة وتأديب الذين سفكوا دم الولد الصغير البرىء سفكا وحشيا وهو يصرخ فى بوق الحرية مالئا بصراخه عالم الأفكار وشعائر القلوب.

أنا الغلام الذى تبكــى على دما

أمى نظير دمى المسفوك من ودجى

قتلت ظلمـا لذا ناديت مـن الـم

أنا القتيــل بلا إثــم ولا حـرج

ولقد شاع ذكر صراخ البرىء فتواردت الكتابات بطلبه من مدن أوروبا والشرق ومن جملة ما ورد طلب من حضرة الأديب سليم زاكى كوهين اليهودى من بيروت. قال فيه.

"ما زلت حتى الآن بانتظار زف عروسة مكاتبكم الدمشقى الأديب كما وعد فى جريدة المحروسة الغراء عدد ١٧٩١ وبما أنه مر عليها زهاء الشهرين وأنا موعود بها مخطوب لها وما لمحت منه ما ينبئنى بقرب زفافها حملنى غرامها وهواها على أن أستفتيكم فيما يكون حل بها. ولى الأمل الوطيد أن أحظى منكم بجواب يوضح عن جلى الحال والسلام " فى ٢٢ تموز (يوليو سنة ٩٠).

فكان الكراس الأول من صراخ البرىء بلغ بيروت فى ٢٣ من الشهر المذكور فقد أوصله بعض مشترية من اليهود إلى طالبه زاكى أفندى المومى إليه ثم بعد برهة وجيزة دخل هذا الكراس دمشق والشام " كما أشرنا إلى ذلك "وهاك ما ورد لنا منها".

وصلت كراسة صراخ البرىء وكان أملنا أن تكون زائدة عن العدد المرسول لأنه يوم ورودها لم يبق بيدنا منها إلا عددان فقط وكان لذلك هيجان أفكار عظيم وكان كل يطلب بفروغ صبر ما أوعدتم به من إلحاق هذا الكراس بغيره أما الحكومة فصارفة أقصى الجهد لإخفاء أثره ولا زالت تبحث أشد البحث عن اسم المكاتب للانتقام منه. ولقد تحققنا غياب يد الذبيح هنرى عبد النور من القبر.. فتأملوا ....

وقد أفادت أخبار الاستانه بأن نحو عشرين فتاه يهودية طلبن إلى غبطة بطريرك الأرمن اعتناق الديانة المسيحية وأن ذلك نتج عن تأثرهن مذ اطلعن على حادثة استنزاف دم هنرى عبد النور وأن الحادثة بلغت مسامع الذات الشأهانية ولا بد أن غبطة بطريرك الأرمن الكاثوليك فى الآستانة العلية غيرة على ابن طائفته الذبيح وإجابة لالتماس والدته الحزينة التى رفعت لغبطته كتابا بواقعة الحال يكون قد استرحم من عواطف وعدالة مولانا السلطان الأعظم الأوامر العالية بهذا الشأن. وهذا ما فسر لنا عدم بلوغ أصحاب الغايات السيئة من مآربهم ضد صراخ البرىء لا زالت شموس العدالة بازغة فى عصر سلطاننا عبد الحميد ما مرت الأيام وتوالت الأعوام

رب العدالة شمس فخر للورى الكون من عدل الحميد تعطرا

نادى ملاك الحق مثل حميدكم ملك عظيـم فى البرية لن يرى

ولقد بلغنا بأن صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا نظرا لحسن المبادئ التى نشأ عليها منذ نعومة أظفاره قد أشعر مؤخرا بقوة توبيخ الضمير ولما لم يعد له سبيل" بعد أن كان ما كان " للوصول إلى شفاء جروحات العدل عزم على الاستقالة من ولاية الشام متأملا أن يأتى خلفه فيبلغه عن أفكاره الباطنه لكى يقوم الخلف بما لم يمكنه هو القيام به " لموانع .... " من فحص حادثة الذبيح وإجراء المحاكمة العلنية بها وفقا لشعائر العدل. ومن المعلوم أن الإنسان أيا كان على وجه هذه الدنيا غير معصوم من الغلط وإنما الفضل لمن يشعر بغلطه فيصلحه " أيه طريقة اتخذها لهذا الإصلاح " لقد أخطأ الملك والنبى دواود فندم ولم يمنع خطأه من أن يكون صديقا بارا. ونحن نفرح ونبتهج بما علمناه عن عزم صاحب الدولة مصطفى عاصم باشا فلا شك بأنه كما قضى أيام صباه بالنقاوة وطهارة القلب سيقضى أيضا شيخوخة صالحة يذوق فيها لذة إصلاح الخطأ والندأمة والانتصار للحق. فإلى الله العلى أطلب من صميم الفواد لدولته السعادة والراحة وطمأنينة الأفكار مهما

كانت نواياه على أنا كاتب صراخ البرىء ومهما اشعر فى فواده ضدى من محبة الانتقام فإننى عالم بما هو عليه القلب البشرى على أنه لا خوف من العاقل الحكيم فإن أفعاله تكون دائما مقرونة بالحكمة كما أننى أرجو أن يتفق عقلاء الأمة الإسرائيلية وعظماؤها وجرائدها على نزع عادة استنزاف الدم القبيحة من بين جهلائهم ومتعصبي مذهبهم التلمودى ولو تبعوا الاية الذهبية " لا تفعلوا بالغير ما لاتريدوا أن يفعله الغير بكم " لحرم روساؤهم سفك الدم والاستنزاف ولبذل أغنياؤهم الدرهم فى سبيل استئصال هذا الشر من بنى إسرائيل و إلا فإن كان العقلاء فيهم وجرائدهم يحامون عن فاعلى هذه الجرائم الممقوتة فهل يرجى فى الأمة إصلاح. وإذا ما رأى المتعصبون بأن عقلاء قومهم وأغنياءهم يحامون عنهم ويستميلون الحكومة لمعاملتهم بالرفق فهل لا يزدادون تعصبا وتوحشا. ولعمرى أن إنكار الفعل بعد إثباته لا فائدة منه فالأجدر الإصلاح بدلا من الإصرار على كتم الحقيقة. نوايا خيرية ومقاصد حميدة نقصد الوصول إليها. الإصلاح وليس الانتقام من الشعب اليهودى. الإصلاح وليس الحقد. الإصلاح وليس تأسيس البغضة فى القلوب. ولو طلب بنى إسرائيل دمنا وأوقفوا شرور متعصبيهم وسفك دم الأطفال فى الحال والاستقبال لنظرنا إليهم بعين الرضى. أما الجيل التاسع عشر فيطلب منهم حتما محو عادة أشتهرت عندهم أجيالا. فالله لا يطالبهم قط بالذبايح البشرية ولا الدم قربانا مقبولا لدية تعالى ولا يكون سببا لخلاصهم. فلا الجيل التاسع عشر ولا العصر الحميدى يغلقان الآذان أو يغمضان الطرف عن تلك الذبائح التى مصدرها البربرية والتعصبات الشنيعة حتى ولا القلوب الأكثر قساوة تحتمل صراخ ولد يتقلب على سرير الذبح بين آلات حادة تنخس جسده اللطيف. فإلى متى يا أعداء التمدن تتيهون فى ديجور الظلام ظلام التعصب وأى متى من اعتقاداتكم الباطلة تخروجون

فإذا أبيح لكم أيها اليهود أخذ المال وحصله فى خزائنكم وأعطيت لكم الحرية كى تعيشوا كيفما شئتم فأقنعوا بذلك ودعوا الأطفال لوالديهم فهم عصافير الجنة ورجا الإنسان فى دنياه ومخففو الأحزان وقت الضيق والشدة

فيامن من اليهود لكم أولاد تصوروا لو كان الإسلام أو النصارى (لا سمح الله) يخطفونهم. ويسلبون لهم حياتهم بأمر العذاب ماذا تكون شعائر قلوبكم وماذا يلم بك أيتها الأم اليهودية لو كان اليوم وحيدك بالقرب إليك يخاطبك بأعذب الألفاظ ويتقدم إليك

فيعانقك ويقبل يديك حبا وحنوا وتنهضين فى الليل أو عند الصباح فلا تجدينه ثم بعد أيام تقضيها تائهة تفتشين على فقيدك ترى عيناك جثته الصغيرة مطروحة لا حراك بها مهشمة بالدم إلا تكفرين بإله ينسب إليه قبول مثل هذه الذبائح.

وأنتم يابنى إسرائيل من منكم رأيناه عند توجيه تهمة استنزاف دم هل البعض منكم نهض فطلب إلى الحكومة التدقيق بالأمر إجلاء للحقيقة أو من منكم تعرض للذين يدافعون عن المتهمين أو أية جريدة من جرائدكم أخذت بناصر المجنى عليه مع أن العقل السليم وشعائر الإنسانية وروح التمدن تطلب معاقبة من يرتكبون مثل هذه الفظائع بأشد العقاب. فهل بالاتفاق على الإنكار وبكابتكم مالم تؤمنوا به وبذكركم ما لم تعتقدوا به سبيل للإصلاح. فلا تصروا على العناد ولا تكونوا كالعمى الذين ينكرون الألوان ولا تجعلوا صراخ البرىء ومناداة الحقيقة كمناداة الرسم والنفخ فى غير ضرم. فالآن اسمحوا لنا أن نذكر لكم ما أوعدنا بذكره من الحوادث التى ارتكبها بعض جهلائكم حتى تظهر لكم الحقائق بالبينات وبالإقرارات

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو شهود أو جلاء

(فى ذبائح الشرق)

(ذبيحة أيم سنة ٤١٨ م.)

لقد ذكر التاريخ بأن اليهود صلبوا ولدا نصرانيا فى أيم (قديما أيمنستر) وذلك فى سنة ٤١٨ مسيحية

(ذبيحة حلب سنة ١٨١٠)

لقد أخبر السير جون بركر بكتاب كتبه من السويس لأحد الأوربيين المقيمين فى دمشق الشام. " أنه فى سنه ١٨٤٠ عندما كان قنصل دولة إنكلترا فى مدينة حلب فقدت امراة نصرانية ولدى التفتيش عليها تأكد بأن اليهودى رفول إنكونا ذبحها وأخذ دمها لزوم عيد الفصح " فلو سألنا يهود حلب عن اختطافهم للأولاد واستنزاف دمائهم فى المغر الكائنة فى محلاتهم وقام إسلام ونصارى حلب يوردون ذكر الحوادث العديدة المتصلة إليهم بالتقليد لعدم وجود جرائد فى ذلك الزمان تشهر الحوادث لاحتار اليهود بما يجاوبون

والمعلوم بأن يهود حلب لهم طريقة خصوصية يستنزفون بها الدم تقشعر منها الأبدان وهى أنهم يأتون بالولد المقبوض عليه لأجل الذبيحة ويضعونه فى إحدى المغائر العميقة حيث لا يدرى به سواهم ويقدمون له من المآكل الناشفة كالبقسماط واللوز والبندق والقضامى (حمص محمص ومجفف) إلى أن تأتى ساعة الاستنزاف فيعرونه من ثيابة ويسدون فمه بقطعة من القماش الأبيض ويأخذون بهز السرير رويدا رويدا فيسيل الدم من جروحات الولد فيستلقطونه بأوان حتى آخر نقطة والدم المستنزف على هذه الصورة من العذاب هو الدم الأفضل فى إتمام فروضهم الدينية ولما كان الأمر معلوما عند إسلام ونصارى حلب فأصبح بغضهم لليهود غريزيا وسواء كان فى حلب الشهباء أو فى دمشق الشام وفى بيروت وصيدا وصور وعكا وفى كل مكان وجد فيه يهود فإن أقارب الأولاد الخريجين عن الطائفة اليهودية ينبهون على أولادهم كيلا يمروا بحارة اليهود فلا يكاد ولد يخلو من هذه التنبيهات ولم نسمع ولم ينقل لنا التاريخ ولا التقليدات بكون تنبيها كهذه جرت أو تجرى من أقارب الأولاد بحق غير طوائف.

(ذبيحة جزيرة كورفوسنه ١٨١٢)

قد حكم فى جزيرة كورفو (من جزائر اليونان) على ثلاثة من اليهود بجزاء الإعدام لأنهم قتلوا ولدا ولم تمض على هذا الحكم مدة طويلة حتى خطف بعضهم أيضا ابن رجل يونانى اسمه ريكا وذبحوه وأخذوا دمه

(ذبيحة بيروت سنة ١٨٢٤)

لقد ذبح بعض اليهود فى مدينة بيروت المدعو فتح الله الصائغ وذلك فى سنة ١٨٢٤ مسيحية وأخذوا دمه لاستعماله فى عيد الفصح

(ذبائح)

(أنطاكية سنة ١٨٢٦ وحماه سنه ١٨٢٩)

وطرابلس شام سنة ١٨٣٤

لقد ذكرت بنود اليهودية بعض حوادث سنأتى بذكرها. أما بنود المذكورة فكانت ولادتها سنة ١٨٢٠ فى اللاذقية وقد حل الفقر بعائلتها فأرسلها والدها مراد الملقب بيهودى إلى أنطاكية عند إحدى خالاتها ففى ذات يوم وجدت بنود المذكورة ولدين صغيرين معلقين بأرجلهما فى التخشيبة فأسرعت الفتاة باكية شفقة تعلم خالتها بما رأت فقالت لها هذه أن ما رأته لم يكن ذات أهمية وأرسلتها خارج البيت فلما عادت بنود لم تعد تنظر زينك الولدين على أنها وجدت الأوانى مملوءة دما وفى سنة ١٨٣٤ جاءت بنود طرابلس شام وكان لها من العمر وقتئذ أربعة عشرة سنة فصعدت يوما على سطح الدار التى كانت مقيمة فيها فرأت عن بعد رجلا داخلا إلى بيت بجانب الكنيس فانطرح عليه بعض اليهود وربطوه بيديه ورجليه ووضعوا له منديلا فى فمه ثم علقوه ورأسه إلى الأسفل فى شجرة من الليمون من الساعة ٩ صباحا حتى الظهر وبعد ذلك أخذ أحدهم سكينا ونحره واستلقط الحاضرون دمه فى آنيه تم بعد أن تمموا هذه الذبيحة وضعوا الجثة فى صندوق وطرحوها فى البحر. وذكر المؤرخون ذبيحة فى مدينة حماة سنة ١٨٢٩ وهى استنزاف دم فتاة مسلمية وجدت جثتها مطروحة فى حديقة بجانب العاصى مثخنة بالجروح موخوزة بالآت حادة تفجع لمنظرها القلوب وتنقبض لرؤيتها النفوس وتبكى على زهرة صباها العيون دما فثبت أن اليهود هم الذين ارتكبوا هذه الجناية فطردوا من حماة طردا مهينا. وفى سنة ١٨٣٧ تزوجت بنود المذكورة بابن عم لها اسمه أصلان شالوم وأقامت معه فى اللاذقية فكان يرسل فكان يرسل لهما خبر الفطير فى كل سنة من حلب وقد أخبرت بنود بأن اليهود يصنعون الفطير نوعين الواحد ممزوجا بالدم والآخر لادم فيه أما الممزوج بالدم فهو ما يصنع قبل عيد الفصح فإذا بذل اليهود جهدهم ولم يتمكنوا من الحصول على دم بشرى يأتون بديك أبيص ويصلبونه ويوخذونه بالمسامير والمناخس حتى يسيل دمه وأن أحد الحاخامات الذين جاء اللاذقية سنة ١٨٣٩ صنع بمثل ذلك أمام أعينها وقد ذكرت بنود أيضا بأن اليهود الأكثر وداعة ورقة وهداوة يضحون لدى مسكهم الولد.

لاستنزاف دمه نظير الذئاب الكاسرة

أما بنود اليهودية فلما رأت رؤيا العين ما رأته وعلمت بما علمت من هذه الأعمال الوحشية فقد تركت اليهودية واعتنقت الديانة النصرانية ودخلت الرهبنة وماتت باسم الراهبة كاترينا وتركت كتابات كثيرة من جملتها ما صار إيراده أعلاه على وجه الاختصار.

(ذبيحة رودوس سنة ١٨٣٩)

لقد ذبح اليهود فى جزيرة رودوس ولدا يونانيا كانت والداته أرسلته بسلة من البيض ابتاعها منها أحد اليهود فاستلم اليهودى منه السلة وقبض عليه فاجتمع اليهود واستنزفوا دمه لزوم الفطير وأرسلوا منه لغير جهات وكان ذلك فى سنة ١٨٣٩.

(ذبيحة البادرى توما وخادمه إبراهيم قمارة فى دمشق الشام)

(سنة ١٨٤٠)

(حياة البادرى توما)

كانت ولادة هذا الرجل الشهير فى كالانجيانو من سردينيا (إيطاليا) نحو سنة ١٧٨٠ وسمى فرانسوا أنطوان فدخل رهبنة الكبوشية إذ كان له من العمر ثمانى عشرة سنة وكان ذلك فى ١٥ يناير (كانون ثانى سنة ١٨٠٧ وبارح رومة العظمى مرسلا لدمشق الشام حيث بقى فيها حتى يوم فيه ذبحه اليهود سنة ١٨٤٠ فيكون هذا المرسل اشتغل بعمل الخير مدة ثلاثة وثلاثين سنة مساعدا للإنسانية عالماً غيورا أديبا عفيفا وكان قد تعلم فن الصيدلية وطالع فى الكتب الطبية فكان يعالج المرضى فى دمشق الشام مجانا سواء كانوا من الإسلام أو النصارى أو اليهود وكان على الخصوص ماهرا بصناعة التطعيم للجدرى فخدم البشرية خدمة تليق أن يحفظ لها ذكر على صفحات قلوب محبى الخير العام وكان الناس يأتون إليه أفواجا من الشام وجميع القرى المجاورة لها وكان رحمه الله يميل جدا لنحو الطايفة الإسرائيلية متأملاً استجلابها إلى الدين المسيحى كما كان يعرب عن أفكاره بذلك مرارا وكان جميع الناس على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وطباقتهم يعتبرون هذا الرجل ويوقرونه ويكرمونه كثيرا ومن جملة أفعاله المشكورة وتمسكه بالحق أن رجلا جاءه يوماً ما طالبا إليه

أن يعقد له زواجا على امرأة فعلم البادرى توما بأن طلب الرجل غير قانونى فرفضه فعاد إليه ودخل إلى غرفته واستل سيفه وطلب إلى الكبوشى أن يجيز له الزواج مع تلك الامرأة و إلا فإنه يعدمه الحياة فللحال جثا البادرى توما على ركبته وأحنى عنقه للسيف قائلا للموت أفضل لى من مخالفة الناموس ... فأثر هذا الكلام بالرجل البربرى فترك البادرى وانطلق ندمانا على ما فعل ولما حل الهواء الأصفر فى دمشق الشام فتلف عددا وافرا من سكانها كان البادرى توما يقدم على المرضى ويقدم لهم كلما يحتاجون إليه من المساعدات الروحية والجسدية فاكتسب محبة الجميع حتى أن دولة الوالى وقتئذ شريف باشا أمر خدمه أن يسمحوا للبادرى توما بالدخول إلى داره فى كل مرة يأتيها حتى أجاز له الدخول إلى الحرم (لأنه تأكد صفات هذا الرجل البار) الأمر الذى لا تسمح به العوائد الشرقية الإسلامية وعلى الخصوص فى ذلك الزمن لأقرب الأقارب. فهذا ما يثبت الثقة التى كان حاصلا عليها البادرى توما فى دمشق الشام. ففى مساء اليوم الخامس عشر من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٤٠ طلب البادرى توما لحارة اليهود بقصد تطعيم ولد وقاية من الجدرى فلبى الدعوة بالحال ولما شاهد بأن الولد المطلوب لأجله مريض وبدرجة الخطر لم ير موافقا إجراء التطعيم بهذه الحالة فاستعد للرجوع لديره وكان بالقرب من بيت الولد المريض دار داود هرارى وكان هذا الرجل معدودا من أتقى اليهود فى الشام وكان النصارى يبالغون فى اعتباره وتوقيره وإكرامه حتى أنهم كانوا يقولون عنه يهودى نصرانى صالح وكان داود هرارى صديقا للأب توما فلما رآه مارا من أمام داره استدعاه للدخول فلبى البادرى دعوته ودخل فوجد هنالك أخا داود وعمه واثنين من عظماء اليهود فلما صار فى إحدى الغرف أغلق الباب وانقض جميع الحاضرين على البادرى كالذئاب الكاسرة ووضعوا على فمه منديلا وربطوا يديه ورجليه ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة عن مطل الشارع وألقوة هناك إلى أن أظلم الليل وأخذوا بالاستعدادات اللازمة للذبيحة البشرية إلى أن جاء حضرة الحاخام فاستدعوا مزينا حلاقا اسمه سليمان اليهودى وأمروه بأن يذبح البادرى توما فخاف هذا الرجل وامتنع عن الإقدام على العمل فجاء الرجل التقى بين اليهود الرجل الوقور داود هرارى صديق البادرى توما بنفسه وأخذ السكين ونحره وكان يده أخذت أن ترتجف فتوقف عن إكمال العمل فجاء بالحال أخوه هارن لمساعدته وكان سليمان الحلاق قابضا على لحية البادرى توما وكان بعض الحاضرين يتناول الدم فى إناء ثم يصبه فى زجاج (قنانى) أرسلت فيما بعد إلى الحاخام باشى وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح على هذه الحالة نزعوا الأثواب

عن جثته وأحرقوها ثم قطعوا الجسد قطعا قطعا وسحقوا عظامه وطرحوا الجميع فى النهر المالح (قليط) وظنوا أنهم بهذه الواسطة قد دفنوا الحادثة فى قبر عميق (كما كانوا دفنوا خلافها من قبلها) فلما أطال وقت رجوع البادرى توما إلى ديره قلقت أفكار خادمة إبراهيم قمارة وبما أنه كان عالما بتوجه معلمه لحارة اليهود جاء إليها ليسأل عنه فدخل دار داود هرارى وسأل من كانوا فيها عن البادرى توما فادخلوه إلى نفس غرفة الذبح وهناك جرى به ما جرى بمعلمه وكان الحاضرون قتل البادرى توما.



يا أمةً أحببتُها وسعيتُ في + خيرها أبداً وطول حياتي
لقد اشتهيتُ لها الحياة سعيدةً + لكنّها رامت دمي ومماتي

داود وهارون هرارى وإسحق ويوسف هرارى ويوسف لينيوده والحاخام أبو العافية والحاخام سالونيك وسليمان الحلاق ثم عند ذبح إبراهيم قمارة كان ازداد عددهم

بالأشخاص الآتى ذكرهم ماير ومراد فارحى وهارون إسلامبولى وإسحاق بيشوتى وأصلان فارحى ويعقوب أبو العافية ويوسف مناحم ومراد الفطحل ومجموع الكل ستة عشر شخصاً.

ففى أثناء المحاكمة توفى منهم اثنان هما يوسف هرارى ويوسف لينيوده وأربعة منهم نالوا العفو من المحكمة لأنهم أقروا بالحقيقة وكشفوا الستار عن المذبحة وهم أبو العافية الذى اعتنق الدين الإسلامى وتلقب بمحمد أفندى وأصلان فارحى وسليمان الحلاق ومراد الفطحل والعشرة الباقون حكم عليهم بجزاء الإعدام.

أما كشف الحادثة فكان على هذه الصورة وهو أنه فى صباح اليوم الثانى ٦ شباط (فبراير) جاء الذين كان لهم عادة أن يحضروا للدير لاستماع قداس البادرى توما وبما أنهم قرعوا الباب ولم يجاوبهم أحد تحيروا وكان بعضهم قد شاهدوا البادرى توما عشية أمس متوجها لحارة اليهود فقلقت أفكارهم فأعملوا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان وسار البعض إلى سراى الحكومة وطلبوا الفحص والتدقيق عن هذا الأمر.

وكان وقتئذ فى دمشق الشام مرسل عازارى اسمه الأب توسته أتى هذه المدينة منذ تسع سنوات وكان يعتبر اليهود كثيرا ويوقرهم ويعد من باب الخرافات والأوهام ما كان يسمعه عنهم من استعمالهم للدم البشرى فى أعيادهم واحتفالاتهم حتى جرت حادثة ذبح البادرى توما. وهاك تعريب ما كتبه الأب توسته المذكور إلى الموسيواتيان الوكيل العام للمرسلين العازاريين فى باريز.

لقد التزمنا بأن ندع على جانب مبادينا الفلسفية ونتبع أهالى البلد بما كانوا يشعرون به وباتهامهم اليهود بقتل البادرى توما فإن الحقيقة ما لبثت أن ظهرت طبق ما كانوا يفكرون. أى نعم أن فى هذه المدينة يهودا أعمى بصيرتهم التعصب الدينى فاعتقدوا بوجوب تقديم الذبائح البشرية لله فقد وقع انتخابهم على البادرى توما ليكون ذبيحة.

فكان لهذا المرسل الكبوشى ما كان لسيده بعد أن أتم الثلاثة والثلاثين سنة كان فى خلالها يعظ الناس ويرشدهم إلى سبيل الحق فقد جمع الحاخام باشى باقى الحاخامات وقال لهم بلزوم الدم وأشار إلى البادرى توما كأنه ظن بقتل هذا الرجل البار أكثر موافقة لإهانة الناصرى فوافقه الحاخامات على رأيه (لأن التلمود يذكر بأن مخالفة الله تكون أقل

شراء من مخالفة الحاخام) وهنا يكتب الأب توسته مخبرا عن ذبيحة البادرى توما كما ذكرنا قبل ثم يقول.

فلما أسلم البادرى الروح صار وضع دمه فى قناتى وأرسلت إلى الحاخام باشى الذى لابد أن يكون استعمله ليس فقط لأجل إتمام واجبات الديانة بل كسلعة للمبيع وجمع الدرهم حملا على كون الصالح والكسب عند اليهود مهماز الأعمال وينهى الأب المشار إليه كتابه بتصدير عبارأت الشكر على دولتلوشريف باشا وقنصل دولة فرنسا الكونت دمرأتى مانتون لأنه بواسطة اهتمامهما قد انكشف الستار عن وجه الحقيقة.

وأننا نذكر هنا تقريرأت بعض قتلة البادرى توما وخادمه إبراهيم قمارة إجلاء للحقيقة.

تقرير سليمان الحلاق اليهودى

إن داود هرارى أرسل بعد المغرب ٥ (شباط (فبراير) سنة ١٨٤٠ بعد الغروب بنصف ساعة خادمه ليدعونى من الحانوت فحضرت بيته ووجدت هارون هرارى ويوسف لينيوده الحاخام موسى أبو العافية والحاخام موسى يهوذا وداود هرارى صاحب البيت والبادرى توما مربوطا فقال لى داود هرارى وأخوه هارون قم فاذبح البادرى فقلت لهم لا أقدر فقالوا لى اصبر وقاموا فأحضروا السكين وألقيته أنا على الأرض ومسكته مع البقية ووضعت رقبته على طست كبير وأخذ داود الهرارى السكين وذبحه وأجهز عليه هرون أخوه.

وكان ذلك فى المربع المفروش وتناولوا دمه بالطست حتى لم يتركوا نقطة تقع خارجا وبعد ذلك جررناه من المربع الذى ذبحناه فيه إلى خلافه وهو الذى فيه الخشب ثم نزعنا ثيابه وأحرقوها. وحضر خادم الخواجة داود ونظره عريانا فى المربع الذى فيه الخشب. فقال لى وللخادم السبعة المذكورون قطعوه إربا إربا. فسألناهم أين ترمونه. قالوا ارموه فى النهر المالح فصرنا نقطعه إربا ونضعه بالكيس مرة بعد أخرى ونحمله إلى النهر. والنهر الذى رميناه فيه هو عند رأس حارة اليهود إلى جانب بيت موسى أبى العافية. ثم رجعنا إلى بيت داود فقالوا للخادم أن يكتم السر وأنهم سيزوجونه من مالهم ولى أنهم سيعطونى دراهم وتوجهت إلى بيتنا.

سئل سليمان الحلاق كيف عملتم بعظامه. فقرر أن عظامه وضعناها على البلاط وكسرناها بيد الهاون أيضا

سئل من تقريرك ظهر أنكم حين ذبحتم البادرى وضعتم دمه فى طست ولم يذهب من دمه نقطة واحدة فبعد أن جررتموه إلى المربع الثانى وقطعتموه أما خرج منه دم وأنتم تقطعونه (قرر إننى بسبب اضرابى لم أنتبه إلى ذلك

سئل المربع الذى قطعتموه به بأى شىء مفروش وهل هو بلاط أم عدسة

قرر أن المربع خراب وفيه تراب وخشب فقط والتقطيع كان على التراب

سئل كيف عملتهم بآلة جوفه وهل قطعتموها وماذا صنعتم بما فى داخلها؟ وكيف حملتموه؟

قرر أن آلة جوفه قطعناها وأخذناها فرميناها فى النهر المالح.

سئل ورأسه كيف عملتم به * قرر كسرناه بيد الهاون أيضا

سئل وقت تقطيع البادرى كم كان عدد الذين قطعوه وكم سكين كان معكم وماهى أجناسها.

قرر كنت أنا والخادم نقطعه والسبعة الذين ذكرتهم يعملوننا كيف نقطعه وكان معنا سكين واحد أقطع بها أنا والخادم فكلما تعب الواحد أخذها الآخر وجنسها من جنس سكينة اللحم

(استجواب مراد الفطحل)

(يوم الجمعة فى ٢٥ شباط فبراير سنة ١٨٤٠)

(بحضرة صاحب الدولة شريف باشا وقنصل دولة فرنسا)

طلب إلى مراد الفطحل أن يقرر عما يعلمه فأجاب وهل أحد قرر قبلى فقيل له نعم أخذت تقريرأت غيرك قبلك فتكلم بالحقيقة. ج: لما رجعت عند معلمى سألنى هل أعطيت علما عن الخادم فأجبته نعم. فقال لى اذهب حالا وانظر إذا كانوا مسكوه فتوجهت

عند ما ير فارحى فوجدت الباب مقفولا فطرقته وإذا بالمعلم جاء ففتح لى وقال لى مسكناه هل تريد تدخل أو تذهب فقلت له أريد أدخل لأتفرج ولما دخلت وجدت إسحق بيشوتى وهارون إسلامبولى وهما منهمكان برط أيدى الحاخام إبراهيم بفوطة (منديل) بعد أن سدا فمه بقطعة قماش أبيض وكان ذلك فى المقعد وكان الحاضرون غلقوا الباب ووضعوا خلفه قطعة من خشب (درباز) فلما انتهى إسحق وهارون من ربط الأيدى أخذه مائر ومراد فارحى وطرحاه على الأرض وساعدهم عليه الحاضرون ثم أحضروا لكنا (طست) من نحاس مبيض وما ير فارحى ذبح الخادم فوق هذا اللكن وأنا مع يوسف مناجم فارحى كنا ما سكين له رأسه وأصلان فارحى وإسحق بيشوتى كانا جالسين فوق رجليه وهارون إسلامبولى مع الباقين كانوا ما سكينه جيدا كيلا يتحرك وبقى الحال هكذا حتى صفى كل الدم فبقيت أنا نحو ربع ساعة حتى مات ورجعت فأخبرت معلمى بما كان.

س: هل أحد من السبعة الحاضرين كان خرج من البيت قبلك

ج: كلا ما خرج أحد قبل أن صفى الدم كله

س: كيف أدخلوا الحاخام إلى البيت

ج: فهمت من كلام يوسف مناجم فارحى بأنهم كانوا خمسة أشخاص عند الباب فلما خضر الخادم ليسأل عن معلمه أجابه يوسف إن معلمك حضر عندنا وينعاق بسبب تطعيم ولد فإذا أردت مقابلته أدخل عنده

فلما دخل قبضوا عليه وربطوه وذبحوه

س: ماذا فعلوا بالدم ومن أخذه ج الحقيقة هى أن هارون إسلامبولى فرغ الدم بالقنية التى كانت بيده ووضعوا على فمها قمعا جديدا نظير قمع الزيت ويوسف مناجم فارحى أخذ الماغور وفرغ الدم منه وبعد ذلك سلمه هارون إسلامبولى إلى يعقوب أبى العافية

س ماذا يصنع اليهود بالدم

ج: يستعملونه للفطير فى عيد الفصح

س: كيف تعلم ذلك

ج: سمعت منهم بأن الدم يستعمل للفطير

س: بما أنك ما نظرت الدم فمن أين علمت أنه يستعمل للفطير

ج: قالو لى ذلك

عندها صار استجواب إسحق هرارى فقال له دولتلو شريف باشا لماذا قتلتم البادرى توما.

ج: لقد قتلناه لأجل الحصول على دمه وبعد أن وضعنا الدم فى قنانى أرسلناه إلى الحاخام ميخا أبى العافية وكنا نصنع ذلك اعتقادا بأن الدم ضرورى لإتمام فروض ديانتنا

س: لماذايستعمل الدم فى ديانتكم

ج: يصير استعماله لأجل خبز الفطير

س: هل يوزع الدم على جميع اليهود

ج: كلا إن ذلك غير ضرورى بل يعطى الدم للحاخامات ومن جملة ماسئل عنه هرون هرارى

س: لماذا عوضا عن إرسالكم الدم إلى الحاخام لم تحفظوه عندكم

ج: لأن العادة عندنا أن يصير حفظ الدم عند الحاخامات ثم صار سؤال داود هرارى

س: لماذا قتلتم البادرى توما

ج: لأخذ دمه وكنا باضطرار لهذا الدم إتماما لفرض طقس ديانتنا

تكرر السؤال على إسحق هرارى

س: لماذا لم تحفظوا الدم عندكم فى البيت

ج: لأن الدم ضروى يكون عند الحاخام

استحضر الحاخام ميخا أبو العافية وسئل عمن أعطاه الدم

ج: الحاخام يعقوب العنتابى وكان قد اتفق مع عائلة هرارى وغيرهم لأجل الحصول على قنانى دم نصرانى وكان الهراريون أوعدوه بأنهم يأخذون له دم نصرانى ولو كلفهم ذلك مائة كيسا

س: ماذا ينفعكم الدم

ج: لوضعه فى الفطير الذى لا يعطى عادة إلا للأتقياء من اليهود وكان يرسل بعض اليهود دقيقا إلى الحاخام يعقوب أبى العافية وهو يعجنه ويضع فيه من الدم سرا وبدون أن يعلم أحد بالأمر ثم يرسل من الفطير لكل الذين كانوا يرسلون له من الدقيق

س: هل تعلم إذا كان الحاخام يرسل من هذا الدم إلى الخارج أو يبقيه لأهالى الشام فقط

ج: قال لى الحاخام يعقوب بإنه ملزوم أن يرسل من هذا الدم إلى بغداد

س: هل جاء كتابات من بغداد بطلب ذلك

ج: الحاخام يعقوب قال لى بإنه حضر له كتابات بطلب الدم

س: أحقيق بأن سليمان الحلاق كان قابضا على البادرى توما عند ذبحه

ج: إننى نظرتهم كلهم حول البادرى وعند ما صار ذبحه كانوا مسرورين لأنهم كانوا يتممون فرضا دينيا

س: هل كان القصد قتل راهب مخصوص أو قتل أى مسيحى كان

ج: كانوا قاصدين أخذ دم أيا كان ولكنهم قد انتخبوا البادرى توما فقبل أن يذبحوه قلت لهم اتركوه يذهب لأنه يصير التفتيش عليه فهم ما سمعوا لقولى وذبحوه

أعيد السوال على داود هرارى فأجاب:

إن الحاخام يعقوب قال لنا نحن السبعة يلزمنا دم بشرى لأجل عيد الفطير ولذلك يلزم أن نستدعى البادرى توما

فإذ ذاك استحضر الحاخام أبو العافية وكان طلب أن يعتنق الديانه الإسلامية خوفا من أن يقتله اليهود أما دلتلو المغفور له شريف باشا فرفض بدأة بدء طلبه وأمره أن يعطى تقريره قبل أن يقتبله فى الدين الإسلامى. غير أن الحاخام بقى مصرا على طلبه. حينئذ أمر دولة الوالى بأن يضع على رأسه العمة البيضاء وأشهره مسلما واخذه تحت حماية جلالة السلطان فإذ ذاك رفع أبو العافية تقريره خطا ومن جملة ما فية هذه العبارات الآن وقد أمنت على حياتى بمعونة الله والنبى محمد صلى الله عليه وسلم فإننى ملزوم بأن أقر بالحقيقة. أن الربى يعقوب قال لى بأنه محتاج للدم لأجل إتمام ما تأمر به الديانة وقرر هنا طبق ما جاء بما ذكرناه سابقاً.

وفى يوم الثلاثاء ١٤ مارس استحضر محمد أفندى أبو العافية المذكور وصار سؤاله بحضرة صاحب الدولة شريف باشا وقنصل فرانسه والموسيو بودن الكونشليار والربى يعقوب ماذا يعلم التملود بما يتعلق بمن ليسوا من اليهود.

ج: يقول الحاخامات إن جميع الخارجين عن اليهود هم حيوانات ووحوش لأن إبراهيم عندما أخذ ولده إسحق ليقدمه ذبيحة وكان يصبحه خدمه قال لهم امكثوا هنا والحمار بينما أنا وولدى نذهب إلى الأمام فمن هذه العبارة يستنتج التلمود بأن كل من لا يكونوا يهودا فهم حمير

سئل الحاخام يعقوب عن هذه العبارة إذا كانت صحيحة فأجاب أنها صحيحة.



حينئذ صار استحضار مكتبة أبى العافية وكانت مؤلفة من جملة مجلدات محررة باللغة العبرية وصار النظر فى هذه الكتب فوجد بعض خلايا بين عبارأتها وسطورها فسئل محمد أفندى

أبو العافية عن سبب ترك هذه الحلايا فأجاب بأنها محفوظه لأجل ذكر اسم الناصرى وكلما يتعلق به.

سئل الحاخام يعقوب إذا كان مسموحا ديانة قتل من لم يقدس يوم السبت. فأجاب نعم إن كان يهوديا. فقال محمد أفندى أبو العافية ومسموح أيضا قتل من لم يكونوا يهودا لأنهم معتبرون نظير حيوانات فلا يلزم أن يستريحوا يوم السبت وهذا مذكور فى التلمود فصل سنهدرين صفحة ٥٨ (من لم يكن يهوديا ويقدس يوم الأحد يلزم قتله)

سئل محمد أفندى أبو العافية لقد قلت بأنهم أخذوا الدم لأجل الفطير مع أن الدم عند اليهود محرم وهو رجس فكيف هذا التناقض فسر لنا ذلك

ج: بموجب التلمود دمان مقبولان عنده تعالى دم الفصح ودم الطهور

فصادق الحاخام يعقوب على هذا التفسير

سئل محمد أفندى إن جوابك هذا لا يظهر جليا كيف يحل استعمال الدم البشرى

ج: هذا من أسرار الحاخامات الكبار كما أن كيفية استعمال الدم هو من أسرارهم أيضا

لقد ذكرنا قتل إبراهيم قمارة بعد قتل معلمه البادرى توما فهناك ما جاء عن قتله بتقريرأت المتهمين

قرر مراد الفطحل قائلا: إن هارون إسلامبولى فرغ دم الخادم من الإناء الذى كان استلقطه إلى قنينة كانت فى يده هذا هو الصحيح

وقر أصلان فارحى قائلا: لقد ألقى الخادم على ديوان وأنا مسكته فى رجله الواحدة وإسحق بيشوتى مسكه فى الثانية ومراد فارخى ذبحه وكان الباقون ما سكينه فى كل جهة والدم الذى سال منه صار وضعه فى إناء ثم صار وضع هذا الدم فى قنينه بيضاء نظرتها بيد يعقوب أبى العافية. فبينما كان أصلان فارحى يقرر ذلك أمام مراد فارحى التفت هذا فيه وقال له:

هل أنت مطلع على أسرار الديانة وإننى أطلعتك عليها بدون إخفاء حرف واحد عنك.

فسأل حينئذ دولتلو شريف باشا مراد فارحى قائلا له إذا لمن تسلم أسرار الديانة

فبقى مراد ناظرا إلى خصمه وقال ليس لمثل هذا تسلم أسرار ولا هو يعرف شيئا عن الحادثتين (أى حادثة البادرى توما وحادثة خادمه).

ثم وجه دولتلو شريف باشا السؤال على محمد أفندى أبى العافية وقال ماذا تحكم الشريعة على اليهودى الذى يقول شيئا يضر بطائفته

ج: يستحق الإعدام لأنه إذا أحد اليهود تكلم باطلا بحق يهودى آخر فمن الواجب قتله ولا صفح له لأن التلمود لا يصفح عنه والتلمود هو أساس الديانة وعليه لم يكن قط بإمكانى أن أوضح الحقيقة حتى صرت مسلما.

سئل الحاخام يعقوب عما يقرره بما يتعلق بهذا الشأن.

ج: نعم إننا نبذل الجهد لإعدام ذلك اليهودى فإذا لم يتم ذلك بواسطة الحكومة فنجرى الأمر رأسا إذا أمكنتنا الظروف لأن بذلك إتمام الشريعة.

ولقد اعتنى المرحوم شريف باشا بترجمة كثير من كتب محمد أفندى أبى العافية فأمر بتعريبها من العبرية وكان الحاخام يعقوب يصادق على التعريب

وسنأتى بإيضاح كثير من شروحات التلمود إن شاء الله فى بابه.

أما يهود دمشق فقد اعتراهم عند معرفتهم ما كان من التقريرأت المار ذكرها وعلى الخصوص من ترجمة عبارأت كتبهم الدينية خوف عظيم فقلقوا واضطربوا شديدا وهذا يظهر من تقرير رفعه وقتئذ قنصل فرنسا إلى الحكومة المحلية باسم المرحوم شريف باشا وهو معلق بجورنال الدعوى (القضيه) ومؤرخ فى ٢٢ نيسان (أبريل) سنة ١٨٤٠ وهذا تعريبه.

دولتلو أفندم

من الواجب أن أضيف على كل ما ذكرته بتحريرى السابق نمره ٢٢ بما يتعلق بداخلات اليهود ودسائسهم بأن أحدهم طلب إلى أحد حمايا فرانسه من الشام كى يجتمع وإياه مع شبلى أفندى أيوب أحد أعضاء مجلس دولتكم بقضية مهمة فصرحت رضاى بهذا الاجتماع حبا بالوصول لمعرفة السبب الذى ألجأ إليه فقدم اليهودى هذه الطلبات الأربعة الآتى ذكرها

أولاً: التوقف عن ترجمة الكتب العبرية لأن ذلك مشين بحقوق الأمة اليهودية

ثانيا: أن لايصير وضع هذه الترجمات فى جورنال القضيه بل يصير إعدام وإتلاف كلما ترجمه محمد أبو العافية

ثالثا: أن يصير التوسط لدى لكى استحصل من دولتكم الإفراج عن د. فارحى

رابعا: أن تجرى الوسائط لإبدال جزاء الإعدام المحكوم به على الجرمين بجزاء آخر أيا كان

ولقاء ما تقدم يصير دفع خمسائة ألف غرش منها مائة وخمسين ألفا بحال التصريح بالرضا والباقى أى الثلاثمائة وخمسين ألف غرش عند نهاية القضية وأن شبلى أفندى يكون مفوضا بتوزيع المبلغ حسبما يراه موافقا

فكان نتيجة الاجتماع رفض شبلى أفندى المذكور هذه الطلبات إذ أجاب هكذا (لقد عشت حتى الآن شريف النفس فأحب أن أموت عفيف النفس أيضا فيوجد فى الدنيا كثيرون من عديمى الشئمة فلا أريد أن يزداد فى أنا أيضا عددهم).

ثم إن أحد النصارى المعتبرين جاء فعرض على الموسيو بودن قنشليار قونصلاتو فرانسه مائة وخمسين ألف غرش وشالين من الكشمير وريشتى الماس لكى يمنع بقدر الإمكان عن الطائفة اليهودية التهمات الموجهة ضدها وأن المبلغ هذا إذا لم يجد كافيا فتمكن زيادته

الإمضاء : كونت ده رأتى ما نتون



موزيز مونتيفوري

فما تقدم يتضح جليا كيف أن اليهود وقتئذ اضطربوا وأخذوا باستعمال الطرق والوسائط الفعالة وبذل الدرهم الرنان لإطفاء نيران الحادثة وكان لما تمت التقريرأت قد حكم على عشرة من الجانين بجزاء الإعدام كما مر وكاد الحكم أن ينفذ لو لم يفكر قنصل فرانسه بأن يعرض إعلام الحكم على دولتلو المغفور له إبراهيم باشا الذى كان وقتئذ قائدا للجيوش العثمانية لكى يجرى المصادقة عليه. فبأثناء تلك المدة استغنم اليهود الفرصة فضاعفوا الوسائط وقد ساعدتهم الجرائد اليهودية إذ أخذت أن تندد بأعمال قنصل فرانسه والحكومة المحلية وبصاحب الدولة شريف باشا. ولا يخفى ما كان لهذا الوزير الخطير من رفعة المقام وعفة النفس ومحبة الحق والتمسك بالعدل حتى كان قدوة الحكام ومثل الشجاعة والحمية ونموذج الغيرة الوطنية قام بخدمة الدولة والوطن أحسن قيام فتخلد ذكره مدى الأعوام.

ولقد سلك دولته رحمه الله بأثناء الفحص عن ذبيحة البادرى توما سلوكا مستقيما لم يحاب قط بالوجوه ولم يعتبر إلا الحقيقة كما كان يجرى فى سياسته وأحكامه فكان لديه المال كالتراب لا سلطة للمال على أفكاره فلم يحول إليه وجها ولا نظرا بل كرس حياته لخدمة العدل والإنسانية والانتصار للبرى. فطوبى لعصر حوى حكاماً كدولتلو شريف باشا وسعيدة البلاد التى تقبض على زمامها رجال كهذا الرجل الذى يبخل الزمان بمثله.

ثم أن اليهود لم يكتفوا بالتنديد بلسان جرائدهم بل قامت خطباؤهم ضد الكونت ده رأتى مانتون وألح المسيور وتشيلد على الحكومة الفرنسوية كى تقيمه من دمشق الشام إلا أن الموسيوتيرس كان يعضده وقصارى القول بأن اليهود جميعهم وجهوا الأفكار لإنقاذ القتلة فعقدوا الجمعيات السرية والعلنية وجمعوا من المال مبالغ وافرة ووكلوا فى الأمر اثنين من عظائهم هما كراميو ومويز مونتيفيورى فجاء كلاهما من فرانسه إلى الشرق مرسلين من قبل الإتحاد الإسرائيلى قاصدين إخفاء مذبحة البادرى توما بأية طريقة كانت وإلقاء ستر الخفاء عليها. فوصلا مصرا ورفعا أول عريضة لصاحب الدولة المغفور له محمد على باشا التمسا بموجبها مراجعة الدعوى وتخليص القتلة فرفض دولته التماسها هذا لكونه رحمه الله كان متيقنا باستقامة وزيره شريف باشا وبعدالة الحكم الذى صدر على المجرمين لكنه ارتأى مراعاة للظروف وإجابة لاسترحام عموم الشعب الإسرائيلى أن يمنح عفوا كان له أن يمنحه بصفته حاكم البلاد ولذلك أصدر أمرا بكتابة فرمان العفو فكتب كما أمر أما كراميو ومويز مونتيفيورى فلم يتمالكا من إظهار تأثرهما من كلمة صفح التى تضمنتها عبارة

الفرمان لأن كلمة صفح تثبت الذنب ولا تبرئ المذنبين فكررا الاسترحام حتى نالا رفع هذه الكلمة على أنهما لم يتمكنا من إبدال المعنى المقصود من عبارات الفرمان وهذا نصه : أنه من التقرير المرفوع لدينا من الخواجات مويز مونتيفورى وكراميو االذين جاءا لطرفنا مرسلين من قبل عموم الأوروبايين التابعين لشريعة موسى اتضح لنا بأنهم يرغبون الحرية والأمان للذين صار سجنهم من اليهود وللذين أخذوا الفرار هربا من فحص حادثة الأب توما الراهب الذى اختفى فى دمشق الشام فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٥ للهجرة مع خادمه إبراهيم.

وبما أنه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير لا يوافق رفض طلبهما فنحن نأمر بالافراج عن المسجونين ونطمن الهاربين بعدم القصاص عند رجوعهم. هذه هى إرادتنا .....

رحمة الله على المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا الذى رغما عن الظروف الغير اعتيادتة التى طرأت أثناء حادثة البادرى توما لم يرتض بإعادة النظر بالدعوى خوف ستر الحقيقة لما علم به من الحيل والوسائط التى كان يستعملها اليهود ومع صدورا أمره بالصفح لم يسمح بوضع كلمة فى فرمانه تشير إلى براءة لمحكوم عليهم بل جعل العفو مبنيا على استرحامات عموم الأمة اليهودية فقط .....

فيابنى إسرائيل أليست هنا نقطة سوداء على حياة أولئك الذين من أمتكم قاموا يأخذون بناصر سافكى الدم ويطلبون لهم العفو من حاكم البلاد وقد أرسلوا لذلك شخصين من عظمائهم فاتحين لهما خزائن المال ليخفوا به حقوق دم الأبرياء وينجوا به القاتلين. لإخفاء الحقيقة وإلقاءها فى المدافن لاقتلاع شجرة الحرية وغرس شجرة الظلم بمكأنها لرفع الخوف والرعبة من عقول المتعصبين وتجرئهم على اركاب القتل. أهذا هو الطريق الذى أمرتكم شريعة موسى أن تسيروا عليه أهذه شريعة موسى القائلة لكم لاتقتلوا ولا تهرقوا دما ولا تشربوه فإنه رجس بعينى الرب أهذه هى شريعة موسى القائله لكم السن بالسن والعين بالعين. بالله أين قالت لكم شريعة موسى اشتروا حياة القتلة بالمال أين قالت لكم اعقدوا الجمعيات واطلبوا الصفح عن الذين بضمخون أيديهم بدم الأبرياء أين قالت لكم ساعدوا الظالمين بأموالكم.

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أما عظام البادرى توما الذى ذبحه اليهود فقد وجدت فى اليوم الثانى من شهر آذار (مارس) سنة ١٨٤٠ فى حارتهم ونقلت باحتفال عظيم إلى كنيسة الاباء الكبوشيين حيث دفنت وكتب على حجر القبر باللغتين العربية والايطاليانية ما يأتى هنا موجودة عظام البادرى توما ده سردينيا المرسل الرسولى الكبوشى المقتول من اليهود فى ٥ فبراير (شباط) سنة ١٨٤٠ وقد بذل اليهود جهدهم برفع هذه الكتابة وإخفاء الحجر المكتوبة عليه إلى أن عرضوا أن يدفعوا ثقل هذا الحجر نقوداإخفاء لذكر هذه الذبيحة الذى سيبقى حيا إلى انتهاء الدهر.

وفى ٦ مارس (آذار) من السنة نفسها وجدت بقايا جثة إبراهيم قمارة الخادم فى النهر المالح ووجدت هنالك عظام خلافها كثيرة مما يدل على أن ذبيحة البادرى توما وخادمه كان لها سوابق عديدة والله عالم بالخفايا.

ولقد عثرنا على كتاب بخصوص نقل الدم وبيعه من اليهود والاتجار به نذكر منه هنا ما يتعلق بالموضوع. وهو من محرره الكونت جوزانات لقنصل دولة فرنسا فى الشام سنة ١٨٤٠ حرره وقت فحص حادثة البادرى توما.

لقد وصل فى السنة الماضية هنا إلى الجمرك صندوقة فجاء أحد اليهود ليستلمها فطلب منه مأمور الجمرك أن يفتحها فرفض وقدم مائة غرشا فلم يقبل منه ذلك فعرض مائتين ثم ثلاثمائة ثم ألف إلى أن اتصل أخيرا إلى رفع عشرة آلاف غرشا أما مأمور الجمرك فبقى مصرا على فتح الصندوقة ولما فتحوها وجدوا فيها قنانى مملوءة من الدم فسئل اليهودى عن ذلك أجاب بأن من عادتهم حفظ الدم من بعض حاخاماتهم فصار الاكتفاء بجوابه هذا وتسلم الصندوقة بقصد الذهاب بها إلى أورشليم.

فلقد اتضح بأن الحاخامات باستنزافهم الدم لا يقصدون فقط إتمام فروض دينيه بل إنهم يقصدون أيضا الأرباح المادية بإرسالهم الدم لبيعه ويرفقونه بشهادات تعلن بكونه دما بشريا صحيحا.

فلما بلغ هذا الكتاب قنصل فرنسا طلب مدير الجمرك فكان قد مات وكان له وكيل فأفاد هذا الوكيل لدى سؤاله بأنه فى ذلك الحين علم بكشف صندوقة كان ضمنها نحو عشرة أو اثنتى عشرة قنينة مملوة مادة حمراء وأن الذى جاء بطلبها كان هارون إسلامبولى.

(ذبيحة الإسكندرية سنة ١٨٨٠)

لقد خطف اليهود فى تلك السنة فى مدينة الإسكندرية ولدا واستنزفوا دمه وكان أبوه قبطانا لمركب من جزيرة قبرص فلما علم بقتل ولده جاء مسرعا يطالب بدمه إلا أن قوة اليهود المعلومة وضعت ستارا على هذه الذبيحة وقد اتصلوا إلى منع الأب المنكود الحظ أن يدخل إلى الإسكندرية وتعللوا بأن دخوله يحرك الثورة ضدهم وهم أبرياء.

(ذبيحة ثانية فى الإسكندرية سنة ١٨٨١)

إنه فى شهر مارس (آذار قرب عيد الفصح وجدت فى الإسكندرية جثة ولد يونانى اسمه أفانجيليو فونارا كى كان اليهود قد استنزفوا دمه فشوهدت عروق يديه ورجليه موخوزة بآلات حادة والودج مقطوعا فسبب قتل هذا الولد على الصورة الوحشية المار ذكرها هيجانا عظيما فى الإسكندرية وقد حفظت جثة لذبيح بضعه أيام فى المستشفى حيث كان الناس يتقاطرون لنظرها طالبين الانتقام من اليهود ومعاقبتهم منعا لتكرار مثل هذه الحوادث المرعبة وقد اجتمع فى ساحة المنشية ألوف من الناس على اختلاف المذاهب والطبقات يكررون طلب حق دم الولد البرىء فكان من ذلك ازدياد هيجان جرح فى أثنائه بليغا نحو من عشرين يهوديا فاضطرت الحكومة لإرسال ثلاثة آلاف جندى لتوقيف ذلك الهيجان ولما كانت عائلة باروخ اليهودية هى التى وجهت عليها تهمة القتل صار إرسالها إلى كورفو بقصد إجراء محاكمتها.

(ذبيحة أزمير سنة ١٨٨١)

فى تلك السنة أيضا قبض اليهود فى مدينة أزمير على ولد لعائلة يونانية شهيرة وعند قرب عيد الفصح أذاقوه أمر العذاب واستنزفوا دمه ثم طرحوا الجثة فى البحر فقذفتها المياه على الشاطئ حيث وجدت موخوزة بألف وخزة.

لقد تم بعونه تعالى طبع الجزء الأول وسيلية الجزء الثانى والثالث يحتويان على ذكر ما بقى من الذبائح الشرقية وعلى صورة هنرى عبد النور الحقيقة إذ كان حيا وعلى أسماء وصور قاتليه فردا فردا ثم الذبائح الغربية وصورة الأحكام التى صدرت بها وشرح الآيات التلمودية المتعلقة بالذبائح لأعظم علماء اليهود وكشف الأسرار بقلم أشهر حاخاماتهم وردود علمائهم على كل ما تقدم وعلى صور كثيرة تمثل تلك الذبائح المرعبة ومن أشتهروا فيها فحسبنا مكافأة خدمتنا الوصول لأبطال هذه الذبائح البشرية ومحو آثارها عن وجه الدنيا ليصح أن يقل بأننا عايشون فى جيل الحرية والتسوية والاخاء. ولما كان قصدنا بما كتبناه خدمة الحق والإنسانية فمن يقابلنا بالظلم والاعتساف يظلم الله عليه فى يوم الحشر (عن القاهرة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٠.

(حبيب فارس)

صراخ البرىء فى بوق الحرية

بعد أن ظهر الجزء الأول من صراخ البرىء رغما عن جميع ما أجراه بعض الجهال من طائفة اليهود من التهديدات وبعض أغنيائها من الدسائس والوسائط لإخفاء المؤلف وتوعدهم لنا باستجلاب القصاصات الصارمة بواسطة الحكومة إذا لم نقبل مقترحاتهم أخذ بعض من استولت الحماقة على عقله نظير كوهين يشيع فى دمشق الشام بأن مؤلف صراخ البرىء قبل مباشرة طبع كتابه كتب إلى يطلب منى مبلغا من المال فلما أبيت بادر إلى طبع الكتاب انتقاما وغيظا. قال المكاتب وقد أشاع هذا البطل الملفق ما أشاعه لما رأى عجزه وعجز مضطهدى صراخ البرىء عن منع بيعه وتداوله " اهـ " وبائنا انتشار صراخ البرىء فى الأقطار المصرية وفى مدن الممالك العلية العثمانية وفى الجزائر والهند والروسيا قد أجمع الصوت العام على استحسانه ليس بغضا باليهود ولا حبا بالانتقام منهم فإن روح صراخ البرىء ظهرت منزهة عن هذه المقاصد السيئة ولا قصد لها ولا تمنى سوى الإصلاح ومقاومة الشر ونشر لواء الحرية والله عالم بعمق ضميرنا إننا نود إحتمال المصائب ولا يحصل لاى برىء كان ضرر وقلبنا يميل لصالح اليهودى الصالح كما يميل لأعز الأقرباء ونكره كره الملسوع من الأفعى النظر إليها أن نرى أى طفل أو ولد كان يتألم أو أن نرى والديه يفجعون عليه وأننا نقدر محبة الوالدين قدرها. وعليه ولما كنا من جملة خادمى العدالة

والحق فإن المسلم والنصرانى واليهودى وكل خليفة أوجدها الله على الأرض بمنزلة واحدة بأفكارنا ننظر إلى المرء من حيث الصفات لا من حيث المذهب (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة).

ولما علم كل من طالع صراخ البرىء أن تلك هى مقاصدنا وأن هذه هى شعائر ضميرنا فقد رفض أولى السلطة إجابة استدعاء كل من حركة التعصب والجهل لمقاومة هذا المؤلف ونحمد الله فهؤلاء الخبثا المفسدون الساعون وراء إطفاء نور الحق قليلو العدد ولقد وجدوا أنفسهم مخطئين بما كانوا يعللون به الأمل أن بغنائهم يتصلون إلى تنفيذ مآربهم وفاتهم العلم والمعرفة بأننا وإياهم على أرض نتمتع بأنوار عدالة حكامها كما يتمتع الناس غنيا كان أو فقيرا بنور الشمس دون امتياز الواحد عن الآخر. ولا نقصد هنا إظهار كوننا فرحين من خزلهم كلا ثم كلا بل نظهر أسفنا أن كانوا لم يرتدعوا حتى الساعة عن ضلالهم ومتى خرجوا عن الضلالة وأحبوا العدالة فهم لنا بالبشرية إخوان وياليت خلعوا عنهم رداء التعصب فإننا وإياهم على الأخذ بناصر الأبرياء أعوان بناء عليه لقد طرحنا على جانب كلما سمعناه من تهديدات وأقوال حائدة عن العقل وها إننا نتبع خطتنا بالشجاعة والحرية التى اتخذناها ركنا لمبادينا طالبين إلى الله أن يهبنا دائما كما وهبنا حتى الآن لسانا لا يفتر عن ذكر الحق وقلبا لا يميل إلا إلى العدل.

(ذبيحة بورت سعيد سنة ١٨٨١)

جاء فى تلك السنة رجل من مصر إلى بورت سعيد وصنعته سروجى فاستأجر عشة فى الجهة الغربية من المدينة وأخذ يتردد على بقال رومى مقيم فى تلك الجهة ففى ذات يوم جاء الرجل ويرفقه ابنة لها من العمر ثمان سنوات فطلب من البقال كباية من الروم (مشروب) وأعطى الابنة كاسا من الخمر وبعد أن أقام برهة توجه وفى الغد مر أمام دكان البقال دلال ويرفقته امرأة وكان ينادى وينشد الابنة مشيرا إلى أوصافها وملابسها والامرأة والدموع ملئ أعينها تسأل هنا وهناك عن ولدها المفقودة فلما سمع البقال الرومى ذلك استدعى الدلال والامرأة وأخبرهما بما كان بالأمس فذهبا توا إلى البوليس وأعلماه بالأمر فأخذ بالفحص وقد اتفق أن الرجل جاء فى اليوم الثالث عند البقال وطلب أن يأتيه بفنجال قهوة ثم أخذ يلومه لأنه أخبر عنه ما رأى وكان الرجل يتكلم وقتئذ على غير هدى وظهرت على وجهه علامات الخوف فأرسل البقال بالحال سرا فأعلم البوليس عن وجود

الرجل عنده فحضر أحد الأنفار وبرفقته والدة الابنه وألقى القبض على السروجى وأخذه إلى القراقول حيث صار استجوابه فازداد ارتباكا وقرر بأنه لم يأت بورت سعيد إلا من برهة ولما سئل عن محل سكنه وأنكر أخذت الاستعلامات عن ذلك وتوجه البوليس إلى العشة مع والد الابنه وأمها وبعض أنفار العساكر وشيخ الحارة ولما دخلوا العشة لم يجدوا فيها سوى كيب (حصيرة) وماجور فيه آثار دم وكانت حصيرة ثانية ملفوفة وموفقة فى إحدى زوايا العشة وكومة من الحطب فوقها فلما رفع الحطب وكشفت الحصيرة وجدت ضمنها جثة الابنة الفاقدة فبالحال أرسلت لإجراء الكشف عليها وإعطاء التقرير الطبى. أما الرجل فسيق إلى القراقول ووضع فى رجليه الحديد. والذى اتضح من الكشف الطبى هو أن غشاء البكارة مفقود بآلة حادة وجزءا من الحنجرة مقطوع بآلة على شبه مقص وكانت الوجنتان مشرحتين وأكثر الأعصاب والعروق مقطعة وأعيد الكشف فى العشة فوجدت آلات الاستنزاف وهى المقص وبعض سكاكين ومناخس وإبر.

وقد أجرى هذا الكشف المرحوم أسماعيل باشا حمدى. ثم تكرر استجواب الرجل المقبوض عليه فأقر بأنه من عشرين يوما استأجره رجل يهودى من مصر وجاء به إلى بورت سعيد بقصد الحصول على دم ولد نصرانى ولما لم يتمكنا من ذلك أخذا الابنة المسلمة وقطع لها حنجرتها (زورها) وفصداها حتى صفى دمها فى الماجور ومن ثم نقلاه إلى ثلاث قنانى استلمها الرجل اليهودى واستسلم أيضا قطعة من الحنجرة مع غشاء البكارة إثباتا لكون الدم دم آدمى وأن اليهودى عاد إلى مصر عن طريق الأسماعيلية وبقى مصرا على إنكار اسمه أى اسم اليهودى مدعيا عدم معرفته إلا أنه أشار إلى ثوبه وعمته وهيئته ولم تكن هذه الإشارات كافية للاكتشاف عليه. فلما علم بأن الابنة قد استنزفت للغاية اليهودية هاج الإسلام والنصارى على اليهود فأحاطوا بيوتهم حتى التزم وقتئذ محافظ المدينة لوضع كوردون على حارة اليهود وقاية لهم فإن كثيرين منهم أبرياء من هذه الأعمال الوحشية ولا يجوز أخذ البرىء بخطأ الشرير. ثم ملاحظة لهذا الهيجان اعتبرت الحادثة شخصية وجرت محاكمة القاتل المذكور فصدر الحكم عليه بالإعدام شنقا وصار تنفيذ الحكم عليه غلسا بحضرة وكيل المحافظة وقاضى المحكمة الشرعية وقتئذ وكان حاضرا والد الابنة ووالدتها وكثيرون من الأهالى. أما اليهودى الثانى الشريك بالجناية فلم يقف له على أثر.

هذه هى عدالة الأحكام المصرية التى اقترنت بالحكمة فانصلت لتخميد الهيجان ولم تتخذ هذا الهيجان علة لمنع إجراء العدالة فإن التوقف على مثل هذه الملحوظات وترك البرىء مسفوكا ومهدورا دون مطالبة بحقوقة لمن الأمور المثبتة الضعف فى الأحكام. ولعمرى ليس فى إخفاء الجانيين والمحاماة عنهم علة لعدم هيجان الشعب فإن هذا الهيجان على فرض عدم حصوله ظاهريا فهو عند عدم إجراء العدالة يبقى مكنونا فى الضمائر ويكون سببا لطالب الانتقام من العدل الإلهى ضد الحكام بخلاف الاقتصاص من الجانيين فإن فى قصاصهم إرهابا وإطمئنانا للأفكار وإخمادا للهيجان واعتبارا للحقوق وخضوعا للشرائع واتباعا لإرادة الله القاضية على القاتل بالقتل.

(ذبيحة الأستانة سنة ١٨٨١)

لقد أدخل فى تلك السنة ولد فى أحد بيوت حارة اليهود حيث شاهده داخلا شهود كثيرون وفى الغد وجدت جثته عند قرن الذهب وعليها علامات الاستنزاف ولدى الفحص أعلن بعض الشهود رؤيتهم لهذا الولد داخلا بالأمس لحارة اليهود فكان للواقعة بعض الهيجان إلا أن الذهب اليهودى ألقى على هذه الحادثة المفجعة ستار الخفاء.

(ذبيحة ثانية فى الأستانة سنة ١٨٨٢)

لقد صار استنزاف ولد آخر فى غالطة وقد رفع بخصوصها الأفوكاتو سنرويوس تقريرا للحكومة ولجميع وكلاء الدول التماسا لإجراء العدل والانتقام من الجانيين ومعاقبتهم بصرأمة: إلا أن اليهود شمروا وقتئذ عن ساعد الجد وتمكنوا من إخفاء أوراق الفحص ثم أن والدة الولد الحزينة لما كانت تداوم تشكياتها وتستغيث طالبة إلى العدالة حق دم ولدها قد صار قطع صراخها بأن تقرر كونها أصيبت بداء الجنون وقد صار إقناع البطركخانة المنسوب إليها الولد بأن دفع اليهود مبلغا من النقود لمعاش تلك الأم التى مضت ما بقى من حياتها تأكل طعامها ممزوجا بدموعها.

فالظاهر أن دولتلو مصطفى عاصم باشا قرأ ما كان بهذه الحادثة حتى عن لأول وهلة على أفكارة الادعاء بكون الحزينة والدة هنرى عبد النور بليت بداء الجنون على أن هذه الامرأة والحق يقال قد احتملت من قبل الظالمين والمعتسفين والمتعجرفين والذين باعوا

بالمال دينهم ودنياءهم والحقوق المقدسة مظالم لو ألقيت على جبل الصالحية لانهد ولكنها اعتصمت ليس بعدل عاصم بل بعدل الله وهى سليمة العقل ومثال الشجاعة والصبر ولا تقطع رجاءها بعدالة سلطاننا الأعظم حتى آخر نسمة من حياتها.

وهنا مجال لأن نلتمس من دولة الوالى أن يرفع من عقلة آمالا فارغة يعرضها عليه عبده قبوات ذلك الخادم النصوح لإبليس بإمكان استجلابى لديه وطلب إرسالى لدمشق الشام من الحكومة المصرية تحت علل فاسدة وأسباب فارغة وحجج أوهى من الخيوط العنكبوتية على أنه لو فرض المحال وتمكن ظلما واستبداد أو خداعا واعتسافا من أخذى بين أيديه فهل له السلطة المطلقة وهل لوحاد عن خطة العدل الذى أشرق فى العصر الحميدى يتمكن دولته من الرقاد مطمأن البال وهل يخفى على دولتكم ياصاحب الفخامة دولتو أفندم مصطفى عاصم باشا بأن الكل تجاه القانون العثمانى المنيف بمنزلة واحدة وأنا جميعا رعية مولانا أمير المؤمنين فلماذا هذا التحامل ولماذا هذا التشبث. اعدلوا اعدلوا كرما ولطفا. هذا صراخى لكم. فساعة العدل أحس من ألف شهر عبادة ولا فائدة من الانتقام فالعاقل لا يخاف انتقاما إلا انتقام من بيده الأرواح ويوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

(ذبيحة الأستانه سنة ١٨٨٣)

فى تلك السنة استنزاف بعض اليهود ولدا روميا فصدرت الأوامر بوجوب إجراء فحص مدقق وعزمت الحكومة السنية على الاقتصاص من الجانبين منعا لتكرار هذه الحوادث المرعبة والمقلقة لراحة العباد إلا أنه بقدر شدة الحزم والعزم بقدر ذلك يزداد عزم المتمولين من بنى إسرائيل ولما كانت جريدة إستامبول الحرة المبادئ فتحت أعمدتها للمدافعه عن حق البرىء وقد أخذت بأن تبين صريحا ما كان يفعله البوليس وقتئذ والمال الذى كان ينفق فى سبيل إطفاء الحادثة فقد بذل اليهود من الدرهم لا أقل منماية وأربعين ألف فرنكا لقفل هذه الجريدة وتعطيلها. ولقد ذكرت هذه الحوادث فى تأليف (فرنسة اليهودية).

والكل يعلم أنه بعد انتصار الدولة العلية فى حرب الموره قد وقع بالأسر كثيرون من أهالى هذه البلاد فبعض الاسرى اعيدوا إلى بلادهم والبعض مكثوا عند الإسلام فترقى كثير

منهم إلى مراكز عالية فى خدمة الحكومة وقد دخل عدد وفير بيد اليهود فهذه الفئة الأخيرة لم يعد بعد مضى بضع سنين يظهر ولا واحد منها.

هذا ما ذكرنا هجوم ملك الفرس على الديار الشامية سنة ٦١٤ هجرية على عهد هرقل ملك الروم إذ استولى على مدينة أورشليم فاشترى اليهود من هذا الملك ألوفا من الأسرى النصارى بالمال فذبحوهم ذبحا تلموديا

هذه هى بعض الذبائح الشرقية التى تمكنا من الوصول إلى معرفتها ولكن لو أمعنا النظر وأطلقنا للتصور العنان لوجدنا مئات بل آلاف من الرمم المخفية فى بطون الأرض ولجات البحور تصرخ طالبة لباريها الانتقام. فكم من أم أثكلها فقد ولدها دون أن تعرف له أثرا وكم من عائلة نهضت من رقادها فوجدت أحد أعضائها مفقودا وكم وكم من الحوادث التى ما زالت تتكرر فى كل سنة وتبقى مدفونه وكم من جثة وجدت مطروحة وقد مضت عليها المدة التى لم يعد بعدها ممكنا معرفة ما جرى بها.

هذه جثة الولد التى وجدت فى دير القمر (لبنان) مطروحة فى حرش الشربين ودمه مستنزف : هذه جثة الصبية التى وجدت فى مستنقع الأسماعيلية سنة ٦٩ وهذه جثة الصبية التى وجدت فى وادى الجعمانى من قضا المتن (جبل لبنان)، أما الحوادث التى حصلت ولم يتم بها الاستنزاف لموانع قد حدثت فهى أكثر من أن تذكر فنقتصر على إيراد بعضها.

إن الخواجة بشارة الشدياق من الحدث (لبنان) لما كان بسن الثلاث عشرة سنة استخدم عند مراد وإلياهو فارحى من تجار بيروت (هذه الحادثة جرت من نحو ثلاثين سنة) ففى إحدى الليالى استدعياه لتمضية ليلة حظ عندهما فامتثل أمرهما وتوجه فعند آخر الليل طلب الرجوع لبيته فمنعه الخواجات فارحى وكان حضر عندهم فى تلك الليلة بعض اليهود فأخذوا يتحدثون باللغة العبرانية وكان بشارة ينظر إليهم وعلامات الشراسة أخذت تلوح على وجوههم فارتعب الشاب من ذلك وطلب الخروج فمنع. ولما هم نحو الباب وجده مقفولا فأخذ يصرخ مستغيثاً وإذا بالباب يطرق طرقاً عنيفاً فخاف اليهود ولما فتحوه وجدوا ضاهراً أخا بشارة قد أتى يطلب أخاه عندهما وجده قد تغيب وكان قد أتى متسلحا لخوفه من أن يكون أخوه قد ضبط لأجل الاستنزاف التلمودى.

والحوادث التى حصلت فى الشام من اليهود كثيرة منها حادثة يوسف المعرى الحلاق حدثت بعد حادثة البادرى توما بخمس سنوات .

وتفصيلها أن هذا الحلاق كان فى حانوته فجاء بعض اليهود واستام منه مقدار مئتين من العلق (الدود) وكان العلق حينئذ غاليا تساوى الواحدة منه ثلاثة غروش وأوعز إليه أن يأتى بها إلى بيت الهرارى فى حارة الثلاج (حيث ذبح البادرى توما وخادمه) ليعلقها على امرأة قال إنها مريضة فذهب يوسف المعرى نحو المغرب ولما طرق الباب ترحبوا به وأدخلوه إلى حجرة فيها امرأة بديعة الحسن تستوقف الطرف بجمالها الباهى وعليها من الثياب الفاخرة ما يجلى النظر.

فتردد الحلاق وقال أهذه العليلة قالوا نعم وهى تشكو الألم فى معدتها وأشاروا إليه أن يمكث إلى أن يأتوا بالطبيب ليريه موضع العلق ثم أتوه بنرجيلة من الفضة جعلوا عليها من الأزهار الطيبة الرائحة ثم أغلقوا عليه الباب وتركوه يحادث المرأة الحسناء المتمارضة. وعليه فإن المكان وحسن المنظر والمجالسة أنسياه الوقت وفواته فلم ينتبه إلا وقد أقبل الليل فقام واستبطأ الرجل الذى ذهب لاستدعاء الطبيب فقيل له أنه سيأتى ولما خرج من الحجرة رأى فى صحن الدار جماعة من الحاخامات يتهاسمون فذعر وتذكر إذ ذاك حادثة الأب توما فعاد إلى الغرفة وسأل الامرأة عما أتى بهؤلاء الحاخامات الذين رآهم. فقالت له ما عليك منهم بأس. أما هو فازداد به القلق وعاد إلى الباب الكبير مهماً بالخروج فرآه مقفولا وإذ ذاك هرعت إليه جماعة الحاخامات الواقفين فى صحن الدار وتناوله أحدهم وضرب به على الإيوان وقال له اقعد هنا فإننا بحاجة إليك لتعليق العلق. ثم أخرج ليرة من جيبه وناوله إياها فتيقن الحلاق إذ ذاك ما يريدون به وأخذيستغيث ويستجير وإذ بالباب يطرق طرقاً عنيفاً فتفرق الحاخامات ودخلوا الغرف إلا واحد منهم تقدم ففتح الباب وإذا بقواص قنصل النمسا داخلا فتعلق به الحلاق ولم يتركه حتى خرج وإياه. فأخبره عما جرى به وسأله كيف توقع حضوره فأجابه والله ما أدرى غير أننى كنت مارا فلا أعلم ماذا ألجأنى إلى الوقوف هنيهة أمام بوابة البيت فسمعت صوتاً يستجير فطرقت الباب عنيفاً وهذا ما جرى بالقضاء والقدر. فسبحان من ألهمنى على إنقاذك. ويوسف المعرى ما زال حياً وهو بدمشق يشهد بهذه الحادثة على رؤوس الأشهاد.

ومنها حادثة حبيب جرجس وردة

فى سنة ٧٧ كان مسكن الخواجة جرجس وردة فى حارة زيتون وكان فى يوم قبل عيد الفصح ولده حبيب واقفاً على البوابة فأتاه يهودى وقال له. ما اسمك فأجابه الولد حبيب جرجس فقال اليهودى تعال وإياى فإن والدك اشترى لك خروفاً صغيرا فلما سمع منه الولد ذلك تبعه ولما ابتعد عن البيت بقليل حمله اليهودى على ذراعه وتوجه به إلى حارة اليهود أمام طالع الفضة حتى دخل فى ذاروب (دخلة) فإذ ذاك خاف الولد وأخذ يبكى فحضر إبراهيم وأنطون منصور من قاطنى حارة السلطانى وكانا يعرفان الولد وأباه فسألا اليهودى إلى أين ذاهب بالولد فأجاب مرتبكاً ومذعوراً (وبالحال أنزل الولد على الأرض) بأنه وجده تائهاً فأحضره.

ومنها حادثة ابن كساب وهو طفل صغير خرج منذ أربع سنوات من بيته فى السلطانى قريباً من طالع الفضة وتوجه دون علم والديه إلى حارة اليهود القريبة من منزله فرأته يهودية فأسرعت إليه وأخذته على ذراعيها وكان قد ضل طريقه فجعل يبكى فهمت المرأة أن تنطلق به إلى بيتها فرأتها امرأة مسلمة فقالت لها ابن من هذا الولد ليس هو لك فأجابتها اليهودية بلى ودخلت به إلى منزلها فوقفت الامرأة المسلمة واتفق وقتئذٍ مرور رجلين من نصارى الميدان فأخبرتهما المرأة بما كان وقالت دلتنى هيئة الولد أنه نصرانى فأسرعا بطرق الباب وطلبا الولد فصيح بهما من الداخل بأنهما قوم كذبة وأن لا علم لهم بالولد وتتابع عليهما الصراخ من كل جوانب البيت فلما سمعت المسلمة بهذا الإنكار لإزدادت يقيناً وأعلمت بمرام اليهودية من أخذ الولد ففى الحال بعث الرجلان النصرانيان بطلب نفر من المحافظة وجعلا يبحثان فى البيت حتى انتهيا إلى القبو فوجدا الولد ملفوفا فى حصيرة قائمة إلى زاوية هناك وبيده ليمونة فأخذاه واستعلما عن والديه فسلماه لهما..

ومنها حادثة خليل ابن المنعم

لقد خرج هذا الولد من المدرسة نحو المساء وانطلق إلى بيته فى حارة الجوانية ليس بعيداً عن الثكنة ولهذه الحارة مدخل يعلمه كل أهل الشام ضيق لا يكاد يدخل منه إلا الرجل الواحد فقط وفى منتصف هذا المدخل باب مصبغة لكتران اليهودى أحد قتلة هنرى عبد النور ينزل منه إليها على درجات وكان لهذه المصبغة باب آخر إلى الشارع إزاء

الثكنة الشاهانية فسد حديثا لغاية. فلما صار الولد إلى باب المصبغة إذا برجل أتى من ورائه ودفعه إلى داخلها فتعلق خليل المذكور بالرجل وتمكن من القبض على أنثييه فصرخ الدافع وبادر آخر من المصبغة وجعل يجر ابن المنعم إلى داخل وهذا يشد القبض فتألم اليهودى كثيراً وصرخ الخليل أن اتركنى فقال له لا أتركك حتى تخرجنى خارجاً وما زال به حتى أخرجه لشدة ما ناله من الألم وانطلق بعد سريعاً.

وهذا الولد فى دمشق اليوم يقص حادثته هذه على من يشاء والمصبغة لا تزال فى المضيق حبالة لقنص كل غافل ولم يسد صاحبها كترون الباب الذى على الشارع إلا لهذه الغاية.

ومنها حادثة قيصر أبى الفول.

هذا الرجل وهو شاب دعى إلى أحد المنازل اليهودية لليلة ساهرة وأحضر معه آلة الطرب التى يعزف بها ومازال وأصحاب البيت فى لهو وطرب وغناء ومغازلة فى حجرة واسعة حتى كاد الليل ينصف فقامت حينئذ النساء وتنحين إلى غرفة أخرى وابتدر الباقون الشاب قيصر فرموه فى قبوت تحت الحجرة من باب خشبى مفتوح فى أرض الحجرة نفسها. وكان من قدر الله أن باب القبو الذى يخرج منه إلى صحن الدار نسى بدون قفل فأسرع قيصر وخرج منه وبيده رفولفز كان اعتاد على حمله تحت ثيابه فتهدد بقتل كل من يعارضه. غير أنه لما صار إلى بوابة المنزل وجدها مغلقة بحجارة عظيمة فعاد على أدراجه وصعد السلم بعجلة ولما انتهى إلى السطح قفز منه إلى الزقاق وتخلص من أيدى اليهود قاصدى استنزاف دمه. ومثل هذه الحوادث خلافها كثيرة كحادثة ابن حبيب شامية وابن حبيب المسأميرى وغيرهما وهى عبرة لمن أراد أن يعتبر ومجال لمن يفتكر.

كان المنتظر بعد أن جرى ما جرى بحادثة الولد هنرى أن ينكف بعض اليهود الجهلة عن مثل هذه العوائد القبيحة إلا إننا وجدنا الخلاف منذ وردت علينا الحادثة الآتى ذكرها.

لقد خرج يوم السبت فى ١٣ كانون ثانى (يناير) سنة ١٩ خريستو بن ميخائيل عبده النحات من مدرسة البروتستانت وذهب إلى البيت ليتناول طعام الغذاء فأرسل به أهله إلى حانوت أبيه ليأخذ منه دراهم لاشتراء زيت للمصباح فأعطاه والده الدراهم وأوعز إليه أن يبتاع الزيت من عند عبده كحالة. فانطلق الغلام ولما صار أمام كنيسة البروتستان

صادفته سارة اليهودية امرأة يحيى المخللاتى وقالت له أن يأتى معها لتريه طيور الجنكلة فى باب السلام رغماً عن بعد المسافة بين هذا الباب وباب توما حيث كان الولد وجعلت تلطف له بالكلام وتأخذ بيده وتوانسه ليذهب معها فخاف الولد ورفض أن ينطلق إلى حيث ذكرت له وعمر الغلام تسع سنوات فلما رأت هذه اليهودية تمنعه وانقباضه منها قالت له لماذا أنت خائف منى إن أولادا كثيرين يجيئون معنا إلى منازلنا فيصادفون من المأكولات الطيبة والحلويات الفاخرة عندنا ما يجعلهم أن يكثروا الترداد علينا والمحبة لنا.

فلم يسمع لها الغلام كلاما لما كان يعلمه وتخبره به أمه من أن النساء اليهوديات يتلطفن بالأولاد الصغار ليأخذنهم إلى بيوتهن ليستنزفن دماءهم وتركها وانطلق ليشترى زيت المصباح.

وكان يوسف كردوس قد سمع كلام اليهودية للغلام إذ كان من وراهما فسار وأخبر والد الغلام بأن إحدى نساء اليهود تخادع ابنه لتأخذه معها .

فلما سمع والده ذلك ظن أن اليهودية قد استصحبت الولد فأسرع راكضاً وراءها وأدركها قرب مركز البوليس فألقى عليها أحد الضباط القبض وجرى تقريرها بحضرة أحمد أفندى شريف يوزباشى الضابطة وسليمان أفندى الكوميسر وكامل أفندى البوليس والخواجة سعد الذى كان شيخاً لإحدى الحارات وبعض المسلمين.

وعمر هذه الامرأة ستون سنة ولا أسنان فى فمها ووجد فى جيبها ثمان كعكات يابسة ورمانة كانت تروم أن تبرطل بها الغلمان.

وقد كانت خرجت من منزلها لتنظر فى اصطياد أحد الأولاد لدنو عيد بوريم هامان وعيد الفصح عند اليهود. ولما أقرت بما كان عادت تقول اتركونى وإلا فإننى أشكوكم إلى الحاخام إسحق أبى العافية.

فأرسل بالمراة إلى إدارة البوليس فأقرت بمثل إقرارها الأول أمام إبراهيم أفندى الحموى ورشيد أفندى وعبد القادر أفندى مدير مستشفى الغرباء غير أنها أنكرت فى بادئ الأمر ما قالته للغلام فشهد على إقرارها فى القراقول عند باب توما الشاهدان المسلمان اللذان كانا هناك (فقالت) إنما كنت أمزح مع الولد وأحببته للطفه فأردت أن أفرجه فى باب السلام.


صراخ البري في بوق الحرية
والذبائح التلمودية
حتّام حتّام تسفك الدم متّبع ۞ تحميه آيات تلمود ومشترع

ثم رفع التقرير إلى مدير البوليس. فلما قرأه أمر أن تبقى اليهودية والغلام وأبوه فى إدارة البوليس فبقوا مدة نيف عن ساعتين انطلق فى أثنائهما مدير البوليس وذاكر الوالى بالمسئلة فصدر أمره بإطلاق سراح الامرأة اليهودية لكونها حمقاء بلهاء واستشهد دولته على ذلك بقول المرأة لما سئلت عن اسم والدها أنها لا تعلمه. قال حفظه الله للعدل نصيرا ولو لم تكن بلهاء لما جهلت اسم أبيها وعائلتها وفى ذلك دليل أيضا على كون ما صنعته وقالته للولد حمق منها وبله لأقول صادر عن عقل ودراية. والأحمق الأبله لا يؤاخذ بما يقول ويفعل فضلا عن برأة اليهود عن قصد مثل هذه المقاصد وأخطارها فى الوهم.

وقد اقتفى بعض رجال الحكم مثال الحاكم فجعلوا يشيعون أن المرأة اليهودية مجنونة .. لله دره من أحكام سليمانية.

هذا وبعد أن أجمع رأى الوالى على إطلاق سراح المرأة والإغضاء عن مسئلتها عن ثانية على باله لأسباب لا نذكرها وكلام نقل إليه عن بعض الناس فأمر بملاحقة القضية وتبرئة اليهودية رسمياً فى العدلية.

فانطلق يوم الثلاث فى ٣ شباط (فبراير) إبراهيم حموى نحو الساعة الثالثة ليلاً وأوعز إلى أبى الولد ميخائيل عبده النحات أن يحضر فى الغداة مع ابنه إلى إدارة البوليس ليجرى استنطاقه بشأن دعواه مع اليهودية فلبى الدعوة وظلوا يستجوبون الولد مدة ساعتين ونصف وكلما انتهى تقرير فحملوه إلى مدير البوليس مزقه لعدم رضاه بما ورد فيه وأمر أن يعاد الاستجواب ثانية وأن يطول عليه بذلك كأنه يروم بكثرة الأسئلة وبإطالة الكلام أن يشوش أفكار الغلام فيضطرب بتقريره ويخالف حديثه فيحتج بذلك على بطلان الدعوى وكذبها ويبلغ ما يريده الوالى من تبرئة اليهودية ونضح التهمة عنها.

غير أن الغلام بقى على تقريره الأول وفى أثناء الاستجواب (الاستنطاق) انطلق مدير البوليس عند الوالى ثلاث مرات متوالية وفى المرة الرابعة جاء بأمر من دولته بحمل أوراق الاستنطاق إلى معاون المدعى العمومى فى العدلية.

وكان هذا المعاون مشتغلاً بفصل بعض الدعاوى فلما انتهى قال لأبى الولد (قبل أن يرى الأوراق ويطلع عليها) أنت أبو الولد قال نعم. قال له استناداً على أمر أفندينا الوالى كما أن الحكومة ملتزمة بالمحافظة على رعاياهم والسهر عليهم كذلك الآباء ملزومون

بالمحافظة على أولادهم ومراقبتهم فى ذهابهم وإيابهم فأنت لماذا تركت إبنك يخرج وحده من البيت..

فقال له لست بكونت (comte) ولا باشا فيكون عندى من الخدم والحشم من يقضى حوائجى لكى أدع ولدى فى حجرة مقفلة عليه فهو يقضى حاجات البيت أجمعها منذ بدأ يتكلم. وما نعلم إننا فى بلدة لا أمان فيها على الأرواح والنفوس فأخبأ ولدى تحت القفل.

فقال له معاون المدعى هو ما قلت لك فاذهب عنى سريعاً واكتب سنداً بأنك استلمت ابنك بكماله وعافيته. ففعل ثم قال المعاون بما أنه يوجد تنافر وتعاد بين العيسوية والموسوية أمرنا بسجن الامرأة ولكن النظام لا يساعد على ذلك لأن ما اتهموها به لا صحة له وأن صح فليس هو تحت طائل.

ثم استدعى بالطبيب لينظر فيما إذا كانت الامرأة مجنونة فحضر وأوقفها منتصبة وفتح لها فاها وجعل ينظر فى حنكها ليعلم أمر جنونها وصحة عقلها كما يفعل ليعرف سن الدواب والحمير ثم أطبق فمها وقال بأنها غير صحيحة العقل.. نعم الحكيم البيطرى....

إن لفى فعل الطبيب وقول الوالى بوجوب حفظ الأولاد لطيفتين من لطائف هذا الدهر التى لم يقع مثلها فى الدهور الغابرة وغريبتين من غرائب أرباب الأمر فى دمشق يستدل بهما على مكأنهم من التمدن والعقل ومحلهم من السياسة والحكمة..

ولما كان عبده قبوات أخذا بالتفتيش على هنرى عندما شاع فقده اتصل لوجوده حياً فى أحد البيوت اليهودية فلما رآه قال لهم هذا هو الولد المفقود لم لا تردونه على أهله...

فجعل الولد عندما نظره يستغيث به ويطلب منه أن يأخذه إلى أمه ...

فتلطف اليهود بعبده قبوات وأوعدوه برد الولد ودفعوا له جائزة سكوته مئتى ريال مجيدى فذهب عنهم تاركاً الولد بين أيديهم ...

فلو كان رجل أشر الناس خلقا وأقبحهم خلقا وأشد شراسة من الوحوش الكاسرة لرق قلبه على هذا الولد المسكين الذى خطفه القساة من يد أمه فى الحالة التى وجده فيهاعبده قبوات.

أما الإنسان فاشر الوحوش إذا عدم الدين والشهأمة وكانت الإحساسات البشرية مفقودة من فؤاده فمثل هؤلاء يا ليتهم لم يخلقوا.

فذهب عبده قبوات عن اليهود ثم ما لبث فى المساء أن إعاده إليهم طمعه فجعل يطلب الولد بشدة ويلح عليهم أشد الإلحاح أن يدفعوه له وكانوا قد استنزفوا دم الغلام وأماتوه وأخذوا فى إرضائه وملاطفته وأسكتوه عنهم بأن دفعوا له ماية وخمسين ليرة وكان عبده قبوات من قبل حادثة الغلام من الفقر والحاجة فى مكان عظيم حتى أنه اضطر لرهن زوج طبنجات عند أحد الباعة فى دمشق على ليرة فرنساوية ولما طال زمن الرهن ولم يتمكن من الوفاء بيعت الطبنجات وهى الآن بيد من اشتراها شاهدة على ما كان عليه ذلك الخادم الأمين....

فيما نحرر هذا فى أول مارس سنة ٩١ ورد إلينا من بيروت كتاب يتضمن بأنه تقدم من دم الولد هنرى عبد النور إلى حاخام لندره برفق اليهودى إبراهيم حكيم الذى كان سافر إلى لوندره بعد استنزاف الولد ببضع أيام ...

ثم وردت إلينا من دمشق إفاده هى هذه.

ذكرتم فى الجزء الأول من صراخ البرىء بأن ليهود حلب مغراً معدة لاستنزاف دم الأطفال فيها فهاكم حادثة تشير إلى أنه فى دمشق أيضا مثل هذه المحلات السرية.

إنه من نحو سبع سنوات دعى لأحد بيوت اليهود البنا جرجى بن يوسف برصا وأشير إليه أن يقلع البلاطات القديمة ويستبدلها بغيرها فبينما يفعل ذلك اشعر بأن الأرض التى تحت الحجارة خسف بعضها وظهر ثقب صغير وكان صاحب البيت واقفاً ينظر إليه فلما رأى الثقب لم يتمالك من الارتعاش وأخذ يقول بأن البنا القديم على حياة والده لم يحسن رص التراب كما يجب وطلب من يوسف برصا أن يسد الثقب حالا ثم أخذ الثقب أن يتسع وتقدم اليهودى وأراد أن يدفع يوسف البنا إلى داخل هذه الحفرة حيث يتمكن من استنزافه. أما البناء فتعلق بذيل أثوابه فالتزم اليهودى بالرجوع إلى الوراء وإذا ذاك تمكن من الفرار

وأعلم والده بالأمر فأسرع بالحضور ويرفقته فعلة قصداً بكشف ما ضمن تلك الحفرة إلا أن اليهودى أنكر الواقعة ولما ألح والد يوسف المذكور عليه صاح فاجتمع إليه اليهود وتكاثفوا ولم يتركوا أحدا أن يدخل إلى حيث الحفرة.

فى ٢٥ كانون ثانى (يناير) سنة ٩١ الحالية جرت ختانة بن ماير هرارى فلما جاء الحاخام عزرا ابن مسلون أحد المتهمين بقتل هنرى عبد النور وشرع فى الختان رآه موسى أخو الولد المختون وقد هم فى ذر الدم اليابس على الغلفة بعد أن أخرجه من صرة ملفوفة بخرق كثيرة فقال له ما هذه الخرافات أما أن لكم أن ترجعوا عن هذا الترفض وتكفونا هذا التعزير ويغض الناس بأجمعهم لنا. فأنتهره الحاخام وزجره زجرا قبيحا وقال له لو أمكن لذبحت كل يوم ذبيحا ولو كنت أعلم أن وراء ذلك وبالي وموتي وموسي هراري الذى أنكر ما ذكره على الحاخام وهو شاب فى عنفوان شبابه من الذين ليسوا بشديدى التمسك بعقائد دينهم اهـ.

قبل أن نبتدى بذكر الذبائح الغريبة نرى ضرورياً أن نعيد النظر لحادثة الولد هنرى عبد النور ونذكر مكان استنزافه والذين اهتموا بهذا العمل الوحشى وقد ذكرتهم بعض الجرائد الأوربية وذكرهم هنرى دابورت فى تأليف الحديث المطبوع باللغة الفرنسوية والمعنون (Tné par les Juifs) (قتل اليهود).

قال إن البيت الذى صار استنزاف هنرى عبد النور فيه هو بيت شحاده كتران فى حارة الثلاج وبعد استنزافه نقلت جثته إلى بيت ماير ليزبونا ثم لبيت إبراهيم كتران أمام الثكنة الشأهانية قريباً من البير حيث رميت.

أما الذين حضروا الذبيحة فهم

الحاخام باشى إسحق أبو العافية حاخام الأمة اليهودية.

الحاخام نسيم بيرس.

الحاخام الظلطة.

الحاخام عزرا ابن مسلون.

الحاخام ذباح كتران.

الدكتور مرقوسينانى صاحب الأسبيرأتور (**aspirateur**) .

ومن الأعيان

ماير ليزبونا. ويوسف حلفون. وحايم لينيادو. وخضر طوطح. وموسى طوطح. وشحاده كتران. وإبراهيم كتران. وهرون فسيتق. ويعقوب عدس. ومايز مورلى. وموسى كوهن. وكالب رفيقة من معلمى المدرسة الإسرائيلية ومايز مورلى. وحضرة الصبية روجينا حافظة الوداد والسليمة القلب من الفساد... ووالدها ووالدتها.

السلام عليكم أو نقمات الله وغضبه ورجزه وسخطه تنقض كالصواعق على رءوسكم فى دنياكم وآخرتكم يا من اجتمعتم على عذاب ولد صغير برىء وأخذتم دمه وأنتم حوله كالذئاب الكاسرة. أذناكم غلف فلا تسمعون. قلوبكم متجمدة ومتصلبة كالصخور الصماء فلا تشعرون. قساة لا ترحمون وإبليس نافخ فى عروقكم فلا تشفقون.

ليزلزل الرب أرضا أنتم عليها قائمون ولتكن أيام أفراحكم نوحاً وعويلاً. هذا صدى صراخ الأم المظلومة التى أثكلتموها وجعلتموها تنتحب ولدها ومهجتها انتحابا مراً طول أيام حيلتها.

إذا لم ينتقم الله حالا منكم وممن ساعدوكم على إخفاء دم البرىء فلا بد من يوم يحل فيه غضبه ويصب فيه رجزه على بنيكم وبنى بنيكم وعلى ذرية الحاكم معينكم ويبقى صراخ البرىء شاهدا على مظالمكم يقرأه من يأتون بعدنا ويقولون كان فى ذلك الجيل أمور مدهشة وفظيعة.. أنكم تعجون غضباً كأمواج البحر وإلى الشاطئ لا تتجاوزن فلا يبعد أن أسقط أنا أيضا فى فخاخكم كما سقط غيرى من قبلى من الذين أشهروا الحقائق ونددوا على فظائعكم وأكون بحسب أفكاركم عبرة لمن يتجاسرون من بعد على مقاومتكم.

ولكن لست بخائف قط ولا بمرتعد أو جازع وحسبى أن أنطق بالحق وأقاوم الظلم. فكم من جندى أباح دمه محاماة عن وطنه فمات عزيزاً مكرماً وإننى من العارفين بأن على الإنسان واجبات هى مقدسة لا يقتضى أن يلوى عن العزم بإتمامها.

فلو ألقيتمونى فى وادى ظلال الموت فإننى لا أخاف شرا وعين الله ترعانى وبريشة يظلنى.. (أن فى ذلك لأية لقوم يعقلون).

سفك الدم منذ الأعصر الغابرة

كان عصر فيه لاحظ الناس الحيوانات شريكة للإنسان فى عمله فحرموا ذبحها وكان من يذبح حيوانا يعاقب بالإعدام. فلما أجازوا ذبح الحيوانات اعتقدوا أن أصغرها سنا وأنقاها ثوبا أكثر قبولا لمعبوداتهم.

وكان عصر كان فيه يرتعش الإسرائيليون من الذبائح البشرية ولما حاصروا قاعدة المملكة الموابية ذبح حاكمها ابنه على سورها استرضاء للمعبودات فلما رأى بنو إسرائيل هذا الفعل الشنيع البربرى أقشعرت أبدانهم وبادروا إلى رفع الحصار عن المدينة كيلا ترى أعينه من الشر وكان الموابيون يذبحون أولادهم لمعبوداتهم. فلما خالف اليهود شريعة موسى التى نهتهم عن معاشرة الوثنين كيلا يعملوا حسب جميع أرجاسهم التى عمولها لآلهتهم فيخطئوا إلى الرب الهمم امتزجوا مع الوثنين واتخذوا هذه العادة البربرية.

وهكذا تحت أعين موسى كليم الله نفسه صنعوا عجلا فى حوريب وسجدوا للمسبوك. مزأمير ١٠٦ عدد ١٩. وتعلقوا بالبعل وأكلوا ذبائح الموتى. مزأمير عدد ٢٨. واختلطوا بالأمم وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين وسفكوا الدم الزكى دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان ففسدت الأرض بالدماء مزامير عدد ٣٥ إلى ٣٨. فكم تمردوا على الرب فى البرية وأسخطوه فى القفر مزأمير ٧٧ عدد٤٠..

وكم أنهاهم الأنبياء عن الذبائح البشرية مما يثبت أن اليهود منذ الأعصر الغابرة كانوا يميلون لسفك الدم فالعهد القديم أى التوارة مملوءة من التنبيهات.

إن محرقاتكم غير مرضية وذبائحكم لا تلذ لى. نبوة أرميا ص ٦ عدد ٢٠.

إذا لم تجوروا على الغريب واليتيم والأرملة ولم تسفكوا الدم الزكى فى هذا الموضع ولم تتبعوا آلهة آخر لمسأتكم فإننى أسكنكم فى الأرض التى أعطيتها لآبائكم. نبوة أرميا ص ٧ عدد ٦ ، ٧

إنى لم أكلم آباءكم ولم آمرهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة ولا ذبيحة ارمياص ٧ عدد ٢٢ و ٢٣ .

لأن بنى يهوذا قد صنعوا الشر فى عينى يقول الرب بنوا مشارف نوفت التى بوادى ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار ما لم آمر به ولم يخطر بقلبى. أرميا ص ٧ عدد ٣١ .

لذلك ها أنها تأتى أيام لا يقال فيها نوفت ولا وادى ابن هنوم بل وادى القتل ص ٧ عدد ٣٢ .

وقال متكلما عن أورشليم فى مراثى أرميا.

لأجل خطايا أبنائها وآثام كهنتها الذين سفكوا فى وسطها دم الصديقين تاهوا كعميان فى الشوارع. تلطخوا بالدم حتى لم يطق أحد أن يلمس ملابسهم.

الكهنة لم قولوا أين الرب ودارسوا الشريعة لم يعرفونى والرعاة عصونى والأنبياء تنبأوا بالبعل وذهبوا وراء مالا فائدة فيه.

وقد ذكرت لنا التوراة بأن يفتاح الجلعادى اليهودى قدم ابنته وحيدته وهى بتول ذبيحة قياما بنذر نذره سفر القضاة ص ١١ .

هذا ما كان يجربه بنو إسرائيل عندما كانت أعين الرب وأنبياؤه يحيطون بهم وكلما رفعت الضربات والقصاصات عن رءوسهم كانوا يرجعون إلى شرورهم وهكذا مكث بعضهم سايرين على هذه الخطة حتى الآن.

فما الفائدة من قولهم إن شرائعنا تحرم علينا الدم وهم لا يعبئون بما تحرمه. روى الحادثة الآتى ذكرها المؤرخ اليهودى يوسيفوس الشهير الذى ولد سنة ٣٧ مسيحية وتوفى فى رومية سنة ٩٥ متكلما عن أنطيوخوس الرابع الملقب بأبيفان فاتح مدينة أورشليم والذى تبوأ تخت الملك سنة ١٧٤ قبل المسيح.

قال أن هذا الملك اليونانى لما دخل المدينة المقدسة وجد فى إحدى محلات الهيكل رجلا يونانياً كان اليهود قد ضبطوه ووضعوه مسجوناً بمكان وقدموا له أفخر المأكولات حتى يأتى يوم يخرجون به لإحدى الغابات حيث يذبحونه ويشربون من دمه ويأكلون شيئاً من لحمه ويقدمونه محرقة وينثرون رماده بالفلاء عملا بشريعة لا يجوز عندهم مخالفتها وهى أن يأخذوا فى كل سنة يونانياً وأن يطعموه مدة أفخر المآكل ليسمن يعدونه لإتمام الوصية وأن هذا المسجون استرحم من الملك أن ينقذه فأنقذه (أهـ).

قال بلينوس المؤرخ الرومانى لقد استمرت الذبائح البشرية قربانا حتى سنة ٩٥ ميلادية رغما عن كونها أبطلت بقرار رومانى من سنة ٦٥٨ قبل المسيح.على أنه بعد إبطالها علنا أعادها حاخامات اليهود فأحيوها سرا بما سنوه فى مجامعهم كما سيأتى تفصيل ذلك عند كلامنا عن التلمود والتقليدات.

فمنذ الأعصر الغابرة حتى يومنا هذا لم يستأصل هذا الشر من بين اليهود فالبعض منهم مكثوا سائرين بطرق الضلالة مع أن لديهم أعظم سبيل للهدى ومن العجائب كيف أنه حتى فى عصرنا هذا نرى البعض من علماء الأمة اليهودية وأغنيائها يساعدون على استمرار هذه الذبائح الفظيعة آن بأقوالهم وآن بأفعالهم وآن بأموالهم. فهم تارة يدافعون عن المجرمين وطوراً يجهدون بإلقاء ستر الخفاء على أقوال من يشهرون الحقائق بدلاً من أن يمدوا يد المساعدة على وضع حد لأمور بربرية واعتقادات وهمية وخرافات ظاهرة لم تزل فى بعض أركان أمتهم فهم يجهدون بإخفاء أقوال التلمود والتقليدات التى يعتقدون بها ويسلكون بموجبها ويدافعون التهمات العديدة التى تتوجه ضدهم بأقوال شريعة موسى مع إننا لا نرى قط متعصبى التلمود والربيين وسافكى دماء الأطفال يعيرونها أذنا صاغية بل يسلكون مخالفة لها وهى شاهدة عليهم كما تقدم آنفا و إلا لما كان اجتمع رأى حاخامات الشام وكثيرين من أعيان طائفة اليهود فيها على إجراء ما أجروه من الأمور المنكرة بقتل ولد صغير برىء لا ذنب له بأعين الله ولا بأعين البشر آلم يفضلوا بما فعلوه السلوك حسب اعتقاداتهم الباطلة التى أولدها لهم حاخامات بابل ومن شابههم على السلوك وفقاً للشرائع الموسوية.

فمن عهد بيلاطس البنطى حتى يومنا هذا ما زالت تتعاقب وتتكرر الذبائح التلمودية المرعبة رغماً عن كل مقاومة أدبية ومادية من قبل العنصر المتمدن ومن قبل الحكومات الأمر الذى يثبت لنا ليس فقط بغض البعض من اليهود لكل من كان خارجاً عن مذهبهم وفقاً لتلمودهم وتقليداتهم بل القساوة البربرية الموجودة فى قلوبهم وتعصبهم الغير محدود وخرافاتهم الفائقة التى جعلتهم وتجعلهم إذا لم يصر وضع حد لها من عقلائهم أن يمكثوا كما هم إلى انقضاء الدهر مجلبين على البشرية شروراً متابعة رغماً عن تظاهرهم بإتباع الوصايا العشر وعما ذكرته لهم شرائع موسى ويمكثون هكذا معتقدين بأن الدم البشرى ذبيحة مقبولة لديه تعالى وفيها إتمام فروضهم الدينية.

فيا عظماء اليهود ويا من بنى إسرائيل هم ذوو عدل واستقامة وسلامة ضمير ويا من منكم يقدر الجيل التاسع عشر قدره أليس المسلم والنصرانى خليفة الله نظيركم. أما كان الله قادراً لو شاء أن يجعلكم مسلمين أو نصارى فهل لو وجد بين أحد شعوب الأرض أمة تبيح لنفسها أو لبعض أعضائها استنزاف دم اليهود فأية أفعال كانت أفعالكم نحو هذه الأمة أما كنتم تصرخون إلى الحكومة أن تبيد هذه الأمة عن وجه الأرض إذا لم يتم فيها إصلاح أما كنتم تبذلون الأموال فى سبيل حمايتكم ووقاية أرواحكم وأطفالكم من الذبح واستنزاف الدم الذى لا يمكن لطبيعة بشرية احتماله إلا إذا خرجت من دائرة الإنسانية إلى طبيعة الوحوش الكاسرة.

انظروا ما فعله عمر بن الخطاب رحمه الله عندما رفع يهودى له شكواه بأن حاكم البلد اغتصب له قسما من مسكنه لتقويم بناء الجامع حيث قال (فليهدم الجامع بالعدل ولا يقوم بالظلم).

انظروا يا أغنياء اليهود ويا علماءهم ما كان يقوله يوستينيانوس وترتليانوس وغيرهما ممن كانوا يدافعون عن الأمة النصرانية فى الأعصر الغابرة إذ كانوا يقولون لملوك الرومان إذا تأكد لديكم أيها الولاة بأن نصرانياً سرق أو قتل فعليكم الاقتصاص منه وإلقاء أشد العقوبات عليه ليس لكونه أخطأ ضد شريعة المملكة فقط بل لأنه يكون قد ضاد شرعية المسيح أيضا.

فلماذا يا عقلاء الأمة اليهودية ويا علماءها لا تخاطبون الحكومة بمثل ما تقدم وترفعون عن رأس أمتكم العار وتبينوا للجيل التاسع عشر بأنكم حقاً من أبنائه وأنكم تجتهدون برفع برقع الجهل والتعصب عن أعين الكثيرين منكم. كان آباؤكم يرجمون اللاعن بالحجارة حتى يموت فقد نقضتم هذه الشريعة من بينكم لانكم وجدتموها لا تنطبق على أحوال العصر فلماذا لا تنقضون التعصبات التلمودية وتستأصلون من بينكم عادة استنزاف الدم والذبائح البشرية التى يكره كل عاقل أن يراها فيكم. فأى حكيم يسلم بإبقائها ما بينكم. فتصور جهلائكم المتعصبين بأن الدم البشرى المستنزف إتباعا لبعض قواعد سنث يأتيهم فائدة الخلاص أو يبرد فيهم لهيب البغضة والانتقام إنما هو أوهام باطلة. فما الدم الذى تهرقونه أيها الجهلة إلا دم ابن جلدتكم وأخيكم بالبشرية وكلكم بنو آدم لا فرق بين دمكم ودمه ولا بين جوهر جسدكم وجسده. الكل تراب والكل راجع. فإذا كان رجل من

أمتكم أو بعض رجال ضلوا إلى درجة أباحوا بها أو امروا بها هدر الدماء وارتكاب الفظائع التى لا يمكن قط التصور بأنكم تسلمون أو تبيحون بإجراء واستعمال مثلها بكم فإلى متى تبقون سامعين لأقوالهم وتابعين لإرشادتهم وسالكين فى ضلالهم ومعضدين لتعاليمهم الفاسدة.

لقد عرف بعضكم بل الكثيرون منكم هذه الحقائق ومذ شاهدوا انتشار العلم فى العصر الحالى ونظروا شمس المعارف متلألئة فيه والتمدن قد نشر لواءه بادروا لرفع عبارأت التلمود وغيره من الكتب التى تبيح أخذالدم فبعضهم تصرف بذلك عن خوف والبعض عن خجل والبعض عن عقل وتبصر بعواقب الأمور فما رفعتموه من الكتب وما حزفتموه منها ارفعوه من الأذهان والقلوب.

اعبدوا ربكم كما تشاؤون ولكن بعبيد ربكم لا تفتكوا ودم الأبرياء لا تسفكوا وعلى الأبرياء لا تحقدوا وقلوب الأمهات لا تحرقوا وأحشاء الأقارب لا تمزقوا واعتقدوا بأن الله لا يسر بالذبائح البشرية وعينه تكرهها وغضبه ورجزه على مقدميها فالذبيحة المقبولة عند الله طهارة الضمير.

فلماذا لا تنفون عنكم فعلاً لا قولاً وسلوكاً لا وعدا وحقيقة وهما تهمة أجلبت عليكم البغضة منذ الأعصر السالفة ولا زالت تثير عليكم الإنكار وتلقى عليكم النقمات وتجلب على شعبكم الاضطهادات. أما كفاكم ما جرى لكم بالأعصر الغابرة وما يجرى بكم فى هذا العصر والآن من حكومة الروسيا. فكم مرة نفى اليهود فى فرنسا. فإن قلتم بأن فى ذلك الزمان لم تكن قد أشرقت أنوار التمدن فقد جرى ما جرى لجهل أو لتجاهل بحقائق الأمور فلماذا هذا الاضطهاد ضدكم فى عصر المعرفة والتمدن وفيكم ألوف من المتمدنين وذوى نفوذ الكلمة. ولو شئنا نورد عليكم ما نقلته لنا صحف الأخبار عن هذه الاضطهادات وما يقاسيه أبناء جلدتكم من العذاب للزمنا شهور وأعوام. على إننا نذكركم فقط بأن تصرف بعض المتعصبين منكم وإنفاق الأكثرية بينكم على الأخذ بناصرهم كان سبباً لظلم الأبرياء فيكم.

فكم من شيخ وكم من أرملة وكم من يتيم يقاسون عذاب الطرد وكم من الذين من شعبكم ينوحون على ترك الوطن والرزق ويحملون الذل والهوان وقد حلت على مناكبهم

المصائب وسقطت على رؤوسهم المخاوف كالصواعق. فكم إهانات احتملوا وكم عذابات قاسوا وقد باتوا هدفا لأسهم المضطهدين.

من جملة ما نقلته الجرائد أن أحد الأغنياء النبهاء من اليهود كتب تقريراً طويلاً أظهر فيه ما حل باليهود من الشقاء فى المملكة الروسية مبرهناً بأن دولة الروس تحتاج إلى كف يد الأذى عن اليهود أكثر من احتياج اليهود إلى دفع الشقاء النازل بهم وقد تمكن ذلك الغنى النبيه من إيصال تقريره إلى حضرة القيصر فقرأة بالإمعان والانتباه واطلع على براهينه الدامغة وحججه القوية فكتب عليه ما يأتى ..

"هذا التقرير جدير بالاعتبار فإن فيه من البراهين القوية والعبارأت البليغة ما هو حرى بالذكر والالتفات إلا إننا لا ننسى قط سوء تصرف اليهود منذ أجيال متطاولة".

ففى البلاد الروسية لم تقم الفصاحة ولا البلاغة ولا المال ولا الهدايا الثمينة ولا الدسائس ولا الحسن والبهاء ولا شىء مما هو على وجه الأرض حصناً مانعاً ليحجب الحقيقة عن أعين القيصر. فقد أصدر الأوامر بعد الفحص والتدقيق والتروى والتنقيب والنظر فى إمكانية الإصلاح واستعمال طرق التنبيهات والارشادات والنصائح الحلمية حتى أوجب العدل أعقابها بالصرامة عندما تأكد جلالته الإصلاح بعيداً بل غير ممكن ما زال بعض الأغنياء من اليهود لا يعضدون الحق ولا يساعدون على انتشار نور الحقيقة بل فى كل حادثة يبذلون المال فى سبيل مساعدة المجرمين.

فكم من الذبائح التلمودية بلغت مسامع جلالة القيصر وكم عائلة من رعاياه أنت تحت أثقال الأحزان وأحنت الظهر تحت الكروب والأشجان من غوائل الاستنزاف التلمودى وكم مدينة وقرية من ممالكه الشاسعة أفقر أهاليها الرباء اليهودى وجعل الصوت العام أن يصرخ بطلب الانتقام إذ لم يجدوا سبيلا للتخلص من المكر والحيل والدهاء المقرون بالبغض والخبث والبخل والدناءة.

قد شاهدوا جمع الكثيرين من اليهود للمال بطريق الغش والاحتيال ولم ينظروا فيهم من يحرث الأرض أو يكتسب المعيشة بعرق الجبين. تحققوا أن هذا المال المستحصل على طرق شتى وضروب مختلف لا يرتضى اليراع بتفصيلها تأدبا يستعمل غالبا للإخداع ولإخفاء

الحقائق وابتلاع حقوق الأبرياء الضعفاء. فلم يعد العدل أن يحتمل إهانات كثرت وتعددت فاتقد غضب جلالة القيصر على اليهود إذ كانت يد الله على قلب الملك.

فباطلاً سعى أصحاب الملايين القناطير والمقنطرة من الذهب والفضة فى المدافعة عن اليهود فما فعلوا بتوسطهم إلا أن يزيدوا نيران رجز القيصر وقوداً ولهيب غضبه ونقمته على الأمة اليهودية سعيراً.

تذكر جلالته بين مئات من الحوادث المفجعة حادثة سنة ١٨٣١ وهى استنزاف اليهود لدم ابنة أحد ملازمى جنود الحرس واستعمال دمها لغاية دينية وحكم القضاة مبرماً على القتلة بالإعدام واستبدال الحكم بالنفى إلى سيباريا.

وحادثة سنة ١٨٧٩ حيث أخذ أربعة من اليهود ابنة تدعى سارة وكان لها من العمر ست سنوات واستنزفوا دمها بطريقة تختلج منها عروق الإنسانية غيظاً وتسيل لأجلها الدموع دماً فقد وجدت جثة هذه الابنة والقلب والرئتان مع العروق خالية من الدم وبين أصابع اليد كان اللحم متقطعاً وفى الرجلين فوق ربلتى الساق (البطات) العروق موخوسة بآلات ناخسة. فهاج الشعب الروسى هيجاناً عظيماً وصرخ طالباً إلى الحكومة وضع حد لهذه الحوادث التى لا أمل بانقراض جذرها إلا بالقلع وببسيط القول بطرد اليهود ونفيهم تخلصاً من شرورهم أجمعين. والله أبصر بحالهم وأحوالهم وهو للأبرياء منهم عاضد ومعين.

فيا بنى إسرائيل هل راق لكم الكاس زمنا كما راق فى حكم السلاطين آل عثمان وهل حرية فى الأديان أعظم من الحرية الممنوحة لجميع المذاهب من قبل مولانا وسلطاننا عبد الحميد خان. كل طائفة ترتع بالأمن بظل عرشه الأسنى وتنادى فى معابدها باسمه الكريم. وأنتم مع عدم ذكركم لاسم هذا السلطان العظيم وعدم الدعاء بحفظ وجوده فإنكم كغيركم من الأمم تتمتعون بضياء شمس عدالته. فكان عليكم أن تقابلو هذه النعمة بأن تكفوا عن رعاياه شروركم باستنزاف دمائهم. إلا تخافون بأن تنقطع يوما حبال الصبر فتلقون فى الممالك العثمانية ما لقيتموه فى البلاد الروسية وتؤخذ أبرياؤكم بجريمة مذنبيكم.

ما من معترض لكم على عبادتكم بحسب شريعتكم وسنتكم على أن الكل يكره هدر الدم البشرى وما من خليقة متمدنة تسلم لا سراً ولا علناً بكون الذبائح البشرية مقبولة لديه

تعالى وأن ما كان أصغرها سنا وأثبتها عفافاً فأكثر قبولاً حتى تترصد الأطفال الأذكياء لأخذ دمائهم.

ففى كل مكان تأكد قاطنوه بقاء جراثيم هذا الفساد بين الأمة الإسرائيلية لابد أن يصرخوا إلى الحكومة طالبين إما الإصلاح الحقيقى وأما إبعادكم.

وكيف يتصور المتعصبون بينكم بأن الذين استناروا بنور المعرفة يحفظون السكوت أمام هذه الأعمال البربرية أو هل يتوقع أن تدفن فى أعماق النسيان..

أباؤكم صلبوا المسيح من ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين سنة وقال الإسلام بصلب اليهود لمن شبه بعيسى ابن مريم عليه السلام وعند كل الناس لا زالت حادثة هذا الصلب تتكرر الدهر كله فى العقول والأفكار فكم تبعها من الحوادث التى علقت فى الأذهان وسطرت فى بطون الأوراق وحفظتها التواريخ وتناقلتها الألسن حتى دعاكم بعض المؤرخين علق لدماء الآخرين وأموالهم وحياتهم وأنفسهم وما أنتم بمقتنعين.

كم مرة رشقكم المطلعون على الحقائق بسهام اللوم وكم مرة أثبت عليكم بذل الدرهم فى سبيل إخفاء الحقائق. ها كوهينكم بدمشق يجد ويكد الآن لتحصيل شهادات نفى وإنكار ضد ما ذكره صراخ البرىء بحادثة هنرى عبد النور ويبذل الدرهم بشراء هذه الشهادات ولا يعلم بإنه يشترى العار والخزى على رأسه ورأس من يبيع ذمته بالمال وأن ما عمله هذا إلا كمن يريد تنشيف البحر بالصدفة وأن حقيقة استنزاف الدم لبحر لا ينشف. وكل عصر يأتينا بحوادث جديدة لا سبيل لمحو آثارها.

فاعلموا وتيقنوا بأن الزمان قد انقلب والأفكار تغيرت والعقول قد تبردخت والأحكام والقوانين تعدلت والشرائع بالحق سادت وما كل مرة تسلم الجرة..

اعتبروا يا بنى إسرائيل ما تهددكم به الله بلسان أرميا النبى واجعلهم تحت الضغط والضر فى جميع ممالك الأرض وعارا ومثلا وأحدوثه ولعنة فى جميع المواقع التى أدحرهم إليها ص ٢٤ عدد ٩ .

ماذا يمنعكم والحالة هذه عن عقد مجمع عمومى تصلحون به سراً وعلناً تلمودكم وتقاليدكم وقلوبكم وأفكاركم وماذا يمنعكم أن تطرحوا على جانب كل تعصب تلمودى وحاخامى وتمدوا لأبناء جلدتكم يد الإخاء والصفاء والولاء. وهل يعلم ويعتقد عقلاؤكم

بأن الله يرضى عن شعب إسرائيل إذا لم يرفع له ذبائح خلائقه وأنه يغفر لإسرائيل بدون واسطة الدم البشرى..

ولكن هيهات أن تعزموا على ذلك طالما تجدون بإنفاق الدرهم سهولة التخلص من غوائل اعتقاداتكم.

ومن الغرايب أن تخضع لكم صحف الأخبار التى لو ألقيت عليها أخذ المسائل وأصغرها تأخذ فى البحث عنها وتتحرى الحقائق وتدخل فى الجدال إجلاء لها وتوصلاً إلى كشف الحجاب عن الغوامض ولكن قليل منها يدخل بالبحث عن مسئلة هى من أعظم المسائل المهمة وهى استنزاف الدم تعمداً وسلب الأرواح تعصباً. فهى إلا ما قل منها تحفظ السكوت عن فظائع يرتكبها جهلاء بنى إسرائيل وما ذلك إلا مراعاة لخواطر الأغنياء فيهم.

فحادثة هنرى عبد النور انتشرت فى أقطار المسكونة فانحصر عدد الجرائد الشرقية التى ذكرتها بثمانية وهى من الجرائد العربية المقطم والمقتطف والمحروسة والراوى والمؤيد والمحاكم والفلاح ومن الجرائد الأوربية الكازت إجبسيان وقد مر الكلام على ما كتبه بعضها وسنذكر ما لم نأت بذكره حتى الآن ولكن لم يطل الزمان حتى انقطعت أصواتها فاثنتان منها فقط هما المحاكم والفلاح تجاسرتا على ذكر صراخ البرىء فى بوق الحرية وتفاصيل ما حواه ثم بشرتنا المحاكم مؤخراً بعددها ٣٠ تاريخ ٨ مارس سنة ٩١ عن اعتماد أحد الأدباء الإسرائيليين أن يرد على ما تضمنه كتابنا فكان هذا أول نور بزغ فى أفق آمالنا إذ إننا صرنا نتوقع بعد صدور ذلك الرد أن تدخل مسئلة استنزاف الدم فى ميدان المناقشة ومتى رأت الجرائد أن بنى إسرائيل قد تجردوا للبحث فيها فلا تعود تخشى الخوض فى عبابها فتنجلى الحقائق وتتبدد الغمام التى تظللها فيتم أن شاء الله الإصلاح الذى نقصده والموالاة التى نسعى وراءها بين إخواننا بالبشرية الأمة الموسوية التى منها كثيرون علماء أفضال وأنقياء ضمير وعفيفو نفس ومبغضو الشر وساعون بالخير ويسرنا أن تدرج فى كتابنا ما كتبه أحد أفاضل الإسرائيلين لجريدة لسان الحال الغراء فى بيروت حيث قال :

"إنى بلسان معشر قومى الإسرائيليين القاطنين فى البلاد العثمانية والتابعين للواء الهلال الرفيع الشأن والعزيز الأركان أرفع صوتى الضعيف إلى مجمع جرائدنا العثمانية الوطنية والصادقة فى خدمة الإنسانية والمنزهة عن التعصبات الدينية راجيا منها نشر ما يأتى.

"انه لمن الأمور التى لا يختلف فيها اثنان أن حكومة أى بلد كانت إذا لمحت أن من رعيتها الأمناء شعبا (هب أنه لا يعترف بالذات الإلهية ولا "بلا تقتل" إحدى الوصايا العشر المنزلة على قلب موسى الكليم يضحى الضحايا البشرية قياما بمعتقداته الدينية تتخذ هذه الحكومة على ظنى نحو هذا الشعب الضال كل الوسائل الفعالة لرده إلى سبيل الهدى وردعه عن أعماله الفظيعة إما بإنارة عقله بمصباح الحق الساطع وأما بالقوة الجبرية التى من شأنها أن تكفه عن هذا العمل المشمئز.

فبناء على ما تقدم ودفعاً للأوهام السائدة فى هذه الأيام وطمعاً خصوصاً بإظهار الحقيقة التى يرتاب بها بعض مواطنينا (ولا أخشى لومة لائم إن قلت السواد الأعظم منهم) أتزلف إلى حكومتنا السنية أيد الله على ذرى المجد دعائمها وأقام فى سبيل الحق معالمها زيادة التدقيق فى البحث عما يتحامل به على الملة الموسوية فى كل عام من الترهات والأضاليل التى لا تنطبق على صحيح الأفهام.

" نعم لا ننكر على حكومتنا السنية حفظها الله أنها دققت فى غويص هذه المسألة فيما مضى وأظهرت أبان الحوادث ما كان وحده كافياً لإنارة الأبصار ودحض ما يلحق بالثأر والعار ولكننى أرجو بلسان حال جريدتكم الغراء من باب الخدم البشرية والأخذ بناصر الحقيقة المخفية علاوة عما أظهره أولياء أمورنا الكرام سابقاً تعيين لجنة من قوم أفاضل لا يشغلهم عن اتباع الحقيقة شاغل للبحث وإمعان النظر فى كتب هذه الملة المنكودة الحظ وفى تلمودهم أى كتاب شرح شرائعهم الذى هو أشهر من نار على علم لدى من تعمق فى الديانة العبرانية علها تلمح رمزاً فى هذه الكتب إلى ما يثبت أو ينفى هذه التهمة التى ما أنزل الله مثلها على قلب بشر. حتى إذا كان ذلك كذلك تتحرى الحكومة السنية الساهرة على راحة الرعية نسخ وإبطال هذه العقيدة رضى الإسرائيليون أم غضبوا ليكونوا على هدى فى القرن التاسع عشر وهواية التمدن ونموذج التقدم. وإذا لم تر اللجنة فى كتبهم إلا كل ما يدعو النفس إلى الوقاية من الأرجاس والمحافظة على النواميس الأدبية تظهر الحقيقة لدى ذى عينين وتكفى رعية الدولة العلية الأمناء مؤونة الذل والعذاب برفع الشك والارتياب.

وعسى أن تتمكن اللجنة من إقناع زملائها وأنصارها بأن الملة الموسوية وهى أول ملة ظهرت للعالم بحلل عقيدة الوحدة الربانية فأرشدت كثيرين إلى الاعتراف بوجود العزة الصمدانية التى تنهى عن سفك الدم البشرى تجل مقاما عن هذه المحظورات وتستنكف من

هذه المعتقدات. والله يضل من يشاء ويرشد من يشاء إنه الرب الكريم. أقبلوا مع تشكرأتى السابقة عبارة احتراماتى الفائقة."

الإمضاء

سليم زاكى كوهين

بأقوال فرد يمكن أن تفسد قلوب الكثيرين وبأقوال فرد أيضا يمكن حصول الإصلاح . فيا حبذا نهض الكثيرون من بنى إسرائيل وطلبوا ما يطلبه الأديب سليم أفندى زاكى كوهين فإننا بما كتبناه وأطلع وسيطلع عليه حضرته وغيره لم ندع ريباً فى حقيقة وجود الذبائح التلمودية عند بعض الأمة اليهودية وقد استعملنا ما بإمكاننا من الوسائط فى طلب الإصلاح فصار على هذا الأديب السليم الذكى أن يجد معنا وراء هذا الإصلاح فيحذو غيره حذوه ولا لزوم لضياع الوقت فى دحض حقائق قد أشتهرت وكالبرق فى جنح الظلام قد لمعت.

وإنا مؤكدون بأن بين الأمة اليهودية يوجد كثيرون أفكارهم كأفكار صاحب الرسالة المار ذكرها وأفكار الخواجة موسى بن ماير هرارى الذى بين للحاخام عزرا أن ذر الدم فى الختانة من الخرافات والأوهام وعليه فلابد من أن عصرنا يأتى بما لم تأت به الأعصر الغابرة.

ولنرجع لما كنا بصدده بما يتعلق بأصحاب الجرائد فنقول بأنه لو فحصنا باطن كل منهم لوجدناهم إلا ما قل منهم ممن ختم الله على قلبه يقرون بما توقع حتى يومنا هذا من الذبائح التلمودية ولكنهم يتحاشون إشهارها.

فلكل منهم أسباب تمنعه وأما نتيجة هذه الأسباب على اختلاف مواردها وتباينها بين بعضها فهى واحدة أى حفظ السكوت عن الذبائح التلمودية. وعند بعضهم كيف يتوقع لليراع أن يتجرد للطعن فى المعدن الأصفر دون أن يتحطم.

ولولا توقف الجرائد عن ذكر مثل هذه الحوادث لما مكثت جملة منها تحت طى الخفاء كحادثة خطف أحد اليهود إلى ابن ميخائيل خليل فى ميت غمر من مدن القطر المصرى فى سنة ١٨٨٥ مسيحية وهاك ما اتصل إلينا عن هذه الحادثة.

يوم الإثنين فى أول شهر برمهات حساب قبطى من تلك السنة فقد الولد جرجس بن ميخائيل خليل من طائفة الأقباط عمره ست سنوات وكان ذلك بعد خروجه من المدرسة وقت فرصة الظهر. فلما أشعر والده بفقده أخذ أن يسأل عنه فمرت الساعات وكل ساعة كانت على هذا الأب المسكين كأعوام وقد ضاقت به الحيل وطاف شوارع البلدة كلها فما

من فائدة. فأعلم البوليس بأمره فأخذوا يطوفون فى كل ناحية فلم يقفوا للولد على خبر فتيقن الجميع بأنه أخذ لخارج المدينة وكان الأمر قبل عيد فصح اليهود بأيام قليلة ..

فرفع ميخائيل خليل المذكور عريضة لسمو الخديوى ولنظارة الداخلية. فبالحال صدرت الأوامر لكافة المديريات والمحافظات وقد حدث فى تلك الأيام أنه وجدت فى الإسكندرية أيضا جثة ولد آخر بدون رأس فظنوا أنها جثة جرجس المحكى عنه. ولدى طلب أبيه ومشاهدته الجثة وجدها أنها غير جثة ابنه لأنها كانت أكبر ولبعض علامات خصوصية.

ومن ثم أخذ هذا الأب يطوف جائلاً من قرية إلى أخرى يسأل عن فقيده وكان الفقيد وحيداً ويصف صفاته وعلاماته وعمره إلى أن بلغ بلدا تسمى بشلاوش تابعة لمركز ميت غمر وهناك علم بأن ولده كان يصحبه رجل على رأسه لبدة بيضاء ومعتم بكوفية من حرير وعليه قفطان أبيض وهو أبيص اللون وأن هذا الرجل يهودى وقد شاهدته إحدى الفتيات بعيداً عن تلك المحلة وسمعت الولد يبكى وينادى أمه واباه فسألت الرجل عن سبب بكا الولد فأجابها بأنه يطلب أمه وهو أخذه إليها. فصاح الولد والدموع تتساقط من عينيه وقال للفتاة.

"أنا بعرضك يا ستى ودينى عند أبى فى ميت غمر .. فسألته من أبوك فقال لها أبى اسمه الحاج ميخائيل خليل صائغ وهو فى ميت غمر.. فلما سمع اليهودى الولد يقول هذا رفعه حالا على كتفيه وقال له أنا معيدك إلى أهلك ومشى. فلم تعد الفتاة تعلم عنهما شيئاً. هذا ما قصته الصبية على الوالد الحزين.

وكان قد مضى من ذلك الوقت أيام فأسرع الرجل ذاهباً إلى الزقازيق والسنبلاوين والمنصورة وطنطا وبنها ومحلة سمنود وعموم البنادر والقرى المصرية فلم يقف لابنه على خبر ومنذ تلك السنة يندب هذا الأب المنكود الحظ فقيده ذلك الولد الذى يؤكد أن اليهود استنزفوه فجرى به ما جرى بغيره. فالله ينتقم من الذين خطفوا ولداً وحيداً وجعلوا أيام والديه علقماً وسنيهما أحزاناً.

فرجاؤنا أن الجرائد بعد أن يطلع أصحابها على جميع ما ذكرناه وسنذكره لا يتوقفون عن ذكر كلما يمكن حدثوه من هذا القبيل فإن التوقف عنه يعتبر تقصيرا فى الحقوق

العمومية التى على ذمة الجرائد المحافظة عليها على إننا عندما نتأمل بما حصل للذين تجاسروا على كشف حقيقة الذبائح التلمودية والذين قاوموا بكتاباتهم أمة إسرائيل الغنية والسائدة الآن بفنائها وبما قاساه هؤلاء الكتاب من العذاب ومن الاضطهادات وأن بعضهم ذاق كأس الموت بين أمر العذابات نظير راعاب (**Raabe**) وبريمان (**Briman**) وروهلن (**Rohling**) وبينير (**Pinner**) وبرفمان (**Brafmann**) لا نتمالك من أن نقف متحيرين ونعذر الذين من أصحاب الجرائد لم يقدموا على الخوض فى هذه المسائل. على إننا لا نجد الذين تعرضوا للمدافعة عن سافكى الدم قد سلكوا خطة حميدة فى أعين المدنية فكان الأولى بهذه الحالة أن يحفظوا السكوت والله أبصر بما كان منهم وما سيكون.

أما الحكام الذين يتوقفون عن البحث والتدقيق لإظهار حقيقة ما يرتكبه بعض اليهود الجهلة من استنزاف الدم إما لخوف وإما لمراعاة خاطر ويوهمون الناس بأنه قط لا يدخل بأفكارهم أن أمرا فظيعاً كالذى نحن بصدده يحدث أو يؤكدون بإنه على مدة توليهم الأحكام لم يحصل بمثل هذه الحوادث (حالة كونها قد حصلت وهم أغمضوا الطرف عنها) فمثلهم مثل الجندى الذى يتجند يوم الراحة حباً بقبض المعاش وعندما يقال حرب يفر من وجه الحرب أو يخون المعسكر الذى هو فيه. فالشجاع عليه بإتمام الواجبات التى يطلبها مركزه ولا يلزم أن يحابى بالوجوه فالذى يأخذ الأجرة يطالب بالعمل ومن يؤتمن على الأرواح عليه السهر والتيقظ واعتبار نفسه خادماً لعبيد الله وأن من الواجب عليه فداء كل نفيس فى سبيل الحق والعدل.

من الأمور التى تبرهن على قوة المال اليهودى ما شاع بهذه الأثناء فى القاهرة بأن بعض اليهود فيها قصد وأمسك أحد الشبان ليكون معداً لفصحهم القريب. وبعد أن أقص الشاب نفسه على الكثيرين والكثيرأت ما توقع معه وتناقلت الألسن عن لسانه هذا الخبر عاد إلى إنكاره.

فنحن توقفنا عن نشر تفاصيل الحادثة لبعد التوصل إلى حقائقها. وشاع أيضا خبر آخر لم يمض بضع أيام حتى تحققناه وهو أن بعض الأفاضل الأدباء اعتنى بطبع كراسة عنوانها.

(إظهار سر الدم المكتوم)

وبعد أن وضع منها فى إحدى مكاتب العاصمة برسم المبيع خمسين نسخة إسترجعت إلا خمسة منها ثلاثة كان ابتاعها بعض اليهود والرابعة لم يعرف من اخذها والخامسة وقعت فى يدنا وقد بلغنا عن ثقة بأن العدد المطلوب ألفا نسخة. وروى البعض أن هذا العدد وقع كله بيد أحد أغنياء اليهود فأتلفه وقال البعض لا بل هو محفوظ للآن وكيفما كانت الحال فلابد لما تقدم جميعه من ظروف وأسباب لا تحب البحث عنها ولا الحكم بها. وقد طالعنا النسخة الموجودة بيدنا فوجدناها إلا فى بعض أشياء غير جوهرية مطابقة للنسخ التى وردت إلينا من جهات مختلفة بعضها خط يد وبعضها طبع حجر وهى تعلن أسرار استنزاف الدم عند الأمة اليهودية (وعلى حسب مبادئنا التى لا نحيد عنها عند البعض من هذه الأمة) ولما كان القصد إشهار هذه الحقائق وإثبات وجود سعى ووسائط مستمرة لإبقائها تحت ستر الخفاء فإننا نحيى ما قصد دفنه ونأتي بذكر (إظهار سر الدم المكتوم) وما لم يذكر به سنذكره إتباعاً. ونود أن يكون خبر حفظ العدد المطبوع منه أصح من خبر إتلافه فلا ممانع من تبنيه لصراخ البرىء وفى كل الأحوال غير ما يشاء الله لا يكون.

إظهار سر الدم المكتوم

وهو كتاب قديم الأيام نسجت عليه عناكب الخفا

فى إحدى مكاتب تونس الخضراء

مؤلفه

الحاخام ناوفيطوس التارك المذهب العبرانى والداخل

فى الدين المسيحى

ومترجمه توماس بنجادى البغدادى

سر الدم

أو

طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود

كان هذا الكتاب موجوداً فى أدراج إحدى المكاتب الكبرى القديمة بمدينة تونس الخضراء مطوياً فى مطاوى الستر والخفاء فلما وقعت حادثة الشام فى هذه الأيام وكثر تحدث الخاص والعام فى مسألة استنزاف الدم الجارية طريقته عند اليهود وتسآل الناس عن هذه الطريقة وأسرارها وأسبابها فبعث ذلك أحد أصحاب الغيرة على الحقائق وأنصار الإنسانية فسعى فى الحصول على هذا الكتاب وأمكنه ذلك ولكن بعد إفراغ الجهد وبذل النفيس فى هذا السبيل وأقبل على نشره غير زائد عليه حرفاً ولا معقب عليه بشرح ولا تفصيل ولا مبد بجانبه رأياً.

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية وخطراً كونه مؤلفاً من حاخام يهودى ترك الديانة اليهودية ودخل فى الدين المسيحى وأفشى سر الدم ولذلك لا يقال إن هذا الكتاب أوهام باطلة تصورها أعداء اليهود أو افتراءات بحتة واختلاقات زورية ادعاها عليهم محبو الانتقام منهم وحاسدوهم ولا نرى لأحد من اليهود الحق فى الغيظ والكدر من نشر هذا الكتاب بل نرى أن الحق فى أن يدحضوه فقط إذا كان لديهم براهين قاطعة وحجج دامغة على بطلان ما فيه.

ومن الجلى الذى لا يحتاج إلى تأييد كون النسبة لا تلحق عارا بأحد بل االذى يلحق العار هو ثبوتها والذى ينفيه هو زوالها.

وهذا الكتاب مكتوب من الحاخام الكبير والمعلم الشهير قدوة علماء الأمة اليهودية وأول مفسر العقائد التلمودية الحاخام ناوفيطس الرافض معتقد اليهود والمعتنق إيمان المسيح ابن مريم وهو فى السنة الثامنة والثلاثين من عمره والمتشح بالإسكيم الرهبانى منقطعاً إلى الله فى مناسك القنوت والتعبد وذلك باللغة الملدافية والعبرانية منذ مئات من السنين وقد عنى بترجمة هذا الكتاب إلى جميع اللغات ومع ذلك فلا يمكن الوقوف على نسخة منه إلا بالصعوبة الزائدة وسر ذلك لا يخفى على أحد والتزم العبد الفقير إلى عفو مولاه توماس

بنجادى من أهالى مدينة بغداد نقله إلى اللغة العربية ولا يعلم فى أى تاريخ كان ذلك حيث إن آخر ورقة من الكتاب قد أبلتها السنين. أما اسم الكتاب فقد قال ناقله أنه سمى فى بعض لغات انهدام الديانة العبرانية وسمى فى غيرها طريقة استنزاف الدم. أما هو فاختار له اسم (سر الدم).

وهذا نص الكتاب بالحرف الواحد

الرأس الاول

فى السر المكتوم عند اليهود

أريد بهذا السر المكتوم سر الدم الذى يستنزفه اليهود من عروق المسيحيين بالطريقة وللأسباب المنصوص عليها فى كتبهم الدينية والتى ستجىء.

وقد سبقنى إلى رفض ديانة اليهود كثيرون من الحاخامات الكبار والعلماء المشهورين من اليهود وأكثرهم ألفوا كتباً مختلفة عن عقائد الأمة اليهودية ومبادئها وعوائدها وقرروا كلهم حقيقة مجىء المسيح المنتظر وصلبه كما هو معلوم وغير ذلك من الحقائق التاريخية والمسيحية ومع كل هذا فلم أر أحدا منهم كتب شيئاً فى إظهار سر الدم المكتوم عند اليهود المحفوظ فى خفايا صدورهم والمحرم على أقلامهم وألسنتهم النطق به. وإن اضطر أحد منهم إلى ذكره فى مؤلف فيكون ذلك تحت إشارأت رمزية وعبارأت اصطلاحية لا يمكن أن يفهمها أحد سواهم حيث إنها بعيدة المرمى خفية المقصد. مثلاً يقولون ديكاً ويقصدون طفلاً إلى غير ذلك مما لا يخطر المقصود منه على بال أحد واكتفى الحاخامات الذين رفضوا المعتقد التلمودى أن يقولوا إن اليهود يستنزفون دماء المسيحيين ولكن لم يقل أحد منهم لماذا وكيف ولا أزال حائراً فى أمر إهمالهم هذا الإيضاح ولم أستطع تأويله إلا إلى كونهم خافوا أن ينالهم أذى اليهود إذا أفشوا هذا السر أو أنهم أرادوا إخفاءه حتى لا يشتهر بين المسيحيين فيقومون على اليهود الذين بينهم ذوو قرباهم والمتصلة معهم صلة رحمهم إذ لا يخفى أن الذى كان يهتدى مثلى كان يترك أباه وأمه وأخاه وسائر أقرباه باقين على معتقدهم أو أنهم خافوا من أن المسيحيين إذا عرفوا السر يمتنعون بعد ذلك عن قبول من يريد اعتناق الديانة المسيحية من اليهود.

أما أنا الذى تركت معتقد اليهود بعد إذ كنت معلما كبارهم ومربيا صغارهم وحاخاما لطقوسهم الدينية ودخلت ظلال السكنية تحت راية القانون الرهبانى بعد قبولى بالميلاد الثانى فى سر العماد المقدس الذى نقانى وطهرنى فأرانى مصيباً لعدم مراعاة ما راعاه سابقى إلى رفض المعتقد اليهودى ولذلك فقد عزمت على إشهار سر الدم الذى طويت عليه أعشار صدرى إلى الحين الذى صبغت فيه بصبغه العماد المقدس ومارست طقوسه بذاتى أكثر من مرة ولا أظن أحد عالماً بكل خفاياه وأسبابه حق العلم مثلى. ولا أقصد خدمة الدين المسيحى فى إشهاره بل أريد تنبيه المسيحيين حتى لا يقعوا فى الفخاخ التى ينصبها لهم اليهود ليلقوهم فى الحجب التى لا تخترقها الأبصار وهناك حيث لا يسمع لهم صوت أنين ولا تستجاب لهم استغاثة يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها إنسان ولا حيوان إلا من تكون المبادئ التلمودية جرت فى عروقه وها أنا الآن بعد إطراحى ونبذى هذه المبادئ تنبض فريصتى وتأخذنى القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد فى وهمى مع أنى حين كانت مبادئ التلمود راسخة فى فكرى ومقبولة لدى حكمى كنت أمارس بيدى هذه الراجفة الآن والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم.

أى نعم إن هذه اليد التى كانت تحمل المدية وتدنس بسفك الدم الزكى لا تتطهر إلا بأخذالقلم وإظهار هذا السر.

وبهذه الاعتبارأت أفشى هذا السر متمنياً أن يقع ما أكتبه تحت كل نظر وينزل فى كل سمع ويدركه كل فكر وملتزماً سبيل السذاجة والصدق مؤيداً قولى بإثباتات ظاهرة وبراهين واضحة فأقول.

ليعلن أن هذا السر لا يعلمه إلا الرؤساء والحاخامات والكتبة والفريسيون المعروفون باسم خاسيدوم وهؤلاء يكتمونه فى أخفى طيات صدورهم عن سواهم من اليهود ومن كل بنى الإنسانية وهم ذواتهم لا يستلمه أحد منهم إلا بعد الإيمان المغلظة بحفظه مكتوماً كل الكتمان حتى ولو كان فوق رؤوسهم السيف وتحت أقدامهم النطع.

وأما الأسباب التى من أجلها يستنزف اليهود دم المسيحيين فهى ثلاثة:

الأول: البغض الشديد الذى يربو فى صدور اليهود ضد المسيحيين قبل أن ترفع عنهم لفائفهم وهم يدرجون ويلعبون فى أزقة حاراتهم المنقطعة على حدة فى الغالب.

ولذلك فهم يعتبرون دم أحد المسيحيين مسفوكاً فى أيديهم ضحية لله وقرباناً كما سبق المسيح وأعلن ذلك لتلاميذه وحيث قال أنه ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب قرباناً لله (يوحنا ص ١٨ عدد ٢).

السبب الثاني: هو اعتقادات اليهود المبنية على الوهم والباطل التى تصور لهم أن الدم المسيحى ذو فعل فى بعض أعمال سحرية يعلمها رؤسائهم وحاخاماتهم متخذين هذا الدم فيها بمقام التعاويذ والرقى وغير ذلك من الجهالات التى لم يبدد ظلماتها الى الآن نور التمدن العصرى بل قدر هؤلاء الحاخامات أن يبقوها فى قوتها القديمة توصلا إلى حفظ العصبية القومية بين اليهود المبنية على مبادئ حب الذات والأنفراد بجمع المقتنيات كما يشاهد فى أسرار هيئة اجتماعهم.

السبب الثالث: هو اعتقاد الرؤساء والحاخامات الدخلى بأن المسيح ابن مريم الذى صلبه اليهود هو ماسيا الحقيقى المنتظر وإنما لا يوافق وجود هيئة اجتماعهم الإقرار بهذه الحقيقة ولذلك فهم يجمعون رأياً على وجوب إحراز الدم المسيحى لاستعمال فى بعض الطقوس الدينية على أفراد الأمة والنجاة من الهلاك وبذلك بواسطة تطهرهم به ثم إن للحاخامات مبدأ آخر وهو أن مقتنيات المسيحيين حلال لهم كدمهم وذلك لاعتقادهم أنه سيصحبهم يوم يكونون فيه أرباب هذه الأموال.

وهنا يمكننى أن أقول مجاهراً بأن اليهود قد عرفوا الطريق المؤدى إلى هذه الغاية التى هى أمام أعين كل أحد منهم ولا أرى الحجة لتأييد هذا القول بعيدة. فإن من تأمل فى أسرار هيئة اجتماعهم ورمى بطرف الإمعان فى طرائق أعمالهم فى عالم المالية عرف أنهم اهتدوا سبيلهم لحصر القوة فى أيديهم وأيقن أن عجل هرون الذهبى لا يزال عندهم معبوداً عبادة مادية تهيئ لديها كل عبادة ولا أظن الشفاه التى تلفظ كلمة جاهوفا لها صلة بالقلوب التى وقف هواها عند حب الأصفر الذى عقدت عليه الآمال لبلوغ غايتها الأصلية.

وإنى أذكر من الكلام الذى يقولونه فى طقوسهم عبارة مملوءة رموزا وإشارات لا تسهل على أسمى المدارك وهم يذكرونها فى طقوسهم المقصود منها إحياء بعض المسيحيين وإن لم يمت وإيقاد نار الحقد عليهم وإن لم تنطفئ وهى الآية المذكورة فى سفر الخروج ص ١٤ عدد ٧ ونصها : فعد فرعون مركباته وجميع فرسانه وشعبه كافة وأخذ معه ستمائة

مركبه منتخبة وسائر أهل مصر وخيولهم وعليها رجال مجتبون كل واحد منهم بثلاث حراب لكى يجرى فى أثر الشعب العبرانى.

فعند هذه العبارة يسأل الحاخام سلمون قائلاً : ترى من أين كان يوجد عند المصريين خيول يركبها الفرسان ليسيروا خلف الإسرائيليين مع أن البرد كان قبلا أمات كل بهائمهم كما فى سفر الخروج ص ٩ عدد ١٩. ثم يجيب ذاته قائلاً أنه كتب أيضا أنه من المصريين من كان آمن أن البرد عتيد أن ينحدر على الأرض ولذلك أخفى بعضهم أعز بهائمهم داخل بيوتهم فلم تمت من البرد وعلى هذه الخيول جروا على أثر الإسرائيلين ثم يقول للسامعين.

إننا نفهم من هذه العبارة أنه لابد من استخراج النخاع من رأس الحية الأكثر وداعة ونفهم أن المسيحيين يخفون أعز أولادهم فى منازلهم كما أخفى المصريون أنجب خيولهم فى بيوتهم فعلينا إذا أن نسعى فى طلب أجود الأولاد وأزكى الدم وكل يهودى منا عليه واجب قتل مسيحى بالطريقة التى يقدر عليها أما الذى يقدر منا على قتل المسيحى بطريقة استصفاء دمه فذلك له الأجر الاوفر وأما الطريقة الآخرى فهى إقلاق راحة المسيحيين واستصفاء أموالهم ورمى الشقاق بينهم توصلا إلى تقصير أيامهم وهذه الطرائق درجات وأجودها تختلف بحسب درجاتها.

وماذا عساى أن أقول فى وصفى بغض اليهود للمسيحيين أولاً ولسائر الأمم ثانيا أن ذلك يفهم من ملاحظة سيرهم فى أعمال الإجتماعية أكثر من كل وصف من كل تقرير وشرح.

ولهم فى تفسير أقوال الأنبياء الواردة فى التوراة فنون لا أعجب إلا من كونها يمكن اتفاقها مع العقل البشرى فإنهم يحرفون الأقوال ويفسرونها بضد مفاهيمها ويصرفونها على غير مواضعيها.

من ذلك تفسيرهم للوصية المفروضة من موسى فى سفر الخروج ص ٢٢ عدد ٣١ وهى ، كونوا أناسا متقدمين، وحيواناً مفترساً فى الصحراء لا تأكلوه بل اطرحوه للكلاب. فيزعمون فى تفسيرها أن موسى أراد ليس فقط طرح هذا اللحم للكلاب بل للنصارى حيث إن الكلاب أفضل من المسيحيين لأنه مكتوب ولجميع بنى إسرائيل لا ينبح كلب بفيه من

ناسهم إلى بهائمهم لكى تعلموا ما يميز به الله بنى إسرائيل عن المصريين سفر الخروج ص ١١ عدد ٧ .

ولا أدرى كيف أصم اليهود أسماعهم عما جاء فى سفر الأمثال ص ٥ عدد ٨ ، من أن قرابين المنافقين هى رذالة لدى الله فهل يا ترى تكون ضحيتهم للدم الزكى فى غير سبيل المنافقة. ولا أظن أن شريعة أو قانوناً أو عادة تعتبر فعل سفك الدم فضيلة إلا إذا كان بين عوائد وأخلاق البرابرة والمتوحشين ما لا نعرفه ولكن قوما أضاء لهم نور التوراة لا يزالون على هذا السبيل لانرى أمكن منهم فى الغباوة والجهالة فما أليق حالتهم بالرثاء ووجودهم بالندب والبكاء وأن ظنوا بأنفسهم أنهم سعداء فقد جاء فى مزأمير النبى والملك داود أن الجاهل يظن فى نفسه أنه حكيم.

ومن شاء أن يقف على شدة كراهة اليهود للمسيحيين وعلى ما يكتمون لهم بنوع خاص وللأمم السائرة عموماً فعليه بمطالعة الرأس الثالث والثلاثين من تأليف بولس الطبيب ففيه الكفاية فى هذا الشأن.

أما الدم الزكى المستنزف من عروق المسيحيين فيستعمله اليهود فى كثير من طقوسهم الدينية منها الزيجة وذلك بأن يصوم العروسان من المساء إلى المساء عن كل شيء وبعد عقد الزيجة يناولهما الحاخام بيضة مسلوقة فيأكلأنها بعد أن يغمسانها برماد الكتان المشرب قبلا من الدم المسيحى.

أما هذا الرماد فهو محفوظ عند الحاخامات وهو الذى يحفظون فيه الدم المسيحى لأنه بعد استنزاف هذا الدم تبل به قطعة من الكتان حتى تتشربه وتحرق بعد ذلك ويحفظ رمادها فى حقاق ترسل من بلاد إلى بلاد حيث لا يمكن لليهود فى كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم. فيستعين بعضهم ببعض على اقتنائه الشديد اللزوم فى الطقوس الدينية.

وعندما يأكل العروسان البيضة ملوثة بالدم المسيحى يتلو عليهما الحاخام بعض آيات مآلها أن العروسين يكتسبان بمجرد هذه البيضة الملثوثة بالدم القوة على إيقاع المسيحيين فى فخاخ الغش ومصائد الخداع ويتمكنان بواسطة مزج هذا الدم بدمهم من الظهور بمظهر الإخاء مكراً وخديعة فى سبيل اجتناء ثمار الأغراس المغروسة بقوة إيمانهم والمسقاة بعرق جبهاتهم.

هذا المظهر الإخائى الذى يتردى اليهود به أمام النصارى هو السلاح الذى يتخذونه لبلوغ وطرهم من استنزاف الدم ولا اعتماد لهم على القوة حيث أنها لا أثر لها فى أعصابهم وعروقهم وعددهم القليل وحيث أن مسألة استنزافهم الدم المسيحى صار منهج كل الألسنة لظهورها فى الأماكن من خبايا الخفاء ووضوحها على علم الجهلاء. فهم يسلكون سبلاً فى التستر والخفى والمكر لا يقدر على سلوكها إلا من كانت فيهم فطرتهم التى أكسبهم إياها ذلهم الملازم لهم على عنق الدهر وقد جر بغض اليهود للمسيحيين إلى اعتبار كل مقدس لديهم نجساً رجساً ولذلك أصطلحوا على تسمية الكنيسة طوما ومعناها دنسة أو محل الدنس ولها اسم آخر عند الحاخامات وهو ميرخاخ أى مرحاض. ويطلقون على المسيحيين (غوى) اسما لا يفسر لفظه بغير عباد أصنام أو منافقين ويطلقون على الطفل المسيحى اسم (شان جيش) ومعناه الدودة الجامدة وعلى الطفلة المسيحية اسم (سيكلا) ومعناه العلقة. وأما اسم الأكليروس فهو (جالبيس) ومعناه مقدمون ضحايا للأصنام.

ثم أنه عندما يحتفل المسيحيون بتذكار عيد ميلاد المسيح فى ٢٥ كانون أول فاليهود فى الليلتين السابقتين للعيد والتالية له لا يلمسون كتبهم الدينية ويصرفون هاتين الليلتين فى الألعاب والمذاكرة فى سب المسيحيين وشتمهم والتذمر على المسيح وعلى مريم أنه وفى البحث عن الطرق الموصلة إلى غاياتهم من استنزاف دماء أطفالهم وأكل أتعابهم هاجرين فى هذا الشأن لذة الوسن مجدفين على البابا والأكليروس والقديسين المعتبرين عند المسيحيين فى مقام الرعاية والاحترام ويطلقون على هاتين الليلتين اسم ليلتى العمى ولا يمكن للقلم أن يأتى على ذكر التجاديف وكلمات النفاق التى تخرج من أفواههم فى تينك الليلتين لما فيها من الرذالة والخباثة بحيث تؤثر الآذان الصمم على سماعها والهواء يؤثر السكوت على حملها وتدنيس مهاب الآفاق بنتانتها.

واليهون يشربون بغض المسيحيين والشوق إلى شرب دمائهم مع لبن امهاتهم ونراهم عندما يبتدئ أولادهم بأفهام حروف الهجاء يأخذون فى تعليمهم كلمات السب والشتم الموجهة ضد المسيحيين.

وأول ما يوجبون عليهم هو أن يلفظوا عند مرورهم أمام إحدى الكنائس هذه الكلمات (ساكيس نادانسيد بيادان نادى بينيخى شرابريم إلى ايم) ومعناها فليكن محروماً

المكان المدنس الذى هو للدنسين والرجس الذى هو للرجسين النجسين. وقد ورد بهذا الشأن فى نصوص التلمود ما مؤداه.

أنه حينما يمر اليهودى بجانب إحدى كنائس النصارى عليه أن يلفظ الكلمات المار ذكرها وإذا نسى أن يلفظها ثم انتبه بعد ابتعاده نحو عشر خطوات فيجب أن يرجع ويلفظها ولكن إذا نسى أن يلفظها ثم انتبه بعد ابتعاده مسافة أكثر من عشر خطوات فلا يجب عليه الرجوع بل يكفى لفظها وهو فى المكان الذى انتبه فيه لنسيانه ومن هذا القبيل إذا مر يهودى ببنى نعش مسيحيين حاملين ميتهم إلى الكنيسة أو إلى المدفن فعليه أن يلفظ هذه الكلمات (صليوم كاش لامورخرس تزلى) ومعناه أننى اليوم نظرت ميتا منافقاً فعسانى أنظر فى الغد اثنين مثله وكل هذه الشواهد مهما قويت فلا أراها قادرة على وصف بعض اليهود للمسيحيين كما هو ولا يقف بغض اليهود عند المسيحيين بل يتصل إلى سائر الأمم وفى مذهبهم أنه إذا لم يمكن الحصول على الدم المسيحى فدم المسلم يقوم مقامه. وأما دم الوثنى فلا رغبة لهم فيه ويؤثرون الدم المسيحى وذلك لما بينهم وبين المسيحيين من صلات الاختلاف والعداوة المبنية على مبادئ الديانتين المسيحية والعبرانية.

وحيث أن الديانة الإسلامية تعتبر المسيح عيسى روح الله فلذلك لا تروق لليهود بل هى فى الدرجة الثانية فى الكراهة لديهم بعد الديانة المسيحية.

وقد حمل بغض اليهود للأمم السائرة إلى اعتبار نسبة البشرية غير لائقة إلا بهم وهم وحدهم فى زعمهم المستحقون بأن يسموا بشراً.

ولا يظن أحد انى أذكر ما أذكر عن اليهود تشفياً من أحقاد أو توصلاً إلى غايات بل إنى أصرخ من أجلهم مع النبى إرميا القائل من يعطى لرأسى ماء ولعينى ينابيع دموع فأندب شعبى نهاراً وليلاً.

ص٨ عدد ١ الشعب الذى كان مختاراً من الرب مملوءاً نعماً وقداسة متمتعاً بملك أيضا هو الآن منفى متبدد فى أربعة أقطار الأرض حسبما سبق ارميا النبى فقال عنهم "أنا أفسدتهم مثل المشاقة المحمولة على الريح إلى موضع خراب ص ١٣ عدد ٢٤ " .

ويكفى اليهود شيئاً وعاراً لو لم يكن لهم منقصة إلا هذه وهى إذا دخل المسيحى إلى بيت يهودى يستقبله كعادة البلاد التى هو فيها ولكن عند خروجه توجب عليه ديانته

أن يقول هذه الكلمات وهى فليحل على رأس هذا المسيحى الخارج من بيتى كل نوع من الأمراض وجميع المحزنات والأحلام المفزعة والرديئة العاقبة المزمعة أن تحل بى وبأهلى وهذه الكلمات وأن كانت لا تتجاوز أفواه اليهودى إلى غير غرف بيته إلا أنها مع ذلك تستوجب العار والذل والشين.

أما الفوائد التى أرجو صدورها عن إظهارى سر الدم المكتوم عند اليهود فهى أولاً حذر المسيحيين واحتراسهم على أطفالهم وعدم الوثوق بظواهر اليهود فى معاملاتهم ثانياً أن عامة اليهود تجهل حقيقة هذا السر ولا يعرفه كما هو إلا الحاخامات أو الرؤساء وأركان الديانة والأمة الكبار فإذا العامة وقفت على ما أقول عن شناعة هذا السر فلابد من حدوث انفعال وتأثر فى نفوسهم يعقبه الاعتدال فى سيرها ورذل مثل هذه المبادئ التى لا تليق بالإنسانية ولا تأتلف معها مهما كانت منحطة إلى درجات الهمجية والبربرية.

وطالما قرأتى فى كتابات بعض كتاب المسيحيين والمسلمين وغيرهم عن ذم اليهود وعدم قابليتهم التنور بأنوار التمدن إلا أنى أنكر على هؤلاء الكتاب الإصابة فإن اليهود وإن كانوا ذهبوا شهداء خداع الحاخامات فهم أصحاب مدارك سامية تندر فى رؤوس كثير من الأمم وهو فى مذهبى أقبل الأمم للمدنية ولقبول المعارف إلا أنهم يحتاجون إلى وقت أطول.

أما السبب الثالث لسفك اليهود دماء المسيحيين هو اعتقاد الحاخامات والرؤساء الداخلى أو بالحرى ارتيابهم فى حقيقة يسوع ابن مريم الذى صلبه أجدادهم وخصوصاً حين يراجعون أقوال الأنبياء ويجدونها مطابقة للحوادث التى جرت عند مجيء المسيح وحين يقرأون هذه الآية الواردة : ذهلت السماء من هذا ورهبت جداً يقول الرب لأن شعبى صنع شرين عظيمين تركونى أنا ينبوع الماء الحى وحفروا لذواتهم آبارا مشققة لا تستطيع أن تجمع لهم المياه "إرميا ص ٣ عدد ١٣ أى نعم إن هذه النبوة يفهمها جيدا الحاخامات كما عرفها. حانان وقيافا ولكن لا يوافق الإقرار بذلك وجود هيئتهم الاجتماعية إذ لو عرف هيئتهم أفراد الأمة اليهودية ذلك لانحلت على عصبيتهم القومية وباءوا بخسارة المقتنيات والموجودات التى اقتنوها ولهذا السبب عينه اختلقوا وسائط اعتبروا مطهرة لهم من دنس الرجس الذى اقترفوه وهى.

أولاً: أنهم عند ختانة الطفل فى اليوم الثامن من ولادته يأخذ الحاخام كأس خمر ممزوجة بنقطة من الدم المسيحى الزكى ويضيف إليها نقطة من دم الطفل المختون ويمزج الخمرة مزجاً قوياً ويغمس خنصره فى الكاس ويدخله فى فم الطفل اليهودى بالدم المسيحى مرتين قائلا لدى كل مرة قد قلت لك إن حياتك هى بدمك ذخريا ليطهر به معتبرين أن النبى النبى زكريا أراد بقوله دم المسيح الذى خرجت به من الينبوس أنفس الأبرار التى لم تكن معمدة بألما المقدس مثل الطفل اليهودى ثم ومن علائق الشبه أيضا كون دم المسيح سفك بين العذابات الأليمة ودم المسيحيين يستنزف بين العذابات أيضا.

ثانياً: فى اليوم التاسع من شهر تموز وهو اليوم الذى فيه يقيم اليهود مظاهر الحزن على خراب أورشليم كل يهودى ملزوم بدهن جبهته من جهة الصدغين برماد الكتان المحروق بعد تلويثه بالدم المسيحى كما تقدم لنا القول ويأكل بيضة ملثوثة بقليل من هذا الرماد وهذا الأكل يطلقون عليه اسم * ساباداما فأليس*.

ثالثاً: إن اليهود فى عيد فصحهم يصنعون الفطير بهيئات شيطانية مختلفة الصور ويصنعون رغيفاً خصوصياً ملثوثاً عجينه بقليل من رماد الكتان المحكى عنه وفى الليلة الأولى من ليالى فصحهم لابد لكل يهودى حتى ولو كان حدث السن من أكل قطعة بقدر حبه الزيتون من هذا الرغيف وهذا الخبز الفطير يطلقون عليه اسم (أو فيكو إيمان) والعدد الغالب منهم يأكلونه بعد إذ يكونوا ملأوا رؤسوهم خمورا ومشروبات روحيه يغنون عليها بالتجاديف على المسيح والأمة المسيحية وهم بين جذل وطرب.

رابعاً: حينما يدنو اليهودى من ورود حياض المنية يأتيه الحاخام وبيده بيضة فيستخرج زلالها ويمزجه إما بنقطة من الدم المسيحى أو بقليل من رماد الكتان المصبوغ بهذا الدم وينضحه على قلب الميت قائلاً ألفاظ النبى حزقيال. أنضح عليكم دما نقيا وتطهرون من جميع نجاساتكم ص ٢٦ عدد ٢٥ .

خامساً: أنه فى العيد الذى يحتفل اليهود فيه بتذكار إنقاذ آبائهم من شر هامان على يد استير ابنة أخى مردخالى وهو الموافق ١٤ شباط يسعى كل واحد فى صيد أطفال المسيحيين لاستنزاف دمائهم حيث أن هذا اليوم عندهم هو أبرك الأيام. ولذلك

وحيث أن كل مسيحى لديهم هو بمنزلة هامان العمالقى وزير أحشوروش ملك الفرس.

والحاخامات فى ليلة هذا العيد يضع كل منهم جملة أرغفة معجونة بالعسل بصورة مثلثة الزوايا مازجاً عجينها بشىء قليل من الدم المسيحى ويوزع عدداً منها على كل من اليهود المتعلق هو بخدمتهم الدينية وكل واحد منهم يوزع على اصدقائه وهذا التوزيع يطلقون عليه اسم (ماسلوا ياكمونه).

وعن هذا اليوم قد تنبأ إرميا النبى (قائلاً). وفى يدك وجد دم نفوس الأنبياء ص ٢ عدد ٣٤ وتنبأ أيضا حزقيال النبى قائلاً : لأجل هذا قل لهم هكذا يقولون تأكلون على الدم ص ٣٣ عدد ٢٥ .

وفى ليلة هذا العيد الذى يطلقون عليه اسم بوريم يكون جميع اليهود فى الجذل والفرح سكارى بخمرة عهد حقدهم على المسيحيين.

ثم والمسيحى الذى يقع بين أيديهم فى هذا العيد لا يجب أن يستنزف دمه بين العذابات حيث أنه رمز عن دم هامان بخلاف المسيحى الذى يقع بين أيديهم فى عيد الفصح فاستنزاف دمه بواسطة العذابات أمر واجب دينا حيث أنه رمز عن دم المسيح.

الرأس الثانى

أن الأحوال التى يجرى فيها اليهود استنزاف الدم المسيحى والعذابات المنقطعة المتنوعة التى يستعملونها فى سبيل ذلك ترتجف لها أعصاب الإنسانية وإلى هذا إرميا النبى قائلاً لأن النفاق وجد بهذا الشعب. أقاموا فخاخاً يفسدون رجالا وأخذوهم فى مثل فخ منصوب مملوء طيوراً وهكذا بيوتهم مملوءة غشا ص ٥ عدد ٢٦ ويلزم أن يكون الدم الذى يستنزفونه فى عيد الفصح دم بكر حيث أن المسيح الذى هو رمز عن دمه كان بكراً.

وماذا أقول فى وصف ما يلاقى اليهود من الصعوبات فى سبيل استنزاف هذا الدم لأنهم لم يمكنهم إخفاء أمره بل توجهت إليهم الظنون أو انتبهت إلى أعمالهم الأفكار ومع ذلك فلم يقلعوا عن سبيله بل هم كما كان أجدادهم من قبل شديد والحرص عليه.

ولا أقدر على إحصاء الإضطهادات التى لقيها اليهود بسبب سر الدم من حين ما قويت شوكة المسيحيين وامتلأت منهم عروش الممالك خصوصاً فى أسبانيا والروسيا ولولا وجود هذا السر لما كان ينالهم أذى فإن الاختلاف موجود بين جميع الطوائف والأمم ومع ذلك فلا نجد البغض الشديد الممتزج بالنفوس بين بعضها وبعض.

وليس المسيحيون يبغضون اليهود فقط بل أن السملمين يكرهونهم أيضا شر الكره وذلك لأن اليهود إذا عز عليهم الحصول على الدم المسيحى وأمكنهم الحصول على مسلم يستنزفون دمه لا يقصرون لأنهم يعتقدون أن عدداً كثيراً من المسيحيين دخلوا فى الديانة الإسلامية عند ظهورها ولذلك فالدم المسلم ممزوج بالدم المسيحى فى معتقدهم هذا عدا ما يلذ لهم من دم المسلم القائل كالمسيحى بظهور المسيح بن مريم روح الله.

وقد تقدم القول بأن الحاخامات يصطنعون فى عيد تذكار نجاتهم من شر هامان العمالقى خبزاً معجوناً بالعسل والدم المسيحى بصورة مثلثة الزوايا فهذا يقصدون به الهزء والسخرية بالمسيحيين القائلين بالثالوث الأقدس وإنى لمعتقد بأن الدعوات التى نزلت على الشعب اليهوى بلسان أنبياء الله المتكلم بلسانهم كلها موجهة إلى سفكهم دم المسيح أولاً ومراجعتهم هذا الفعل ثانياً فى استنزاف الأبكار المسيحيين.

أما إخفاء هذا السر فقد وقفت على أقوال كثير من الكتاب أثبتوا كونه موجوداً فى كتب اليهود إلا أنى أرى هذا القول ضعيف السند إذ لم يجئ فى كتب اليهود عنه إلا إشارات ورموز لا يعرفها حاخامانهم ورؤساؤهم والعلماء الكبار فيهم ولا يسلم أحد من هؤلاء هذا السر إلا بعد زيجته وبعد الإيمان المغلظة متهددينهم بأعظم العقابات كما أشرت قبلا بعدم إفشائه للمسيحيين ولا لسواهم ولو كانوا فى أشد المضايق والأخطار والنكبات.

وأنا الفقير إلى عفو مولاى قد استلمت هذا السر فى الثامنة عشر من عمرى من أبى ووضع على رأسى قرناً يسميه اليهود (تافيلسم) أى علأمة القوة وعند وضعه هذا القرن على رأسى قال لى هذه العبارة.

إنى اعتمدك واتكل عليك ثم استحلفنى بقوى العناصر السماوية والأرضية بكتمه عن كل بشر حتى عن إخوتى وأخذ على المواثيق والعهود بعدم تسليمه إلى غير واحد من أولادى وهو من أرى فيه الرشد وأهلية الاعتماد والاتكال عليه والحكمة والمودة والفهم

والثبات والرسوخ فى الدين والرزانة فى التصرف ثم نهانىعن إظهاره لأى امرأة كانت على وجه الإطلاق وتهددنى بعدم قبول الأرض إياى فى مدافنها والسما فى جنانها إن كنت أحنث بيمينى وأبيح بهذا السر ثم أباح لى به.

أما أنا فحافظت على وصية أبى وحفظت السر المكتوم حتى تلألأ أمام عينى نور الهدى فرأيت أن كتمانة يجلب على دعوات أبى لا إظهاره ولذلك فأنا أزيعه بدون خوف ولا أجهل أنى دائماً تحت خطر انتقام اليهود لإفشائى هذا السر المكتوم ولكنى متمسك بقول ابن سيراخ الحكيم (حارب عن الحق إلى الموت ص ٤ عدد ٢٨) وهاتف مع بولس الرسول من يقدر أن يفصلنى عن حب المسيح أحزان أم ضيق أم خطر أم سيف روميه ص ٨ عدد ٣٥ أى نعم انى مستعد لكل ما ألقاه من شر اليهود والله يقينى حيث إنى خدمت الحق والحرية والإنسانية.

الرأس الثالث

تقدم لنا أن الدم الذى يسفكه اليهود على نوعين :

الأول: يسفك بين العذابات بطريقة الاستنزاف بموجب طقس دينى وذلك فى عيد الفصح والثانى بأى طريقة كانت وبدون طقوس دينية وذلك فى عيد البوريم وهو تذكار نجاة اليهود من شر هامان.

ثم أن إستعمال هذا الدم على نوعين الأول أن يكون صرفاً بذاته وذلك يكون بعد سفكه أو استنزافه فقط أى قبل أن ييبس ويفسد والثانى رماده أى رماد الكتان الذى يشربونه من الدم قبل يبوسته وهذا المراد يرسل فى حقاق من بلد إلى بلد كما ذكرنا فى أول الكلام حيث إن اليهود فى كثير من البلاد لا يقدرون على الحصول على الدم.

ويكون استعمال هذا الدم فى تسعة أمور. الأول فى الأعمال السحرية كالتعاويذ والرقى وفى معتقد الحاخامات أن هذا الدم مقبول جدًا لدى الشياطين إذ يقدمون لهم به البشرية لا البهيمية.

الثاني: استعمال الحاخامات والرؤساء إياه فى شفاء أسقام أجسادهم وعللهم وأمراض من يلوذ بهم. الثالث لث البيض المسلوق به وإطعامه للعروسين فى ليلة القران ليقويا

به. الرابع مزجهم إياه بدم الطفل المختون ودهن حلقه به ليطهر الخامس دهن أصداغ اليهود به فى كل سنة فى اليوم التاسع من شهر تموز وهو يوم حزنهم على خراب أورشليم السادس رش كتانة فى هذا اليوم على بيض مسلوق وكل واحد يتناول بيضة ملثوثة بكمية جزئية منه. السابع وضعه فى عيد الفصح ضمن أرغفة الفطير الخصوصية وكل واحد منهم يأكل قطعة من هذا الفطير بقدر حبة الزيتون. الثامن إضافته إلى زلال البيض ودهنهم به صدور الموتى مع تلاوة بعض الألفاظ الرمزية. التاسع مزج الخبز الذى يصنعونه فى عيد البوريم به وتوزيعه على أصدقائهم من النصارى بقصد إطعامهم دمهم بأيديهم.

وقد جاء فى الصفحة ٢٩٧ من المجلد الثالث من تأليف المعلم الشهير فراجيس تفسير لما ورد فى التلمود الذى هو كتاب اليهود ونحن نورده هنا تأييداً لما قلناه.

إن التلمود يوجب على كل يهودى أن يلعن فى كل يوم النصارى ثلاث مرات ويطلب من الله أن يبيدهم ويفنى ملوكهم وحكامهم ويوجب عليهم سلب ما استطاعوا من مقتنياتهم بأية طريقة كانت سفر ٦ فصل ٨ بند ٩ وتفسير كلامه الوارد بهذا الصدد هو أما مع الوثنين فلا تفعلوا لا خيراً ولا شراً وأما مع النصارى فابذلوا كل جهدكم فى سفك دمهم وإذا شاهد يهودى مسيحياً على حافة هوته فليرم به إلى أسفل سفر ٢ فصل ٩ بند ٦ لأن ممالك النصارى هى أكثر نجاسة من جميع الممالك.وحرام على اليهودى الخدمة عند الحاكم الوثنى وأما عند الحاكم النصرانى فغير جائزة أصلا وجريمة لا تغفر ٩ فصل ١ بند ٩ وكنائس النصارى كبيوت الضالين ومعابد الأصنام يجب على اليهود خرابها وأناجيل النصارى عين الضلال والنقص ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله مدوناً فيها.

ولا يستعظم هذا من اليهود فإن اعتقادهم بالله نفسه قد فسد وقد قال العالم الشهير يوحنا كلاوريوس إن الاعتقاد اليهودى وإن يكن مسلماً إليهم من الله فقد أفسده حاخامتهم ورؤساءهم وبعد ما كان هو الكمال بعينه جعلوه النقص بعينه إذ خلط الحاخامات به الخرافات الكثيرة الباطلة وأولوا معانيه ومضامينه بالأضاليل والتلفيقات العارية عن الصحة.

فمن ذلك أنهم يعتقدون أن الله يبكى وتجرى دموعه فى البحر كلما تذكر شقاء الشعب اليهودى وأنه يدرس فى كل يوم فى كتاب التلمود ثلاث ساعات وأنه أوصى بتقدمه

٧ذبيحة فى أول كل شهر لأجل الخطية التى هو ارتكبها لما أنقص ضوء القمر عن ضوء الشمس وأن الله كذب ليحفظ الصلح بين إبراهيم وساره إلى غير ذلك من التلفيق والتضليل الذى تعدوا به على شرف العناية الإلهية التى تترفع عن البكاء وعن الدرس فى التلمود مهما علا فى أعين اليهود قدره وظنوه مقدساً وعن الخطأ والنقص والكذب فى أعماله وتدبيراته الإلهية إذ أنه هو الكمال والقدرة والإرادة والحق لا تلحقه وصمة النقص الإنسانى بشئ البتة وعبدة الأصنام أنفسهم لم يصلوا إلى نسبة النقائص إلى آلهتهم كالهيولى والحزن والضعف والجهل والخطأ والكذب.

ومن اليهود من يعتقد أن المسيح لم يأت للآن إلى الأرض ولكنه سيجىء وهم فى انتظاره.

ومنهم من يعتقد أنه عدل عن المجىء لكثرة الخطايا التى ملأت الأرض وهو يقصد محو الخطايا كما قال إشعيا النبى:

"حمل خطايانا وتوجع لأجلها وجرح بعد تجاوزنا الشريعة وهو يأتى إلى الموت باختياره وأعطى للأشرار بدلا والله يريد أن يطهره من جراحاته إذ يبذل نفسه من أجل الخطية" فكيف يهرب المسيح من الأرض لوجودها منجسة بالخطايا والخطأ منذ وجد الإنسان ملازم لأعماله قبل الأنبياء والتوراة وبعدهم.

فكيف يتنبأ الأنبياء إذا على مجي المسيح ويوردون الايات الدالة على علائم هذا المجئ إذا كان لا يجي والخطايا على الأرض.

وإنى أتوسل إلى الله بالخضوع والذل والرضوخ أن يلين قلب اليهود ويرفع برقع الظلام عن عيونهم حتى يروا أنوار الحق وصمام الصمم عن أسماعهم ليسمعوا صوت العقل الداعى إياهم إلى الإيمان بالمسيح الحقيقى الذى جاء لافتداء العالم بالصلب ونشر الإنجيل فى أقطار العالم نوراً للأمم أهدى للشعوب على يد اثنى عشر رسولاً انتخبهم من الصيادين المعدومى الجاه والاقتدار وقلدهم بسلاح نعمته فتسلطوا على أفكار الملوك القياصرة الوثنيين وثبتوا إيمانه بدماء الشهداء المسفوكة بين أشد العذابات. وهذا الإيمان منذ ثلاثة عشر جيل ممارس بجميع اللغات وفى جميع أقاصى الأرض إلا اليهود فلا يزالون معرضين عنه.

ألهمهم الله إلى الاستنارة به بشفاعة آبائنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والقديسين ومريم العذراء * آمين *.

تم كتاب

سر الدم المكتوم

ناوفيطوس

ولد هذا الرجل فى أواخر جيل الثامن عشر نحو السنة ١٧٦٤م فى بلاد المولداف وهى البلاد المسماة باللغة التركية بغدان وق فتحتها الدولة العلية العثمانية سنة ١٧١٥م وحدودها من جهة الشرق الروسيا وكانت ولادته من أبوين يهوديين فنبغ منذ صغر سنه بالعلوم وتعمق باللغة العبرية وطالع التوراة وكتب التلمود إلى أنه رقى إلى درجة حاخام على الأمة اليهودية ولما كان من جملة الذين خصصتهم الطبيعة بقوة الفهم والإدراك وحب البحث عن حقائق الأمور فما بلغ هذا الحاخام السن الذى يتصل الإنسان فيه عادة لوزن الأمور بأوزانها الصحيحة دون أن يبقى خاضعاً لأفكار الجهل والحدة حتى اهتدى بنور العقل لمعرفة كون القواعد المتبعة من الحاخامات وعلى الخصوص فى ما يعلمونه من وجوب بغض الأمم السائرة ومن وجوب استعمال الدم البشري إنما هى قواعد مبنية على أساس التعصب الذميم والجهالة العمياء. فطلب وقتئذ وهو فى سن الثمانية وثلاثين سنه اعتناق الدين المسيحى وكان طلبه ذلك وفى هذه السنه لا عن غاية دنيوية كما يحصل غالب لأحيان عند من يتركون مذهبهم بل عن غاية حميدة أكدها لبس هذا الحاخام للإسكيم الرهبانى فى أحد أديرة نوبلى رومانيا(**nauplie de romanie**) وهى بعيدة نحو أربعين كيلو مترا عن قرطجنة للجهة الجنوبية.

فبقى ناوفيطوس طول حياته فى النسك والزهد بعيدا عن العالم وبعد تنصره تحت عنوان انهدام الديانه العبرانيه الكراس الذى أتيناه بذكره وكانت كتابته له فى اللغة المولدافيه ثم ترجم إلى اليونانية فالعربية فالإيطاليانية وكان ظهوره سنة ١٨٨٣.



ناوفيتوس

وقد ذكره أحد المؤرخين أشيل لوران **a. laurent**)) فى تأليفه سنة ١٨٤٠ عن حادثة البادرى توما وخادمه إبراهيم. ثم ذكره كوجانوا داموسو (**Gougenot de Mouisseaux**) فى تأليفه المطبوع سنه ١٨٦٧ المعنون " اليهودى واليهودية وتهود الشعوب النصرانية "

(Le juit le judaisme et la judaisation des peuples chréliens)

قال جميع الذين ذكروا كتابا ناوقيطوس بقلة وجوده وما ذلك إلا لأن اليهود المتعصبين يجدون فى إخفائه وقد تأكدنا حقيقة ذلك بما كان من الألفى نسخة التى طبعت مؤخرا فى القاهرة كما أشرنا إلى ذلك بداية.

قال هنرى ديبورت **Henri Desportes** فى تأليفه سر الدم

" ليس من عجب فإن قوة الذهب عظيمة فهو يفتح أبوابا كثيرة .. "

هذه مقدمة قصدنا إيرادها كى نجعل حضرة الأفوكاتو جاكومو كاستروا إن يقنع ذاته بذاته عما توهمه بأن تأليف ناوفيطوس هو من رجل شامى كما أفسح عن ذلك فى كريريسته التى أشهرها سنة ١٨٧٣ تحت عنوان

(نصيحة عدو الإنسانية)

(عن الهجو فى الديانة العبرانية)

لقد طالعنا بتدقيق عبارات هذه الكراسة فوجدناها محصورة بأمور أهمها كون ناوقيطوس لا وجود له وأن التأليف المنسوب لهذا الرجل هو من شامى وأن طبعه كان فى أمكنة خالية عن التمدن وأشار بما تقدم إلى بيروت وسوريا ولبنان ثم أخذ يبرهن عن عدم صحة ما قيل عن سفك الدم وأنه ناتج عن بعض النصارى لليهود موردا بالنهى عن استعمال الدم بالتوراة وبالوصايا العشر وان اللعنات الموجهة بالتلمود لا تعنى من النصارى بل عن غير أمم من اليهود كاصادوقيين وهم جنس من اليهود وفصيلة من الربيين وأن الاضطهادات الدينية موجودة عند غير الأمة اليهودية وكم ذكر التاريخ سفك دماء وعذابات لأجل التعصب الدينى.

ويختم رسالتة بوضع بعض براءات وشهادات من قبل الحكام والباباوات يقصد منها تأييد قوله بعدم صحة التهمة الموجهة على اليهود من جهة استنزاف الدم واستعماله.

فيا حضرة الأفوكاتو ندعوك الآن باسم الإنسانية وبموقف التمدن ونسألك أن تجيبنا هل ما أوردته فى كريريستك كاف لنفى حقائق ظهرت لعالم الوجود وهل ما وجهته من الأوهام بأفكارك وجود ناوقيطوس هو كاف لأن ينفى وجود حاخام اشتهر وزاع اسمه فى التاريخ وأشهر ما كان يعلمه عن أمور أحيتها التقاليد وعلمتها الحاخامات وتبعها الجهلة من اليهود.

فبالله عليك أيها القاصد المدافعة عن الحق ما أدخل الطعن والقذف فى بيروت وسوريا ولبنان ونسبك إلى هذه الأمكنة عدم التمدن بل التوحش أتجهل أن هذه البلاد هى البلاد المقدسة بحسب شرائعك وأنها مقر أنبيائك وعلمائك وعظمائك. ولكن ليس علينا أن نطيل البحث والجدال معك بما يتعلق بحقيقة حالة هذه البلاد فإننا نرى نفسنا معاكسين مبادئ التمدن لو نسبنا لشخص عالم نظيرك الجهل بهذه الحقائق وحالة سوريا وبيروت ولبنان من جهة المعارف والمدنية لا يحتاجها برهان. فمن كان ذا عقل يفهم وذا عينين ينظر.

وأما نفيك عن بعض الجهلة المتعصبين من أبناء ملتك استنزاف الدم فإن كان محمولا على عدم حدوث بمثل هذه الفظائع فما لنا إلا أن نرجوك بوضع نظارأت الحق والتجرد عن كل ميل مذهبى ومطالعة ما أوردناه وسنورده من الحوادث المتكررة فتعلم أن الإنكار لم يعدله من سبيل ولا فائدة.

ولابد من أن تسلم أيها الأفوكاتو اللبيب بضلال من يدعى بأن ما ينسب لبعض اليهود من سفك الدم إنما هو محض أوهام لأن حوادث عديدة ثبتت بالبرهان وبالأوراق الرسمية ولا عبرة فى إنكار محكوم عليه وعدم إقراره بعدالة الحكم وصحة الشهود إذ من النادرجدا أن يعترف المذنب بعدل الحكم الذى يصدر عليه وبعدالة الحاكم.

أما الادعاء بكون ما ينسب لليهود إنما هو ناتج عن بغض وحسد فمردود بأنه لا يتصور وقوع بغض بدون سبب فإن صح وجود بغض فى قلوب محبى الإنسانية فيكون محصوراً بالذين من اليهود يرتكبون فظائع كالتى أتينا بذكرها. ولا ريب بأن الكثيرين من اليهود أيضا يبغضون الذين منهم يأتون بمثل هذا الفعل الشنيع.

وأما القول بأنه لا يمكن لليهود ارتكاب سفك الدم لكونه منهيا عنه فى التوراة وبالوصايا العشر فجوابه وهل كلما تنهى عنه الشريعة يستحيل وقوعه فلو كان اليهود لم يأتوا بمثل هذه الفظائع لما سنت لهم الشريعة الناهية عن ارتكابها عدا عن كون قسم من اليهود لم يكتفوا بأقوال التوراة بل تبعوا التلمود والتقليدات وعملوا بحبسما قيل لهم بها وأمروا بها من وجوب الغش والقتل كلما لاحت الفرص وسنأتى بتفصيل لذلك لدى البحث عن التلمود والتقليدات.

وتفسيرك لنا أيها الأديب جاكومو كاسترو بأن اللعنات الموجودة بالتلمود ليست موجهة إلا على الصادوقيين فلا ينطبق على الحقيقة لأن المفهوم من عبارأت التلمود بنفسها أن هذه اللعنات موجهة على جميع الأمم الخارجين عن مذهب اليهود (انظر شروحاتنا المتعلقة بالتلمود) ولا ننكر عليك ما أجراه بعض النصارى من الاضطهادات الدينية فى الأعصر الغابرة وما اجراه غير أمم أيضا ولكنه شتان بين اضطهادات تزول بزوال أسبابها الوقتية كالحروب والمخاصمات وبين فظائع اتبعت لغايات مذهبية ودامت منذ الأعصر الغابرة حتى عصرنا الحالى المعروف بعصر التمدن ولا زالت تتأجج حينا بعد حين كلما هبت عواصف التعصب التلمودى وهى كامنة فى أحشاء المتعصبين كالنار تحت الرماد.

فأين نحن الآن من تلك الأعصر الغابرة إلى أين نحن من عصر نيرون أين نحن من أعصر الظلم والجور والاعتساف التى تذكرها ومع ذلك هل طفئت نيران العطش المحرق الذى يشعر به بعض جهلاء اليهود فلا يروى عطشهم إلا دم الأبرياء ردد بأذهانك الحوادث التى ذكرناها. ولا تقل كما قال غيرك أن هذه التهمات ناتجة عن حسد من اليهود وغنائهم ولأنهم قليلو العدد.

فليست حجة أو هى من هذه لأن التهمة باستنزاف الدم ما من مرة تصدرت على أغنياء الأمة اليهودية ولا على عظمائها بل على بعض الجهلة فيها فكم من الأغنياء موجودين خارجا عن اليهود فلماذا لا يتهم باستنزاف الدم غير اليهود وكم فى الدنيا أمة قليلة العدد غير الأمة اليهودية فلماذا لم نسمع أنها اتهمت بهذا الأمر الفظيع.

أى نعم كنا نود بأن الحرية التى تحصلت عليها الأمة اليهودية والمال الذى أحرزته والعلوم التى انتشرت بين أفرادها والتمدن الذى دخلت فيه مع باقى الأمم يكون جميعه واسطة عندها لمساعدة الإنسانية وردع من كان من اليهود شريراً والفحص والتحرى عن

الوسائط الفعالة التى تمحو مع التعصب عادة استنزاف الدم ووقاية مئتين من الأطفال من غدر وعذابات لا يتصور العقل البشرى أشد قباحة وأعظم سماجة وأكره فعلا منها.

فمن يتصور بوالد أو بوالدة قضى على ولد لهما بأمر الله. وكيف انهما يتقلبان على جمر الغضاء والأحزان وكيف تكون الدنيا مظلمة حولهما وكيف أنهما يودان لو لم يكونا قد خلقا أو أن يكون رحم والدتهما قد صار مدفناً لهما وكيف يتململان تأسفاً ثم يتأمل كيف تكون حالة والد ووالدة يخطف ولدهما بعض اليهود الجهلة ويذهبون به إلى حيث يستنزفون دمه تحت العذاب الأليم فإذ ذاك يعلم أهمية الموضوع الذى اتخذنا على عاتقنا الخوض فيه.

ولا يخال قط بفكر سليم العقل بأن الغاية بما كتبناه هى البغض باليهود كلا فإن لنا بينهم أصدقاء وخلانا ممن نعلم ونؤكد فيهم حرية المبادئ والتمدن واللطف والوداعة وهم يكرهون أن يروا ليس بين أمتهم بل بين كل أمة أناسا كالوحوش الضارية ونعلم ونحقق بأن كثيرين من اليهود لا إطلاع لهم بما يجريه بعضهم ويما يعتقدون به من وجوب سفك الدم فهؤلاء يؤيدون مبادينا ويسعون على خطتنا وهى التوصل لنقطة العدل الذى يقضى بقصاص الظالمين واستئصال الشر الباقى بين بعض الإسرائيلين منذ الأجيال الغابرة حتى يومنا هذا فقبل أن ننهى تصدير كلامنا لحضرة الأفوكاتو جاكومو كاستروا نرى من الضرورة أن نرد أيضا على ختام رسالته ووضعه فيها صور شهادات بعض الحكام والبابوات. فلو راجعنا مآل هذه البراءات وغيرها مما ألحقه بكر يريسته لرأيناها جميعها تثبت لنا كون تهمة استنزاف الدم كانت منذ القديم موجهة على الطائفة اليهودية وأنه رغماً عن كون هذه التهمة كانت ولم تزل على عاتق اليهود كأحمال ثقيلة فلا زال بعضهم يحيونها بدوأمتهم إتباع عادة استنزاف الدم الفظيعة.

فكانت تقوم الاضطهادات القوية من كل جهة ضد الأمة اليهودية وهذا كان يستلزم وقاية أبرياءها فكان يجب من ثم التماس القوة لذلك من قبل السلطة الدينية والمدنية للوصول إلى إخماد هذه الاضطهادات.

ومن المعلوم أن كل عاقل يقول بعدم جواز اضطهاد الأبرياء ومعاقبتهم بذنب الأشرار وعلى هذه الخطة ولهذه الأسباب كان يعلن أولى السلطة المدنية وجوب المحافظة على اليهود رحمة بأبريائهم وعلى ذلك سلك أيضا أرباب السلطة الدينية. وكل حكيم يقول

بموافقة هذا المسلك غير أن الأوامر الصادرة والبراءات المعطاة لا يمكنها أن تنفى حدوث فظائع استنزاف الدم.

وبما أن كثيرين من الذين يقصدون بالعوارية المحاماة عن اعتقادات بعض اليهود بوجوب استنزاف الدم يستندون على مثل تلك الأوامر والبراءات فإننا لا نشهر الكتابات الخصوصية التى وردت باسمنا من رومة العظمى ومن الروسية وفرنسة وجهات عديدة استحسانا لما كتبناه بهذا الموضوع بالجزء الأول من صراخ البرىء كيلا نعد من الذين يتفاخرون بالمدح بأنفسهم وهذا ضد مبادينا بل إننا حباً بإشهار الحقائق ننقل شيئاً مما كتبه هنرى ديبروت مؤلف كتاب "سر الدم عند اليهود منذ القديم" **Le mystére du sang Chez les juifs de Eous les temps** .

قال بعد أن أورد استحسانات بعض الكتاب الأحرار لكتابه سر الدم وذكر السبب الذى من أجله لزم سائرهم السكوت لابد هنا أن أذكر نص الرسالة التى وردتنى من رومة ونشرتها بعض الجرائد الحرة إذ كانت الصحف اليهودية أو المتعبدة لليهود أو المشتراة منهم قد زعمت بأنه لم يردنى شىء وها هى بنصها.

أيها السيد الجليل

وصلنى نسختان من الكتاب الذى نشرتموه سيادتكم تحت عنوان سر الدم وجريت حسب الرغبة التى رغبتموها فى كتابكم المؤرخ فى ٢٦ تموز من تقديم إحدى النسختين للأب الأقدس وأبقى الثانية لى فقد اقتبل قداسته تقدمه سيادتكم البنوية وأوعز إلى أن أتشكركم عنه وأضاف إلى ذلك البركة الرسولية التى يمنحكم إياهامن صميم فؤاده مشيرا للمؤلف الذى ألفتموه فى شأن تلك العادة الفظيعة.

هذا ما كلفنى الحبر الأعظم بإبلاغه أورد به لكم بأمان وأشفعه بذكر ممنونيتى الجزيلة لما سبق من تلطفاتكم بى متشرفاً بأن أدعى لسيادتكم الغرا.

الخادم المخلص

الكردينال رامبولا

رومه فى ٢ آب ١٨٨٩

فبينما نحن نعلق هذه الشروحات عثرنا على مقالة نشرتها جريدة الحقيقة التى تطبع بالإسكندرية تحت عنوان (أميركا واللغة العبرية) لم نر فيها زيادة عما ذكره الأديب جاكومو كاستروّاسوى بعض عبارأت تشير إلى كونها لم تمر على حكم عقل اهتدى بنور الحق وبنور التمدن كقولها وذلك الكتاب الملقب بصراخ البرىء المتضمن أكاذيب وتهم ما أنزل الله بها من سلطان (عدد ١٥٨ فى ٢٠ مارس سنة ١٨٩١) .

فإن كانت الحوادث التى ذكرها صراخ البرىء وهى قائمة على دعائم الحقيقة ومسندة على حقائق راهنة حلت تجاه صاحب الجريدة المنوه عنها مقام الأكاذيب والتهم الباطلة فلا لوم علينا إذا قلنا لحضرته أما إنك طالعت بإمعان صراخ البرىء أولاً فإن كنت طالعته وفهمت مافيه وبعد ذلك كتبت ما كتبت فلابد من أنك دخلت فى طغمه من لهم أعين ولا يبصرون وقلب ولا يشعرون وأن كنت لم تطالع هذا الكتاب بل سمعت به سمعاً وأحببت أن تبدى خدمة بطعنك غير المسنود إلا على الأوهام فبئس الخدمة وبئس المسير الذى سلكته.

فذكر جريدة الحقيقة لأقوال بعض المسيحيين النافية التهمة الموجهة على الأمة اليهودية لم يكن لينفى كون البعض من هذه الأمة قد تعودوا استنزاف الدم وقد رأينا بين المسيحيين من باعوا الحقيقة بالدرهم وكفانا شاهدا ما أجراه مؤخراً عبده قبوات بدمشق الشام وغيره مما لا فائدة فى ذكرهم.

وما قولك يا صاحب الحقيقة فى منشور الباب اينوسنته سنة ١٢٤٤ **Bulle du ٩ mai ١٢٤٤ adressée au Roi de France.**

الذى حرم فيه على النصارى الاستخدام عند اليهود وأوعز إلى ملك فرنسا فى إحراق التلمود. وهذا نص بعض كلامه.

" ما يسميه اليهود تلموداً هو عندهم كتاب عظيم الأهمية وهو يتضمن بصراحة شتائم لله ويحتوى على خليط قصص وسو تحريف وحماقات لم يسمع بمثها.

وقد كان علماء كلية باريس فحصوا إتماما لأمر سلفنا البابا غريغوريوس الطيب الذكر هذا الكتاب كتاب الخرافات والترهات وكذلك خلافه من الكتب فى جميع تفاصيلها وإخزاء لليهود أحرقوها أمام الشعب جميعه وأمام أرباب الكهنوت كما أنبأونا بذلك فى رسالتهم إلخ.

وعندنا قبالة هذه الأقوال الواهية صحة التاريخ وحجته وأن شعوبا عديدة يكرمون الأبرياء فرائس التلمودية تكريماً جهارياً وأوراق تطويب كثيرين من الأطفال من ابن عامين إلى ستة توجد فى سجلات البلاط الجبرى وقد أثبت صحة القتل التلمودى كثيرمن المجامع والباباوات وكتب أحد عظماء الأحبار البابا بناديكتوس الرابع عشر منشورا طويلا بتاريخ ٢٢ فبراير (شباط) سنة ١٧٥٥ بما يتعلق بالأطفال الذين ذبحوا من اليهود أبان فيه بأن هؤلاء الصغار فرائس التعصب هم شهداء حقيقيون وروى أوثق المؤرخين تفصيل هذه الذبائح التلمودية حتى لم يعد للريب محل.

وكم قاومت السلطة المدنية فى الشرق والغرب عادة استنزاف الدم ومع هذا كله فلا زلنا نراها تنتقل من جيل إلى آخر فكان هذا الميل الغريزى الموجود فى الأمة اليهودية غير كاف حتى تأتى بعض الجرائد مساعدة لانتشاره بما تكتبه سواء كان من حيث المدافعة أو من حيث الإنكار أو من حيث التنديد فى المؤلفات التى من شأنها أن تساعد على إبطال هذه العادة الوخيمة ومحوها من الأفكار.

وهنا سبيل لنا لأن نذكر ما كان يجريه السلاطين العظام آل عثمان تشييداً للعدل وقصاصاً للذين من اليهود كانوا يتجاسرون على قتل الأولاد.

ففى زمن تولى المغفور له السلطان سليم الثالث الذى كان حكمه من سنة ١٧٨٩ إلى سنة ١٨٠٨ ثبت على اليهود قتل ولد يونانى كانوا علقوه برجليه فى بارة إحدى حارات الآستانة وجعلوا رأسه نحو الأرض وفقاً لعادة عند بعض حاخاماتهم وهى ان يعلق الولد هكذا ليخرج الماء من جوفه قبل أخذ دمه لأنهم يعتقدون بهذه الواسطة خلو الدم من مادة غريبة.

فقد حكم بإعدام ستين يهودياً فعلق كل عشرة منهم فى شارع من شوارع العاصمة قصاصاً وإرهاباً.

فلم تمض بضع سنين حتى رجع اليهود إلى عملهم الوحشى فى نفس الآستانة فقد ذكر التاريخ الحادثة الآتية نقلا عن كتاب محرر باللغة التركية وعنوانه (عفريت إسلامبول) فعربناها منه على بساطة عبارتها.

فى زمن المغفور له السلطان محمود الثانى الذى ولد سنة ١٧٨٥ وتوفى سنة ١٨٣٩ فى سنة ١٨١٥ من حكمه واليوم السابع من شهر مارس "أذار" فقد ولدان من الآستانة هما ابن المستشار المالى وابن الخوجة حسنين وكل منهما يبلغ من العمر بين الثمانى والتسع سنوات فإذ ذاك أخذ بالتفتيش عليهما فى جميع أنحاءالمدينة ولما لم يقف لهما على خبر صدرت أوامر حضرة السلطان بتعيين أربعة من الأروام لأجل الفحص السرى عن هذين الولدين وكان السلطان نفسه يخرج بعض الأحيان متدروشا وبرفقته المستشار والد أحد الفقيدين.

ففى ذات يوم مرا فى جناق قلعة فوجدا الأربعة الأروام قابضين على رجل وأحدهم بيده سكينة يتهدده بالقتل وأسماء هؤلاء الأروام ينى ونيقولا وكوستى وكارالمبو فسألهم أحد الدراويش ما الباعث لمسكهم هذا الرجل وتهديده بالقتل فأجابوه

أن هذا الرجل يسمى شمعون اليهودى وهو خادم حاخام اليهود ومقيم عنده فى الكنيس وبما إننا اشتبهنا بأن الولدين معروفا منه وأنهما أخذا إلى الحاخام معلمه فطلبنا منه أن يأخذنا إلى الكنيش فأبى وذعر فازداد اشتباهنا فيه. فقال الدرويش وكان هو السلطان إلى الخادم وأى ذنب عليك لو أخذت هؤلاء إلى الكنيس فأجابه لا علم لى بالأولاد ولا أعرفهم ولا هم بالكنيس وأنا متوجه إلى بيتى فبالله يا دراويش اقنعوا هؤلاء الأروام بأن يتركونى.

فقال له الدرويش لا تخف منهم نحن نذهب معك ولا نجعل الأروام أن يضروك بشىء ولما رأى الخام أن لا مناص له من أيدى القابضين عليه امتثل وسار معهم حتى وصل أمام بوابة الكنيس وفتحها بمفتاح كان بيده وقال مرتجفاً : لابد بأن الحاخام يضربنى فدخل الدرويشان والأروام داخل الكنيس فوجدوا الحاخام نائماً فأيقظه أحد الأروام فلما استفاق

نظر إليهم نظرة المدهوش ثم حول نحو شمعون الخادم نظرة الغضب ولكن الأروام أفهموه بأنهم أتوا للتفتيش على الولدين المفقودين.

فلما سمع الحاخام منهم هذا الكلام ارتعشت فرائصه ولم يعد يتمكن من الوقوف فشتمه نيقولا ورفع السكينة مريداً ضربه وطلب منه أن يمشى أمامهم ليفتح لهم جميع الغرف فالتزم الحاخام خوف الموت أن يلبى الطلب وأخذيفتح باب الغرف إلى أن وصلوا إلى باب ادعى بأن مفتاحه فاقد فلم يلفظ الكلمة حتى تقدم أحد الأروام فضربه برجليه فانفتح كسراً.

وإذا داخل الغرفة اثنان من اليهود وأمامهما طاولة وعليها قنانى مملوءة دماً والولدان ملقيان تحت الطاولة لا روح فيهما فبالحال ألقى القبض على الحاخام وعلى الذين وجدوا فى الكنيس وحكم عليهم بالإعدام وصدرت أوامر السلطان محمود بهدم الكنيس وجعله معمل للبارود .. قالت اليهود "يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا".

الذبائح الغربية

ذكر المؤخرون بأن يهود ألمانيا كانوا فى بعض الظروف يقتلون الأولاد الأبرياء ويعذبونهم وقد نقل لنا القديس لاوون الكبير بأنه فى عصره أى فى نحو السنة ٤٤٠ إلى ٤٦١ كان يعتقد العامة بما تقدم فمن هنا يتضح بأن اليهود سواء كان فىالغرب أو فى الشرق قد اتبعوا أقوال الحاخامات التى سرت إليهم حيث كانوا وأينما حلوا.

ومن المعلوم أن فى تلك الأعصر الغابرة لم يكن المؤرخون كثيرى العدد حتى تتصل إلينا الأخبار كما اتصلت إلينا من الأعصر القريبة فمنذ الجيل الحادى عشر بدأت الذبائح التلمودية أن تظهر جلياً وتتبعها العقوبات الصارمة.

ذبيحة بلواس سنة ١٠٧١

فى تلك السنة ثبت على يهود بلواس (**Blois**) إحدى مدن فرنسا استنزاف ولد بعد أن جلدوه فى عيد الفصح ولما انتهوا من أخذ دمه وأماتوه وضعوا جثته فى كيس وطرحوها فى نهر اللوار.

فالظاهر أن وضع جثث الذبائح ضمن كيس هى من جملة الشروط التقليدية لاننا رأينا ذلك فى ذبيحة البادرى توما وذبيحة هنرى عبد النور إذ جاؤا بجثته ليطرحوها فى البير.

فلما ثبتت الجناية على بعض يهود بلواس قد حكم عليهم بالحريق بالنار قصاصاً وإرهاباً وكان ذلك على عهد تيوبالد كونت دوشرتر.

فلم يكن الحكام فى ذلك الزمن يضحون العدل على مذابح الفضة والذهب ولذلك نال الظالمون وسافكو الدم جزاء جنايتهم الحريق بالنار خلافاً لقتلة هنرى عبد النور فإنهم ليس فقط لم يحاكموا بل جزاء فظيعتهم نالوا الالتفات والرعاية ممن تسلمت له أرواح عبيد الله من لدن الخلافة العظمى.

(ذبيحة نورفيش سنة ١١٤٤)

فى مدينة نورفيش (**Norwieh**) على عهد عبد الملك أسطفان ملك إنكلترا كان لأحد القرويين ولد اسمه غليوم وكان يتعلم صناعة الدباغة فلما بلغ هذا الولد الثانية عشرة من عمره وكان ذلك سنة ١١٤٤ احتال عليه بعض اليهود فأدخلوه محلا لهم وهناك حفظوه إلى قرب عيد فصحهم ولما جاءت الساعة أخذوا هذا الولد وكان جميل الصورة جدا قوى البنية دموى المزاج وربطوا يديه ورجليه ثم حلقوا له شعر رأسه وبدأوا أن يوخذوه بدبابيس ومناخس وبعد ذلك صلبوه على خشبة وكان هذا الولد البرىء يتململ متوجعاً ويصرخ من زيادة الألم ويتضرع لصالبيه فكانوا كلما زاد صراخاً كلما ازدادوا فرحاً وقساوة وأخير طعنوه بحربة حتى القلب وقبل أن تخرج روحه من جسده أخذوا ماء عاليا وصبوه على رأسه وهكذا أماتوه بين أمر العذاب ثم رفعوا الجثة ووضعوها فى كيس وأخذوها إلى حرش فى إحدى الجهات القريبة من المدينة فالتقى فيهم رجل اسمه اليوذيس واكتشف الأمر فلما أعلم الحكومة به بادر اليهود فى بذل المال لاكتساب الحاكم حتى جعل الجزاء محصورا فى بعض أفرادهم وهكذا نجا الكثيرون من عقاب هذه الذبيحة البشرية. أما جسد الذبيح فمدفون فى الكنيسة الكاتدراية.

(ذبيحة كلوستر سنة ١١٦٠)

فى السنة المذكورة وهى السنة الخامسة للملك هنريكوس الثانى ابن جوفروا بالإنطاجنة ملك إنكلترا قد قتل اليهود ولدا وأخذوا دمه وكانت هذه الحادثة من الحوادث المفجعة التى ضمها التاريخ إلى غيرها من الذبائح التلمودي.

(ذبيحة باريز سنة ١١٧٩)

فى جمعة الفصح من السنة المذكورة قد اتصل اليهود لاختطاف ريكادروس أحد أولاد العاصمة الفرنساوية وأخذوه إلى مكان كانوا جعلوا فيه تحت الأرض قبوا مخصوصاً لإتمام الذبائح التى تأمرهم بها تقليداتهم ولما أدخلوه هذا المكان السرى حيث اجتمع الحاخامات شرعوا أن يسألوه عن مذهبه فأجابهم الولد بأنه تابع شريعة أبويه وأجداده ومذهبه مسيحى فإذ ذاك عروه من ثيابه وأمر الحاخام بضربه بالسياط فكان الولد يأن ويبكى وكلما توسل مبتهلاً لله أن ينقذه من هذا العذاب كان اليهود يضاعفون الجلد وبعد ذلك رفعوا هذا الولد المسكين على خشبة وأخذوا فى تجريحه وكلما سال الدم من جروحاته كلما كان يزداد فرحهم وقد حفظوا الدم بأوان مخصوصة وكان أقارب الولد قد أخذوا بالتفتيش عليه فاتصلوا أخيراً للكشف على جثته وكانت بحالة يرق لها القلب الجماد فأخذوها ودفنوها فى كنيسة الأبرياء فى باريز.

وفى عهد الملك كارلوس السادس الذى تبوأ الملك فى سنة ١٣٨٠ قد نقل الإنكليز عظام هذا الذبيح إلى إنكلترا أما الرأس فبقى محفوظاً فى كنيسة الأبرياء فى باريز حتى أيام الثورة الفرنساوية سنة ١٧٨٩.

ولما تولى الحكم فيليب أوغسطوس سنة ١١٨٠ أى سنة واحدة بعد حادثة قتل الولد ريكاردوس التى ذكرناها استشاط غضباً وحقداً على اليهود وصمم على إجراء العقوبات الشديدة على كل من منهم يتجاسر على إجراء ما كان يعلمه عنهم من أخذهم فى كل سنة لفصحهم أحد الأولاد واستنزاف دمه فى أماكن سرية. فما مضت سنة من توليه الملك حتى ثبتت على اليهود الحادثة الآتى ذكرها.

ولما طفح كأس الغضب ضدهم نالوا الجزاء كما سيأتى تفصيل ذلك.

(ذبيحة قصر بريسن سنة ١١٨١)

فى بداية شهر ابريل (نيسان) من السنة المذكورة قبض اليهود على أحد النصارى وبعد أن جلدوه وأماتوه فى قصر بريسن (Braisne) الذى يبعد عن مدينة باريس نحو ستين كيلو متراً وكان الملك فيليب أوغسطوس فى قصر سنجر من (S'germain) فلما بلغه الخبر ركب بالحال جواده وسار إلى قصر بريسن وهو يبعد ثمانين كيلو متراً عن سنجر من فشاهد المذبحة بعينه وازداد تيقناً بما يرتكبه بعض اليهود من الأمور الفظيعة فأمر بإعدام ثمانين شخصاً منهم وكان إعدامهم حريقاً بالنار ثم فى سنة ١١٨٢ صدرت أوامره القطعية بطرد جميع اليهود من أراضى فرنسا رغماً عما كانوا يبذلونه من المال لأجل التخلص من هذا الطرد. اسمع يا صاحب الهمة دولتلو مصطفى عاصم باشا وأنتم يا من قصدتم المساعدة على إطفاء حادثة هنرى عبد النور ولا تغلقوا آذانكم ضد طالبى حقوق دم هذا البرىء فإن غلقتموها الآن سوف تفتحونها يوم الحشر الرهيب..

وإننا نقف متحيرين لدى مطالعتنا تلك الحوادث ومراجعتنا ما كتبه بعض أصحاب الجرائد مدافعة عن عموم الأمة الإسرائيلية فى كل مرة يؤتى بذكر حوادث استنزاف الدم وكلما قيل لهم ليس التهمة موجهة على عموم الأمة اليهودية يقولون كيف يتصور العقل بأن هذه الأمة المحرم عليها استعمال الدم تأتى بمثل هذه الأفعال ويسرعون إلى التواريخ فيأتون بذكر ما قاله المعلم الفلانى والفيلسوف الفلانى والكردينال الفلانى نفيا لهذه التهم ومتى ذكرت لهم الحوادث بظروفها وأحكامها وعقوبات مرتكبيهايقولون كمن يقصد غطا البحر بقطعة من القماش لأكل هذه التهم مقصود بها المتاجرة وأخذمال اليهود فعلى قولهم وبحسب زعمهم ما من أحد يكتب إلا لقصد الحصول على المال ليس إلا على الخصوص عندما يكتب ما يمس بإحساسات اليهود فإن كان الذين كتبوا ويكتبون لإحقاق الحق هكذا يكون التصور بهم فماذا يكون الحكم على الذين يقال لهم نحن لا نوجه التهمة على أغنياء اليهود بل على الذين منهم يرتكبون مثل هذه الأعمال الوحشية وهم يجاوبون كلا إن اليهود لا يفعلون مثل هذا الشر وهم أصحاب الثروة والغنى إلخ فبالله من يقصد استجلاب المال هل الذى لا يهمه الأغنياء ويقرر الحقائق عن الذين يتظاهر هؤلاء الأغنياء بالمدافعة عنهم أو الذين يخدمون أفكار هؤلاء الأغنياء ويخضعون لهم ولأموالهم كما كان يخضع الوثنيون لأصنامهم الذهبية والفضية والنحاسية الخ.

ولا يجهل هؤلاء الكتبة الفطاحل بأن كثيرين يفضلون اكتساب درهم واحد مع بقائهم ضمن دائرة الفضيلة وأصدقاء للحق من أن يربحوا الألوف ويجعلوا أنفسهم أعداء للعدل ولله خالقهم مصدر كل عدل وحق

والأبواب لاكتساب الدرهم واسعة فالذى يقصدها لايفتش عليها بمعاكسة مبادىء الأمة الإسرائيلية الغنية كما ينعتها أولئك المحامون بل يكون أسهل لديه وجودها بانتمائه إليهم كيف لاوهم العارفون المدققون بالأمور المالية والموجودة بين أيديهم الألوف من مفاتيح أبوب الأموال فازا من لا يخشى الحق لا أمام المتسلطين ولا أمام الأغنياء المقتدرين يكرم بالحقيقة إلى الأمر لأن عدم خوفه منهم وعدم احناء الرأس والظهر أمامهم إنما لهم أعظم برهان بإقراره بعدلهم لأنه يقول بنفسه لا تخف من العادل ولا من مستقيم الرأى بل خف من الظالم واخش عذره.

ويكرم أيضا الأغنياء لأنه يعلمهم بأن غناهم لا يغنيهم عن السلوك بالاستقامه التى بدونها لايقى المال ولا الغناء لهم لا شرفا ولا صيتا هذا ما عن على فكرنا أبداه ليبقى محفوظا من بعدنا ذكرى لقوم يعقلون.

(ذبيحة لوندرا سنة ١١٨١)

عند قرب عيد الفصح من تلك السنة تجراء اليهود على مسك ولد اسمه رودبر فى نفس مدينة لوندرا عاصمة مملكة بريطانيا العظمى المدينة الخافقة فى ربوعها أعلام التمدن وأماتوه صلبا وجثته مدفونة إلى جانب كنيسة القديس أدمون وقبره باق إلى يومنا هذا شاهد عدل على ما كان يرتكبه اليهود فى ذلك الحين من الأعمال الفاحشة التى تنصدع لها القلوب

(ذبيحة درولينجين سنة ١١٩٨)

فى مقاطعة درولينجين (**drulingen**) من أعمال الرين الداخلة الآن بملك ألمانيا وكانت فى ذلك الحين تابعة لفرنسا كان أحد القرويين يشتغل فى حقله وكان برفقة ولده البرتوس فبينما كان الأب منهمكا تنحى الولد عنه لجهة الطريق وإذا بيهوديين مرقص شنوفتيش وإسحاق شيطشيق مرا من هناك فلما نظرا الولد أخذا يستجلبانه برقة الألفاظ والمواعيد حتى بعدا عن المكان الموجود فيه والده وحينئذ خطفاه وتوجها به إلى محلهما

وكانت امرأة رومية تخدم عندهما واسمها أسطاسيا وقد تكلفت بخدمة الصبى وملاحظتة وكانت تعتقد بأنه من جملة الأولاد التائهين وأن معلميها سيعيدانه إلى أهله عند معرفتهما بهم.

فقبل عيد الفصح بأربعة أيام جاء الحاخامات وأخذوا الولد وساروا به إلى مغارة تحت الأرض وهناك وضعوا له منديلا فى فمه وبعد أن خاطوا له عينيه تقدم أحدهم مويز وطعنه بسكين صغير فى جنبه اليمين ثم طعنه الآخر واسمه سلمون بجنبه الشمال فصار الدم يسيل من جنبيه وكان الآخرون يقدمون الآنية لاستلقاطه.

ثم بعد ذلك قطعوا له الوريد الودجى وفتحوا له عروق يديه ورجليه حتى صفى كل دمه.

ولما تأكدوا بأن الروح قد خرجت من جسد هذا الولد البرىء بعد أن أذاقوه العذابات المرة أخذوا الجثة وطرحوها فى ترعة ماء وكان والد البرتوس قد علم بفقده فظنه قد عاد إلى البيت فأسرع يطلبه وأخذمع امرأته بالتفتيش فى كل جهة إلى أن أعلمه أحد الصيادين بوجود جثة فى الماء فأسرع الأب والأم والأقارب وإذا هى جثة البرتوس فأخرجوها من الماء وكان منظرها مفجعا تتفتت له الأحشاء حزنا فبعد الفحص أعلنت الامرأة أنسطاسيا ما كان من خدمتها للولد وأشارت إلى المكان الذى كان فيه فألقى القبض على اليهود فأقروا بأنهم أجروا ما أجروه لأن الدم ضرورى لهم للقيام بما توجبه عليهم طقوسهم الدينية ولم يذكر لنا التاريخ أى القصاص الذى ألقى عليهم جزاء لعملهم .

(بولا نديست ٣٠ أبريل جلد ٢ صفحه ٨٣٦)

وهنا محل لأن ننبه الأفكار إلى الجثث العديدة التى تظهر فى النيل والترع والمستنقعات فى القطر المصرى وغيره من الأماكن فبلسان الإنسانية نستلفت أنظار أولى الأمر وعلى الخصوص الأطباء الذين يعهد إليهم النظر فى هذه الأجساد وتدقيق الفحص فى أسباب موتها ..

لقد ذكر ريكور مورخ فيليب أوغوسطوس مثبتا بأن اليهود كانوا فى كل سنه يذبحون ولدا لكى يستعملوا دمه باحتفالاتهم الدينية.

(ذبيحة فيسمبورج سنة ١٢٢٠)

فى هذه المدينة من مدن الالزاس التابعة الآن إلى ألمانيا قتل اليهود فى اليوم التاسع والعشرين من شهر يونيو (تموز) سنة ١٢٢٠ هنرى المعروف باسم القديس هنرى فيسمبورج .

(ذبيحة مونيخ سنة ١٢٢٥)

إن امرأة نصرانية قادها بعض اليهود بواسطة المال أن تخطف لهم ولدا فلبت الطلب ودفعت إليهم ولدا صغيرا فلما وقع هذا المنكود الحظ بين أيديهم استنزفوا دمه بواسطة تقطيع عروقه ولما لم يكتفوا بكمية هذا الدم أغروا المرأة ثانية على أن تأتيهم بولد آخر إلا أن الحكومة اكتشفت على المكيدة وأخذت الامرأة تحت المحاكمة فأقرت بما كان وحكم عليها وعلى مائة وأربعين يهوديا بالإحراق بالنار عقابا لارتكاب هذه الفظائع " انظر تاريخ ميشليك عن فريسنكب جلد ١١ صفحة ٩٤ "

وفى سنة ١٢٣٥ سرق اليهود ولدا على عهد هنرى كوس الثالث بقصد استنزاف دمه فثبتت عليهم الجناية وحكم عليهم بالسجن المؤبد.

(ذبيحة هاجنو سنة ١٢٣٦)

فى مدينة هاجنو (**haguenau**) من الرين التابعة ألمانيا استنزاف اليهود فى أيام الفصح ثلاثة أولاد بعمر السبع إلى التسع سنوات فاتضح عملهم حتى هاج الشعب عليهم هيجانا عظيما ولم ينتظر إجراء محاكمتهم بل قتل بأثناء الهيجان يهود كثيرون وكان نصيب بعضهم الحريق بالنار وقد سكن فريدريكوس الثانى إمبراطور ألمانيا.

(ذبائح إنكلترا سنة ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤٤)

لقد هاج الشعب على اليهود فى مدينة لوندره سنة ١٢٣٩ وذلك عند استنزافهم دم ولد لإتمام طقس مذهبهم ولم يمض هذا الهيجان وما لقوة بأثنائه من الأكدار والخسائر والضرب والشتم حتى عادوا إلى عوائدهم السيئة ففى سنة ١٢٤٠ اختطفوا ولدا آخر فى مدينة نورفيش (**norwich** وطهروه وحفظوه إلى أيام فصحهم وكان أقارب هذا الولد يطوفوف المدن والقرى ليعلموا أين ذهب فقيدهم وأخيرا ساعدتهم التقادير على اكتشافه

وهو باق بقيد الحياة فإذ ذاك ألقى القبض على اليهود خاطفى الولد فأقر أربعة منهم بذنبهم وقصاصا لهم علقوا باذناب الخيل ونالوا جزاء جريمتهم

وفى سنة ١٢٤٤ عاد اليهود فضبطوا ولدا فى نفس مدينة لوندرا وأخذوا دمه واخفوه إلا أن عملهم اشتهر وأخرجت جثة الولد فكانت بهيئة تقشعر منها الأبدان لأن أعضاءها كانت مخلعة والعروق مقطعة فلما ظهرت الجثة أخذبعض اليهود المجرمين الفرار لأن الخوف استولى عليهم والرعبة شملت قلوبهم فكان فرارهم من جملة البراهين المثبتة لجريمتهم.

" انظر تاريخ بارونيوس لسنة ١٢٤٤ نومره ٤٢ .

ولقد ذكر أحد المؤرخين كلوفاريوس (**cluverius**) عن جملة ذبائح تلمودية حدثت فى لوندرا منها ذبيحة ولد فى سنة ١٢٤٤ حيث وجدت جثته مطروحة عند إحدى المقابر وكان عليها كتابات عبرية وعلامات جلد واستنزاف وكان البعض من الذين اعتنقوا الديانة المسيحية فطلبهم حاكم المدينة فقرأوا اسم أب الولد وأمه وأنه بيع من اليهود وهو طفل. من ذلك ومن علامات الاستنزاف بأن هذا الولد قد أخذ دمه للطريقة اليهودية المعلومة.

ومنها ذبيحة ولد حصلت سنة ١٢٥٠ فهى صار كوس (**saragosse**) من مدن أسبانيا حيث خطف اليهودى مويز الياهوزت ولدا اسمه دومينكوس قال وكان له من العمر وقتئذ سبع سنوات وأخذه إلى رفقائه فصلبوا هذا الولد البرىء على حائط وطعنوه بآلات جارحة حتى سال دمه والكتابة الموجودة على الصندوق المحفوظة فيه عظام هذا الذبيح تشير إلى أن صلبه كان فى شهر يوليو (تموز) من السنة المار ذكرها وفى اورستونا من مقاطعة كاستيل (**castyle**) قد استنزاف أحد الحاخامات فى بيته ولدا صغيرا وكان ذلك سنة ١٢٥٠ أيضا

(ذبيحة لينكولن سنة ١٢٥٥)

إن يهود لنيكولن (**lincoln**) من مدن إنكلترا خطفوا ولدا اسمه هوج وكان له من العمر ثمان سنوات وحفظوه بمكان سرى ثم وزعوا على يهود باقى المدن والقرى أوراق الدعوة ليحضروا الذبيحة وقد أخذوا بمدة العشرة أيام السابقة الفصح أن يقدموا إلى الولد مأكولات فاخرة ومشروبات لذيذة وبعد أن اجتمع المدعوون عقدوا مجمعا يترأسه أحدهم

وأتوا بالولد وعروه من ثيابه وباشروا بجلده ثم جاؤا بإكليل من شريط معلقة عليه مسأمير رفيعة ووضعوه على رأسه بعد أن سدوا فمه بقطعة من القماش فكان هذا الولد المسكين يخابط بين أيديهم متلوعا وبعد ذلك رفعه هؤلاء البرابرة القساة والوحوش الضارية على خشبة وطعنوه بسكين فى قلبه حتى سال دمه وبعد أن أنزلوه عن الصليب شقوا أحشاءه ثم طرحوه فى بيركما فعل يهود دمشق بهنرى عبد النور أما شق الإحشاء فلكى ينظرون أن كان كاشير أو طارف وإذا كان دمه يصلح أو لا.....

وكان والد الولد وأمه يفتشان عليه وينشداه فى جميع أحياء المدينة حتى اتصلا بعد أيام قضياها بالعذاب والبكاء والعويل إلى مشاهدة ولدهما بحالة تنفطر لها القلوب وكان وقتئذ فى مدينة لينكولن جان لاكزنتون (**j.lexington**) ناظر الحقانية فى إنكلترا وكان من ذوى الحزم والعزم ومن الذين لا يضحون الحقيقة ولا حقوق الأبرياء على مذابح الطمع ولاعلى موائد مراعاة الخواطر الذميمة كما يفعل الكثيرون ممن إذا علوا المناصب ظنوا بأنفسهم أنهم مسلطون على إجراء كلما منه منفعة ذاتية لهم هلكت حقوق الناس أو حفظت.

فلما علم بوجود جثة الولد أسرع بنفسه لمشاهدتها ولما أن رأى ما رآه من علامات الاستنزاف اتصل بعد الفحص لمعرفة البيت الذى دخل الولد فيه وذلك أن أولادا قرروا بأنهم نظروا رفيقهم هوج يلعب مع أولاد اليهود وأنه دخل وإياهم البيت الفلانى وذهبوا أمام ناظر الحقانية فأوروه ذلك البيت.

فبالحال ألقى القبض على من كانوا فيه ومن جملتهم رب البيت واسمه قوبنيوس فاستحضره وقال له.

" من الواجب أن تقر الحقيقة و إلا فإنك تموت ولا تظن أن الذهب" .

" والفضة ينقذانك من عدالة القانون فإذا نطقت بالحق فإنى أوعدك"

" بالنجاة فأنت الآن متهم بأنك استنزفت دم الولد ماذا تجيب"

فأجاب اليهودى قائلا :

" لابد لنا إتماما لفروض طقسنا من أن نأخذ فى كل سنة دم ولد"

" وجرى ذلك بكل احتراس وبمكان الخفاء أما الولد هوج فعندما دخل"

" بيتنا ومسكناه أرسلت مع رفقاءى علما لكثيرين من يهود المدن "

" والقرى المجاورة فجاؤا لحضور الذبيحة " وقد سمى البعض منهم فقنبض عليهم وتداومت التحقيقات فكان مجموع من تأكد حضروهم الذبيحة واحد وتسعين شخصا منهم ثمانية عشر حكم عليهم بالإعدام وشنقوا فى اليوم الثالث والعشرين من شهر نوفمبر (تشرين ثانى) سنة ١٢٥٥ وأما الباقون فمكثوا فى السجن إلى أن أطلقوا فى شهر ماى سنة ١٢٦٦ ولم تمض بضع سنوات حتى ذبح اليهود سنة ١٢٥٧ ذبحا تلموديا ولدا صغيرا وقد ذكر ذلك كلوقاريوس صفحة ٥٤١ من تأليفه المعنون(**epitome historae**) وذبحوا غيره أيضا فى مدينة ويسمبورج (**wissembourg**)

(ذبيحة بفورزيم سنة ١٢٦١)

فى بفورزيم (**pfortzeim**) من أعمال مقاطعة باد فى جرمانيا قد باعت إحدى العجائز إلى بعض اليهود فتاة لها من العمر ثمان سنوات فأخذوها وكانت هذه الابنة جميلة الصورة بيضاء اللون ذات شعر أشقر وعيون زرقا تلوح على جبتها علائم النقاوة والوداعة حتى كل ما كان ينظر إليها ينشغف قلبه بها. أما اليهود القساة فكانت قلوبهم صخرية ولم يشفقوا على هذه الفتاة بل. ألقوها على سرير الذبح وشدو عنقها شدا عنيفا حتى ما ينقطع صوتها وأسرعوا بتجريحها وتفصيدها فى كل عرق من عروق جسدها إلى أن صفى كل دمها فأخذوه فى اوان ثم طرحوا الجثة بجانب نهر ماء ووضعوا فوقها الحجارة. ولما علم أقارب الابنة بفقدها بادروا للبحث عنها فوجدوا صياد سمك أعملهم بأنه رأى الجثة وعين لهم المكان فذهبوا وتأكدوا بأنها جثة ابنتهم فأسرعوا بإعلام الحاكم بالأمر فجاء بذاته وبعد الفحص والتحرى والتدقيق أقر القتله بجريمتهم فحكم عليهم بالإعدام هم والعجوز التى باعتهم الابنة.

" بولانديست جلد ٢ صفحة ٨٣٨"

(ذبيحة لوندرا ونورزمتون سنة ١٢٧٩)

فى تلك السنة استنزف اليهود ولدين الواحد فى نورزمتون (northampton) من مدن إنكلترا والثانى فى مدينة لوندرا وأذاقوهما عذابات مرة بقصد استعمال دمها فى عيد الفصح. وقد علق الجانون فى أذناب الخيل ثم شنقوا قصاصا عن جناياتهم.

(ذبيحة مايانس سنة ١٢٨٣)

ذكر المؤرخ بارونيوس فى تأليفه لسنة ١٢٨٣ نومره ٦١ عن مشترى اليهود طفل من مرضعته فى مدينه مايانس (mayence) من أعمال ألمانيا واستنزاف دمه لإرواء غليلهم وفقا لاعتقاداتهم



ذبيحة طفل في مونيش
سنة
١٢٨٥

(ذبيحة مونيخ أرمونيش سنة ١٢٨٥)

لقد خطف اليهود فى تلك السنة ولدا من مدينة مونيخ (**munich**) من أعمال فرنسا وبعد أن عروه من ثيابه ثقبوا يديه بالمسامير وطفوا عينيه وفتحوا عروقه وطفقوا يوخزونه بالآت ناخسة فى كل جزء من جسده حتى صار كله مهشما وكأنه جرح واحد. وفى كل ساعات العذاب كانوا يستلقطون الدم وقد علم الشعب بما كان من هذه المذبحة البشرية فهاج هيجانا شديدا حتى كان فى كل أنحاءالمدينة صراخ وعويل ونحيب فتقاطر الناس أفواجا لمشاهدة جثة هذا الولد البرىء المضمخة بالدم فلم يعودوا عند هذا المنظر المريع يحتملون صبرا فهجم الكثيرون على مكان المذبحة وكان داخله نحو من مائة وثمانين يهوديا فألقوا حطبا وزفتا وكبريتا حول المكان وأحرقوا الذين كانوا فيه (باقريا ساكرا جلد٢ صفحة ٣٣١.

وقد ذبحوا ولدا آخر اسمه رودلف فى مدينة برن سنة ١٢٨٦

(ذبيحة أوبروازل سنة ١٢٨٦)

كان فى قرية وأما رايد القريبة من باشاراس أحد مدن بروسيا فتى اسمه فرنهر وكان أبوه توفى فلما تزوجت والدته برجل آخر التزم هذا الشاب وكان له وقتئذ له من العمر أربع عشرة سنة أن يترك قريته ويذهب مفتشا على معاشه فبلغ مدينة أوبر وازل(**oberwezel**) حيث أخذ يشتغل بالفاعل. ففى ذات يوم استدعاه بعض اليهود وطلبوا منه أن ينقل التراب من قبو ولما كان يشتغل هناك قبضوا عليه وأبقوه حتى اليوم السابع عشر من شهر إبريل (نيسان) من سنة ١٢٨٦)

ففى ذلك اليوم ربطوه على عامود من حجر وأدخلوا فى فمه كلة من الرصاص وجاء كثير من اليهود وبدءوا فى تعذيب الفتى فكان بعضهم يقطع له عروق يديه والآخر عروق رجليه والبعض يوخزه بالمسامير وكل نقطة من دمه كانوا يحفظونها فى اوان مخصوصة وكان فى بيت اليهودى خادمة نصرانية فلما اشعرت بالأمر أسرعت حالا فأعلمت حاكم المدينة الذى جاء مع الجنود فدخل بغتة المكان الذى كان اليهود يتممون فيه تلك المذبحة المرعبة فخافوا وأى خوف وقد سقطت من أيديهم آلات العذاب وتبدل سرورهم بالرعبة أما

الفتى فكان على آخر نسمة وقد شاهده الحاكم يتململ والدم يسيل من عروقة وأعضاه تختلج وكان فى تلك الساعة قد أسلم الروح

أما اليهود فلما لم يعد لهم فرار من وجه العدل استعانوا بالمال فدفعوا إلى الحاكم مبالغ وافرة وفازوا بأرواحهم ....

فلاعجب إذا كنا فى كل عصر نرى مثلا من أمثال حاكم أويروازل ولكن اللعنات من كل فم وفى كل صفحة من صفحات التاريخ تتوجه على الذين يبيعون حق دم الأبرياء وتتبعهم حتى إلى عمق قبورهم

أما عظام فرنهر الذبيح فلا زالت حتى الآن فى بروكسل عاصمة بلجيكا مكرمة وهى تذكر فظائع الذبائح التلمودية

(ذبيحة برن سنة ١٢٨٧)

فى برن (berne) من مدن سويسرة خطف اليهود ولدا اسمه رودلف وأخفوه فى مكان سرى فى بيت أحد حاخاماتهم ولما دنا عيد الفصح ذبحوه وأخذوا دمه وبعد إجراء المحاكمة حكم على بعضهم بالإعدام فتخلعت أعضاءهم على الدولاب وحكم على البعض الآخر بالنفى وقد قرر مجلس الشيوخ منع اليهود من السكن داخل مدينة برن وقد تبع هذه الذبائح ذبائح سنة ١٢٨٩ و١٢٩٢و١٢٩٣ وغيرها مما يطول شرحه ففى سنة ١٢٨٩" نقتصر هنا على ذكر الحوادث فقط" استنزف اليهود دم ولد فى صواب من أعمال ألمانيا قديما وسنة ١٢٩٢ ذبحوا ولدا آخر فى كريمس (crems) وكان هذا الولد قد أرسله يهود برن إلى يهود كريمس كرسول فلما بلغ هذه المدينة الأخيرة ألقى يهودها القبض عليه وأخذوا دمه بين أمر العذابات وأشدها فلما حوكموا نال فقيران منهم جزاء الإعدام أما الأغنياء فاشتروا حياتهم بالمال.

وفى سنة ١٢٩٣ أمات اليهود فتى آخر فى نفس مدينة برن.

(ذبيحة ويسنسير سنة ١٣٠٢)

فى مدينة ويسنسير (veissenseer) من صاكسونيا العليا التابعة قديما لبلاد جرمانيا أخذ اليهود ولدا اسمه كونراد ابن أحد الجنود وكان خارجا من المدرسة ومتوجها

إلى بيته وبعد أن استنزفوا دمه بفصد عروقه احتاروا فى كيفية إخفاء جثته فوضعوها ضمن كيس وأخذوا يجولون من مكان لآخر حتى وصلوا بها لكرم بعيد عن المدينة فألقوها هناك فى حفرة وكان مارا بطريق الصدفة بعض العساكر فنظروهم ولما رأوا جثة الولد بحالة تصدع القلوب الصخرية شبت النخوة العسكرية فى عروق هؤلاء الجنود فلم يتركوا واحدا من اليهود أن ينجو من حرابهم حتى أماتوهم عن آخرهم " بارونيوس سنة ١٣٠٢ نمرة ٦٤

(ذبائح سنة ١٣٠٥ و ١٣٢٠ و ١٣٢١)

فى مدينة براج (bragué) من بوهيميا أوستريا صلب اليهود صلبا ولدا كان مستخدما عند أحدهم وأخذوا دمه. أما الشعب فهاج عليهم ولم ينتظر أوامر الحكومة بل اقتص من الجانيين فقتل وسط المعركة كثيرين منهم وكان ذلك فى سنة ١٣٠٥ وفى سنة ١٣٢٠ ذبح اليهود ولدا فى بوى (puy) من أعمال فرنسا .وفى سنة ١٣٢١ استنزفوا أيضا دم فتى من طلبة العلم من مدينة أناسى (annecy) من فرنسا فأجلبت هذه الذبائح عليهم شرورا وأمر الملك فيليب الخامس بنفى اليهود من تلك المدن إلا أن الشريعة التلمودية كانت تزداد قوة فى قلوب اليهود كلما زاد الحكام عليهم قساوة ففى سنة ١٣٣١ قتلوا ولدا فى أوبرلنجن (uberlin gen) من ألمانيا فأذاقهم الأهلون الموت انتقاما دون واسطة الحكومة.

(ذبيحة مونيخ أو مونيش سنة ١٣٤٥)

فى السنة المذكورة أخذ اليهود ولدا صغيرا اسمه هنرى من مدينة موينخ التى سبقت فيها مذبحة سنة ١٢٨٥ وألقوة على طاولة وربطوا يديه ورجليه وسدوا له فمه واحتاطوه من كل جهة وطفقوا أن يعذبوه على صورة لاتفعلها أشد الوحوش الكاسرة فبعد أن اقتعلوا عينية فصدوه فى جملة عروق ونحره أحدهم بسكين حتى القلب وكان الآخرون يوخزونه بالدبابيس حتى سال كل دمه وحملوا جثته فطرحوها خارج المدينة حيث وجدت بهيئة تلين القلوب الصخرية وقد نقل المصورون هذه الحادثة وذكرها مؤرخون عديدون (بافاريا ساكرا جلد ٢ صفحة ٣٥١).

(ذبيحة مسينا سنة ١٣٤٧)

فى مدينة مسينا (messine) من إيطاليا صلب اليهود سرا ولدا وبعد أخذ دمه طرحوه فى بئر فانكشف الستر عن جنايتهم لأن جثة الولد نشلت من البئر فوجدت اليدان مثقوبتين والجنب الواحد مطعونا بسكين فلما بلغ الأمر مسامع الملكة أليساباط دوسيسيليا والدة فريد بريكوس الثالث أمرت بإعدام اليهود القتلة ٠ (بيرى سيسيليا سكرا جلد أول صفحة ٤٤٥".

(ذبيحة هاجنباش سنة ١٣٨٠)

فى مدينة هاجنباش (hagenbach) من الألزاس) ألقى القبض على اليهود بينما كانوا يستنزفون دم ولد قد خطفوه قبل عيد الفصح وكانت الحكومة قد اهتمت بالتفتيش عليه فحكم عليهم حالا بالحريق بالنار (انظر تاريخ صواب تأليف مارتين كروزبوس (martin crus) جلد ٣ جزء خامس.

(**تنبية**):

فى سنة ١٤٠١ فى مدينة دياسنهوفن من أعمال ويرتمبرج ألمانيا (wurlemberg) ألقى القبض على بعض يهود كانوا ابتاعوا طفلا لاستنزاف دمه وأخذت تقريراتهم بحضرة الحاكم فأقر أحدهم بما يأتى

" بحسب اعتقادنا لابد لنا فى كل سبع سنوات من دم ولد"

" نصرانى " وأقر الآخر قائلا : ومشروط بأن يكون عمر الولد أقل من "

" ثلاث عشرة سنة " وقال آخر :أننا نستعمل الدم فى عيد الفصح "

ذكر الأكل آبائنا خروف الفصح فى مصر ونحفظ من هذا الدم يابساون ناعما "

" لأجل استعماله فى الأمور الدينية " بولانديست جلد ٢ صفحة ٨٤٨

فقد جاءت هذه التقريرأت مطابقة لما كتبه ناوفيطوس وهى كانت بنحو ثلاثمائه وثلاث وستين سنة قبل ولادة هذا الحاخام.

وفى سنة ١٤٠١ ذبح اليهود ولدا عمره أربع سنوات وكان ذلك فى مدينة ديسنهوفن ورتمبرج.

فى سنة ١٤٠٧ و ١٤١٠ و ١٤١٣ و١٤٢٠ قتل اليهود أولادا فى مدن مختلفه من ألمانيا وهى ديسنهوفن وكراكوفى وتكونر وليمورج وفى هذه المذابح الأربع قد انتقم الشعب من الجانيين بدون واسطة الحكومة وفى سنة ١٤١٠ طرد اليهود من تورينج لأنهم ابتاعوا ولدا بقصد استنزاف دمه أما بائعة فحكم عليه بالإعدام فأعدم بآلة التخليع أى آلة تخليع الأعضاء.

(ذبيحة رافانسبورج سنة ١٤٢٩)

جاء مدينة رافانسبورج (**bavensbourg**) فتى سويسرانى اسمه لويس بروك لكى يتلقى الدورس فى إحدى مدارس تلك المدينة فكان يتردد على اليهود ويحبهم ففى ذات يوم دعاه بعضهم ليخدم عنده على مائدة الطعام بوليمة أعدها لأصحابه فبأثناء الوليمة قام اثنان من المدعوين هما هارون وانسلم ودعيا الفتى لغرفة ثانية حيث قبض عليه وساعدهما فى استنزاف دمه الحاخام مويز وبعد أن تناولوا دمه حتى آخر نقطة وضعوا جثته فى كيس وطرحوها فى النهر حيث شاهدها أحد أصحاب الفلائك فاعلم الحكومة بها ولما صار إخراجها وأوتى بها إلى المدينة عرف التلامذة رفيقهم لويس وقرر بعضهم عن رؤيتهم إياه داخلا للبيت الذى صار قتله فيه (بولانديست جلد ٣ صفحة ٩٧٨".

(ذبيحة صافون سنة ١٤٥٢)

هذا ما أخبر به أحد اليهود الذى ترك المذهب التلمودى قال أنه فى سنة ١٤٥٢ أخذه أبوه إلى مدينة صافون (**savone**) عند أحد اليهود معارفه وكان فى البيت ستة رجال فحلوفوا اليمين بحفظ سر ما كانوا عتيدين أن يجروه حتى الممات وبعد أن أقسموا اليمين المعظمة على هذه الصورة جاؤا بولد نصرانى بالكاد يبلغ من العمر سنتين فعروه من ثيابة ورفعوه فوق إناء وأربعة منهم تقدموا لإتمام الذبيحة فأحدهم مسك بيد الولد اليمنى والآخر باليد الشمال والثالث رفع له رأسه والرابع أخذ يسد فمه ليمنعه من الصراخ ثم تناولوا مناخس طويلة ومروسة وبدؤا أن يطعنوه فى كل أجزاء جسده وعلى الخصوص جهة القلب فكان الدم يسيل من كافة جروحاته ويسقط فى الإناء

قال الراوى أما أنا فاقشعر بدنى من هذا المنظر المرعب وكدت أن أقع غميانا فرجعت إلى الوراء فلما نظر والدى هذا منى أتى إلى وحلفنى اليمين بأن لا أبيح بسر ما رأيت وبعد ذلك تقدمت فوجدت الصبى قد أسلم الروح فأخذوا جثته وطرحوها فى بئر كان فى البيت ثم عادوا فتناولوا الكثمرى والجوز واللوز وقطعوها قطعا صغيرة وألقوها فوق الدم ثم تناول كل منهم شيئا من ذلك وألزمونى أن أتناول أنا منه أيضا فحصل لى عن ذلك قىء ومكثت يومين لا أتناول بعد ذلك طعاما.

(ذبيحة كاستيل سنة ١٤٥٤)

فى كاستيل من أسبانيا أخذ يهوديان ولدا وشقاه وهو حى وأخذا قلبه ثم بعد دفن جثته توجها بالقلب فاجتمعا فى خلوة مع بعض رفقائهما حيث أحرقوا القلب بالنار ومزجوا رماده بالخمر وشربوه فكان عقابهم على ذلك النفى من مملكة أسبانيا بعد محاكمة طالت أربع سنوات كان اليهود بأثنائها يستعملون كافة الطرق للحصول على تبرئة المتهمين إلا أن العدالة تغلبت فى تلك الحادثة على الدرهم وتنفذ الحكم على المجرمين سنة ١٤٥٩ وأعقبه نفى جميع اليهود من أسبانيا.

(ذبيحة طورو سنة ١٤٥٧)

فى مدينة طورو من أسبانيا أخذاليهود ولدا ولما كانت جارية محاكمة كاستيل وكانوا يخافون العاقبة ارتاوا عدم استنزاف الدم على الطريقة التلمودية فقطعوا للولد ربلة ساقه اليمنى (البطة) وبعد أخذ الدم فروا هاربين إلى مدينة زامورا.

(ذبيحة انسبروج سنة ١٤٦٢)

قد ولد سنة ١٤٥٩ فى قرية مجاورة لمدينة أنسبروج (**inspruk**) من أعمال أو ستريا ولد دعى باسم إندراوس وكان يتردد على مدينة أنسبروج ليتعلم فيها عند عرابه فلما نظره اليهود غلاما جميل الصورة طلبوا إلى عرابه كى يأخذوه ليعلموه عندهم فلما استلمو الغلام أسرعوا بأخذه إلى غابة بعيدة عن المدينة وهنالك طرحوه على صخرة وقطعوا له غرلته ولما كان الغلام يصرخ مستغيثا قبضوا على يديه ورجليه وفتحوا له عروقه حتى سال

دمه إلى آخر نقطة وقد تمت هذه المذبحة فى أواخر سنة ١٤٦٢ إذ كان الولد بلغ عمر الأربع سنوات .

(ذبيحة رين سنة ١٤٦٢)

فى سنة ١٤٥٩ فى ٦ نوفمبر (تشرين تانى) ولد فى قرية رينى توبارخيه من أعمال أوستريا ولد دعاه أبواب باسم اندريا فلما بلغ عمر السنة ونصف توفى أبواه فالتزمت أمه أن تأتى به إلى قرية رين عند عمه وكانت الأرملة تذهب فى كل يوم مطمأنة البال تسعى بشغل لتكتسب منه معاشها ومعاش وحيدها وكان عم الولد صاحب فندق فى المدينة المذكورة وكان يأتيه غالب الأحيان يهود ينزلون فى الفندق المذكور حيث كانوا ينظرون الصبى وكان جميل الصورة جدا فلما علموا بأنه يتيم الأب وجدوا طريقة للحصول عليه فأقنعوا عمه بوجوب تعليم هذا الغلام علما يليق به كى يكون علمه زينة مقابلة لجماله الطبيعى وطلبوا إليه أن يسلمهم الولد أما هو فكان يأبى وأخيرا عرضوا عليه مبلغا وافرا من المال وأكدوا له بأنهم يكونون للصبى بمنزلة والدين فلما نظر الرجل المال مال قلبه نحوه فسلم معهم واتفقوا بأنهم برجوعهم من السوق الذى كانوا متوجهين إليه فى مدينة بوزن يستلمون الولد وكان هذا السوق يفتح فى أواخر شهر يونيو (حزيران) من كل سنة وكانت تلك السنة ١٩٦٢.

ففى بداية شهر يوليه من السنة المذكورة رجع اليهود إلى مدينة رين وجاؤا الفندق فمكثوا به يطالبون صاحبة بوفا عهده وأنتظروا غياب الأم لقضاء مرغوبهم ففى الثانى عشر من الشهر المذكور ذهبت الأم إلى الحقول لتشتغل فى تغمير الحنطة وكررت على حسب عادتها التوصاة لسلفها بالصبى فأوعدها بملاحظته ولما خرجت استدعى اليهود وسلمهم أندريا الصغير ففرحوا جدا وأثنوا على صدق الرجل وقيامه بعهوده ودفعوا إليه مبلغا آخر من النقود وذهبوا بفريستهم إلى مكان بعيد عن المدينة حيث تموا فروضهم التلمودية بأنهم ربطوا الولد وألقوه فوق صخرة وشرعوا يعذبونه بوخز وجنتيه بآلات مسنونة وبتجريحه فى كل جزء من جسده فكان الولد يصرخ ويتوجع وينادى أمه ولكن قساه القلب كانوا يسرعون باستنزاف الدم إلى أن حصلوا عليه فوضعوه فى قنانى مخصوصة وطرحوا جثة الولد مهشمة مضمخة بالدم فى حرش قريب من المكان الذى تمت فيه الذبيحة.

أما الأم فبينما كانت تشتغل فى ذلك اليوم أشعرت باضطراب باطنى غير اعتيادى وكان قلبها يلتهب شوقا لرؤية وحيدها وكانت دموعها عليه ملئ أعينها فما أغربت الشمس حتى أسرعت إلى الفندق وكان أندريا من عادته أن يأتى لملاقاة أمة فرحا فتأخذه بين يديها وتقبله فكانت تنسى كل أتعابها وأحزانها والمشقات ولكن عند وصولها ذلك المساء لم تر ولدها فقلقت وأخذت تناديه عند دخولها بالباب فما من مجيب لنداها ثم جاء عم الولد فأسرعت بسؤاله عن اندريا أما هو فلما نظر هذه الأم اضطرب ولم يعد يتمكن من كتمان ما توقع معه فافتكر بأن يرى الأم الذهب الذى أخذه من اليهود لعلها ترضى بالمال عن ابنها ولكن لما أطلعت هذه الحزينة على ما كان حولت نظرها عن المال واخذت تلطم خدودها وتصرخ باكية متوجعه وخرجت من الفندق ذاهبة كالمجنونة إلى حيث اشير لها عن توجه اليهود بابنها ولا زالت تسأل هذا وذاك إلى أن بلغت الغاب. فسألت بعض الرعاة الذين لما نظروها على تلك الحالة أخذوا بالتفتيش معها وإذا بأحدهم ينادى تعالوا تعالوا ها هو الولد فأسرع باقى الرعاة والأم المسكينة فوجدوا جثة أندريا الصغير بحالة تصدع القلوب الصخرية وكانت علامات الاستنزاف ظاهرة على كلا الوجنتين والصدر واليدين والرجلين ... فكانت ساعة أشد الساعات حزناً وغمامًا على الجميع أما الأم فسقطت بالحال على الأرض مغمياً عليها وقال بعض المؤرخين أنها لم تعد إلى الحياة فدفنت مع ابنها فى قبر واحد. هذه كانت نتائج التعصبات التلمودية.

(ذبيحة سابو لفادا سنة ١٤٦٨)

فى مدينة سابولفادا (Sépulvéda) من كاستيل أخذ اليهود امرأة وإتباعا لأوامر سلمون باشو أحد حاخاماتهم علقوها على صليب وأخذوا دمها فكان عقاب بعض الصالبين فى مدينة صاكوفى(Ségovie) الحريق بالنار والبعض الآخر بالتخليع على الدولاب والبعض الآخر بالشنق.

(ذبيحة ترنت سنة ١٤٧٥)

يوم الخميس فى ٢٣ مارس (آذار) سنة ١٤٧٥ فقد ولد فى مدينة ترنت (Trente) من أعمال أوستريا فقلق أهله لفقده وأخذوا أن يطوفوا أنحاء المدينة للتفتيش عليه وكان اليهود قد خطفوه واستنزفوا دمه ولما علموا بأن الحكومة أخذت تستقصى الأمر

وتبحث عن الولد أخذوا الجثة وطرحوها فى مجرى ماء ثم إنهم خافوا جداً من أن تكشف الحقيقة ففكروا بحيلة وهى أن يوجهوا بعضهم ليعلم الحكومة بوجود الجثة وظنوا أن بذلك يتصلون لمنع الشبهة عنهم إلا أن الأمر اشتهر والحق اتضح كما سيأتى تفصيل ذلك.

(فى كيفية أخذ اليهود للولد)

كان فى مدينة ترنت ثلاث عائلات من اليهود متفقات مع بعضها فالواحدة تدعى بعائلة طوبيا والثانية بعائلة انج والثالثة بعائلة صمويل وكان صمويل وانج من الذين يتعاطون مهنة الربا أما طوبيا فكان طبيباً وكان فى بيت صمويل رجل طاعن بالسن اسمه مويز وكان يعتقد فيه يهود ترنت النبوة ومعرفة التوراة والتلمود والتقليدات وكان هذا الشيخ قد مضى قسما من عمره فى إيطاليا والقسم الآخر فى ألمانيا وفى آخر الأيام جاء مدينة ترنت المذكورة.

وكانت سنة ١٤٧٥ سنة الغفران العام عند اليهود وهى تأتى كل سبع سنوات مرة ففى مثل هذه السنة تحتم التقليدات وتفاسير الآيات التلمودية بوجوب الحصول على دم بشرى مستنزف بالعذابات.

فقبل أن يدنو عيد الفصح عقد اليهود فى ٢١ مارس سنة ١٤٧٥ مجلساً برئاسة مويز الشيخ فى بيت صمويل حيث كان الكنيس ولم يكن فى هذا المجلس إلا الذين يحق لهم الإطلاع على سر الدم.

فقر رأيهم على أن الطبيب طوبيا هو الذى يكلف لاستحضار الولد اللازم لفصحهم وقالوا له بما أنك طبيب ولك مداخلات كثيرة فذا سهل عليك ففى بادىء الأمر رفض طوبيا القيام بهذه المأمورية إلا أن الجماعة تهددوه بالطرد من مجلسهم وبإلقاء غضب الحاخامات عليه وعلى ذريته إذا لم يمتثل ثم عينوا له مبلغاً من النقود.

فخرج طوبيا ليصطاد فريسته وكان يتجول فى الأزقة والشوارع حتى قاربت الشمس الغروب فبينما هو مار فى إحدى الحارات نظر ولدا صغيرا يلعب أمام بوابة بيت وكانت البوابة مغلوقة وأما الولد فكان يبلغ من العمر سنتين ونصف وكان جميل الصورة للغاية واتفق فى ذلك الوقت أن والديه كانا غائبين فتقدم طوبيا إلى الصبى وأخذه بيده مظهرا له بشاشة وأعطاه شيئاً من الحلوى وقطعا من النقود وأسرع به نحو المجمع حيث كان رفقاؤه

بانتظاره وهاهى أسماؤهم مويز الشيخ وولده موهر وحفيده بوناونتورا وصمويل وولده إسرائيل وفيتال وعشى صمويل واسمه أيضا بونا ونتورا.

فلما دخل عليهم طوبيا والولد برفقته وذلك يوم الخميس فى ٢٣ مارس من السنة المذكورة وشاهدوا فريستهم بالسن المطلوب شملهم السرور وقاموا فدخلوا إلى الغرفة السرية التى كانت معدة للذبيحة وكانوا قد جاؤا بكلما يلزم من الآلات والأوانى وبعد أن أدخلوا الولد بينهم أخذ مويزيتلو الصلاة باللغة العبرية والتلمود بيده ثم تناول الولد الذى لما رأى نفسه بين هذه الطغمة أخذ يبكى منادياً أمه إلا أن صمويل أسرع فوضع له فى فمه منديلاً ورفعه على ركبتى مويز الشيخ الذى كان جلس على كرسى عالٍ.

فأول شىء فعله هذا الشيخ هو أن وضع يده على المنديل ليتأكد إذا كان محكم الوضع ليمنع الولد من الصراخ ثم عراه من ثيابه وأخذكماشة ونزع بها قطعة من وجنة الولد ووضعها فى إناء ثم تقدم كل من الحاضرين وكان يأخذ بالكماشة قطعة صغيرة من نفس المكان المجروح.

فليتأمل القارئ بما كان يقاسيه ذلك الغلام البرىء بين أيدى أولئك البرابرة وكيف أنهم كلما لحظوا عليه إمكان الصراخ كانوا يحشرون المنديل فى فمه وبعد أن جعلوا فى وجنتيه جورة كان يسيل الدم منها فيحفظونه بأوان مخصوصة تناول مويز الشيخ سكيناً وطهره ثم أخذ الرجل اليمين ففعلوا فيها كما فعلوا بالوجنتين ولما تزايدت آلام الولد حتى قارب أن يغمى عليه رفعه مويز باليد اليمنى وتناول صمويل يده الشمال وعلى إشارة أحدهما مويز أخذ كل من الحاضرين دبوساً طويلاً وشرعوا يوخزون الولد فى كل جزء من جسده من رأسه حتى أخمص قدميه إلى أن صارت الجروحات مالية كل موضع فيه.

فلا يمكن قط لعقل أن يتصور ولا ليد أن تكتب ولا لمصور أن يصور الحالة التى وجد فيها ذلك البرىء بتمامها ولو كانت الوحوش الضارية حاضرة هذه المذبحة لكانت أخذت الفرار كيلا تنظر أعينها شرًّا نظير هذا.

ولما أسلم الولد الروح بين أشد العذابات وأمرها أخذوا جثته وغسلوها فى إناء مملوء ماء وغسلوا أيديهم ووجوههم بهذا الماء.

(فحص الحادثة)

فى يوم الجمعة ٢٤ مارس تقلد مأمور الحقانية جان دوساليس (Jean de Salis) مأمورية الفحص والتحقيق من قبل الحكومة عن فقد الولد فأخذ ورفقاؤه بالبحث والتنقيب إلى أن اتصلوا لبيت صمويل وطلبوا الدخول إليه فمانع بداءة بدء بقوله أنه لا يجوز أن يدخلوا بيته ويزعجوا أهله فى عيد الفصح واخيرا سلم اضطرارا وأخذيفتح غرف المنزل ولكنه اجتهد بالمكر أن يحول الأفكار عن مكان سرى كانت جثة الولد موضوعة فيه ملفوفة بملابس امرأة ومطروحة فوقها جملة أثواب فلما خرج مأمور الحكومة خاف صمويل من مراجعة الفحص وأمر خادمه بونا ونطوره أن يخفى الجثة فى أحد أقبية البيت وأن يضع فوقها قشًا وكانت التحقيقات متابعة فاجتمع اليهود فى الكنيس للبحث بما يجب استعماله تخلصاً من هذه الورطة أما بونا ونطوره الخادم فلازدياد خوفه لم ينتظر القرار بل توجه سرًا وحمل الجثة فطرحها فى مجرى ماء كما تقدم ثم وقع الإتفاق على أن يعلموا الحكومة بما كان فجاء المأمورون ورفعوا جثة الولد فوجدوا فيها علامات الاستنزاف. فإذ ذاك ألقى القبض على الذين توجهت عليهم الشبهة وأودعوا السجن وبوشر بإجراء التحقيقات.

التقريرات

إن البوداسته حاكم المدينة استحضر بداءة بدء جان دافلترو الذى كان مسجوناً من جملة اليهود المتهمين وبعد إلقاء السؤال عليه أجاب بما يأتى:

من نحو خمسة عشر سنة حاشة دالمانى والدى قال لى. عندما كنت مع عائلتى قاطنا مدينة نزهوت من ألمانيا قد قتل بعض اليهود يوم عيد الفصح غلاما بقصد الحصول على دمه واستعماله فى الفطر فلما بلغ الأمر حاكم المدينة قد أمر بسجن جميع يهود نزهون فبعضهم أخذوا الفرار وكنت أنا من جملتهم وقد صار حريق خمسة وأربعين يهوديا أثناء هذه الحادثة.

سئل جان دافلتروا إذا كان هو قد استعمل الدم أو إذا كان نظر والده أو غيره يستعمله.

أجاب - لا أرى ذاتى مكلفاً للجواب إذا كنت أنا استعلمت الدم أو لم أستعمله أما والدى فكان فى أيام عيد الفصح قبل العشاء السرى وبعده بيومين يأخذ من هذا الدم

ويضع منه فى كاسه مع الخمر ويرش الطاولة من هذا المذبح ويلعن الديانة المسيحية ثم قال وكان اليهود يضعون من هذا الدم فوق الفطير قبل عيد الفصح وبعد ذلك كانوا يأكلون هذا الفطير وأنه لا يعلم غير ذلك بل يعتقد بأن باقى اليهود كانوا يضعون من الدم كما كان يضع منه والده وأنهم يفعلون ذلك تحت طى السر العميق.

ثم صار استجواب بوناونطوره عشى صمويل الذى صار ذبح الولد فى بيته. فأجاب أولاً منكراً وقرر ما قرره غيره من اليهود (بما كانوا اتفقوا على تقريره) بأنه وجد جثة الولد فى القناة التى تأتى بها المياه لبيت معلمه من بيوت الجيران إلا أنه بعد تكرار الفحص والسؤالات عاد فقرر عن الحقيقة كما قرر عنها غيره.

واستحضر إسرائيل ابن صمويل فاصر منكراً ثم بتاريخ ٩ أبريل عاد فقال أطلقوا لى الحرية وأنا أنطق بالحق فأطلقوا حريته فقال:

إنه فى آخر جمعة الفصح أنا ومويز وصمويل وانج وطوبيا وموهر اجتمعنا يوم الخميس منذ الصباح فى الكنيس فى بيت أحدنا صمويل وعند نهاية الصلاة قلنا لبعضنا هل لا يوجد لنا واسطة لعمل خبز الفطير لعيد الفصح العتيد أن يكون الخميس الآتى إذ ما من أحد يوجد عنده دم فقال صمويل والدى يلزمنا أن نتبصر بأخذولد نصرانى واتفقنا كلنا على أن ندفع مائة دوكا (ذهب مجهر) لمن يأتينا بغلام نستنزف دمه وبعد ذلك خرجنا من المجمع (وبعد أن أخبر عن كيفية مسك الولد وأخذ دمه) وفقا لما ذكرناه ولا حاجة لإعادته أعيد إلى السجن ثم تجدد إستجوابه بتاريخ ١٣ أبريل.

س: لماذايستعمل اليهود دم النصرانى.

ج: لأنه كما يقول اليهود إذا لم يوضع هذا الدم فى خبز الفطير فإن الفطير ينتن (وربما يكون هذا النتن محمولاً على كون عدم إتباع التلمود يكون منه نتانة أدبية) فاتخذ الشعب البسيط هذا القول على ظاهره واعتقدوا بنتانة الفطير بدون الدم.

س: ماذا يفيد دم النصرانى .

ج: هو تذكار لما أمر الله به بنى إسرائيل بأن يلطخوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبوح بعيد الفصح عندما كانوا تحت عبودية فرعون.

س: قل لنا بأكثر إيضاح كيف يستعملون الدم.

ج: إننى لا أعرف.

س: ماذا كان يقول اليهود عندما كانوا يستنزفون دم الولد.

ج: كانوا يقولون : هكذا فعلوا بإله النصارى الذى ليس بإله حقيقى سيأتى أناس عظماء مع المسيح الحقيقى راكبين الخيول والجمال فينقذونا من الأسر.

س: كم هى كمية الدم التى أخذت من جروحات الولد.

ج: صفيحة ونصف ثم أضاف على كلامه هذا بأن طوبيا أخذ فى بداية الأمر كل الدم ثم تقرر أن يرسل منه للجماعة (ولم يقل من هم).

س: كيف كان يفعل يهود ترانت قبل الآن للحصول على خبز الفطير ممزوجاً بالدم.

ج: من نحو أربع سنوات نظرت فى يدى والدى كاساً فيه قليل من الدم قال بأن يهوديا ألمانيا أحضر له ذلك ولم يذكر اسمه ثم قال أما من دم سيمون فلم يضعوا فى خبز الفطير لأن اليوم الذى أخذفيه هذا الدم كان خميس الفصح الغير مسموح عمل الفطير فيه ولكنه لا يعلم إذا كان صمويل والده وضع من هذا الدم فى كاسه ورش المائدة فى مساء العشاء السرى كما كان يجرى عادة لأن رب البيت عند اليهود يأخذ قليلاً من الدم ويمزجه بالخمر وقبل العشاء الفصحى يرش منه على المائدة ولدى تكرار السؤال منه عن الذين كانوا حاضرين ذبيحة الولد أجاب معدداً أسماءهم مويز الشيخ وصمويل وموهر بن مويز وبوناونطورا وولده فيتال وبوناونطوره والعشى وطوبيا وانج وإسرائيل.

استجواب المتهمين

(استجواب فيتال فى ١٣ أبريل)

لما صار استحضار فيتال وإلقاء السؤال عليه اصر على الإنكار مطلقاً ولكن الحاكم وضعه فى مكان وأغلق الباب عليه ثم استحضر إسرائيل أمام الباب بدون أن يعلم بوجود فيتال داخلا وصار تكرار سؤاله عن الذين كانوا حاضرين سفك دم الولد فأجاب ذاكراً الأسماء كما مر ثم أعيد إلى السجن وأخرج فيتال وقيل له لقد سمعت بأذنيك إقرار رفيقك فالأوفق أن تقر كيلا تبقى معذباً فحينئذ قال إن حضرة الحاكم سمع من إسرائيل ما جرى وهذا كاف عن التكرار ولم يقل خلاف ذلك ولدى تكرار السؤال منه أجاب فقط بأن

الذى يعلمه هو أن الولد صار ذبحه فى المطبخ ولما استحضر ثانية للاستجواب بتاريخ ١٤ من الشهر نفسه اعتمد على الإفصاح فقال مقراً عن كل أمر وهذا ما سئل عنه وما أجاب به.

س: لأى سبب قصدتم أخذ دم الغلام.

ج: لأجل وضعه فى العجين لعمل الفطير الذى يؤكل فى عيد الفصح.

س: لأى سبب كانوا يوخزون الولد ويجرحونه ولأى سبب يأكل اليهود الدم.

ج: قلت ذلك قبلاً فإنه يلزم لليهود فى كل سنة دم غلام مسيحى لأجل وضعه بالفطير كما علمت ذلك من معلمى يعنى صمويل ومويز الاختيار القاطنين ترنت ومن عمى سلمون القاطن مونزا والذى سكنت عنده ثلاث سنوات وفى عيد الفصح كنت آكل من الفطير الموضوع فيه الدم وكان عمى يقدم لى منه.

س: هل أكلت هذه السنة فطيرا فيه دم مسيحى.

ج: يوم جمعة الفصح عملوا الفطير وقال لى صمويل ومويز بأنهما وضعا فيه دم الولد المذبوح يوم الخميس ولكنى لا أعرف من الذى وضع الدم ربما كان بونا ونطورا عشى صمويل.

س: فى أى يوم صارت الذبيحة وكيف جرى ذلك.

ج: يوم فصح اليهود أعنى خميس الأسرار عند النصارى فى ابتداء الليل وكنت أنا حينئذ فى بيت صمويل فدخلت الأوضه الملاصقة للكنيس وكان هنالك مويز الاختيار وصمويل وولده إسرائيل وموهر ابن مويز وبناونطورا بن موهر ويونا ونطورا العشى وطوبيا فصمويل ربط منديلاً فى عنق الغلام وكان مويز جالسا على بنك واضع هذا الغلام على ركبتيه ثم شد مويز وصمويل المنديل على عنقه لكى يمنعوه من الصراخ وبعد ذلك أخذمويز كماشة كانت معه ونزع بها قليلاً من لحم وجنة الولد اليمنى ثم فعل بمثل ذلك صمويل وطوبيا فتارة كان طوبيا وبيده صفيحة (ماغور) يستلقيا الدم السائل من الجرح وتارة يأخذها موهر والكل أى فيتال وغيره كانت بأيديهم مسلات يوخزون بها الولد وهم يلفظون بعض كلمات عبرية لا أعرف معناها ومن بعد صار نزع جزء من فخذ الغلام الأيمن من الجهة الإنسية واستلقط الدم الذى كان يخرج من هذا الجرح وبعد ذلك أخذصمويل ومويز الولد وهما على البنك وأوقفاه بينهما وكان مويز ماسكا يده اليمنى وصمويل يده اليسرى مبسوطتين وكان طوبيا قابضاً على الرجلين حتى صار الغلام بهيئة مصلوب وحيئنذ أخذنا كلنا أن نوخزه بالمسلات حتى مسات بين العذاب.

س: كيف كانت المسلات التى كنتم تستعملونها.

ج: كانت من نحاس حادة.

س: لماذاوخزتم الولد وجرحتموه هكذا.

ج: جرحناه لأجل مناولة الدم وصلبناه ذكر الصلب الناصرى واستفادة من الدم.

(استجواب صموئيل)

بعد أن صار التفتيش فى منزله واستجوابه وتحليفه اليمين بأن يقر الصحيح بقى مصرا على الإنكار وقال بأنه غير ممكن أن يكون أحد من اليهود قاتلا وأن ولا واحد منهم مذنب وأن الولد الذى وجدوا جثته فى قناية الماء كان غرقاناً وهكذا فإن الغرق سبب موته.

هذا هو جواب اليهود وهذا ما قالوه أيضا بحادثة هنرى عبد النور وحادثة الإسكندرية وغيرها.

وبعد أن أصر صمويل على إنكاره وطلب مرارا للاستجواب قال بأنه يريد أن يعلن الحقيقة وطلب أن يكون ذلك بحضرة الحاكم ورئيس المحافظة فقط وأن يوعداه بأن لا يميتانه إلا بالحريق وليس بغير عذاب فأجيب طلبه فقرر ما يأتى :

منذ سنين عديدة لا أعلم حقيقة بدأيتها قيل لنا أن علماء اليهود وعظماءهم قد عقدوا فى بابل مجلساً وقرروا فيه بأن دم ولد مسيحى هو ضرورى لخلاص نفوس اليهود وأن هذا الدم لا يفيد ما لم يكن دم ولد مسيحى أو غيره بعد تعميده وأن الولد واجب ذبحه وأخذ دمه على الهيئة التى قتل بها يسوع الناصرى الذى يعبده النصارى وأن الولد يلزم بأن يكون له من العمر سبع سنوات ليس أكثر وإذا كان أقل فموافق وأحسن وأما دم الابنة ولو كان لها من العمر سبع سنوات فليس كدم الذكر ولذلك على حسب رأى العلماء الأوفق أن يكون الولد ذكرا لا أنثى أما يهود إيطاليا فلم تكن هذه القوانين عندهم خطًا بل تقليداً غير أن غيرهم من اليهود عندهم ذلك وأما عند يهود الغرب فهذا السر محفوظ عند علمائهم وعظمائهم وشيوخهم وينتقل منهم بالتقليد وليس خطا فبعد أن أتم صمويل مقدمته هذه صار سؤاله ثانية.



الفصح الاسرائيلي ومزج الدم بالفطير والخمر

س: كيف يستعمل اليهود الدم.

ج: إن اليهود يستعلمون الدم فى خبز الفطير على الوجه الآتى وهو أنه فى بيرمون عيد الفصح أى الوقفة عندما يصير عجن الفطير يأخذ رب العائلة من دم المسيحى ويضع منه فى العجينة كمية قليلة أو كثيرة بحسب المتيسر منه لديه فإن لم يضع منه سوى بقدر حبة العدس فهذا يكون كافياً وإذا كان يخشى إفشاء السر من الذين يعجنون الفطير فيضع الدم خفية عنهم.

س: من كان يعجن الفطير عندك فى السنين الغابرة.

ج: الخدامون ولكن لا فرق فى أن يكون العجين معجونا من الرجال أو من النساء وقال فى السنين الماضية لم أكن أؤمن لأحد بل كنت أضع بنفسى الدم سرا غير أنه فى السنة الماضية وضعته بمشاهدة بوناونطورا العشى ثم قال بأن اليهود يستعملون هذا الدم فى الفصح فإن رب البيت يجلس على المائدة بين عائلته ويتناول كاسا فيه خمر ويضع فوقه من الدم ويكون كل واحد من أعضاء العائلة أمامه كأس فيه خمر وفى وسط المائدة يصير وضع ثلاثة أرغفة على صفة كعك من الفطير الموجود فيه فيغمس رب العائلة أصبعه فى كأس الخمر الموجود أمامه ممزوجاً بالدم ويرش على المائدة ويلفظ هذه الكلمات العبرية (دم ايذارديا شينيم خروف داور ايذين بورخ حرب خوس ماسكوس بوهوروس) دلالة على العشر ضربات التى ضرب الله بها المصريين عندما منعوا خروج الشعب الإسرائيلى من مصر.

وعندما يتمم رب العائلة عمله. هذا يقول هكذا نطلب من الله أن يرسل لعناته على جميع أعداء الدين الإسرائيلى ثم يأخذ خبز الفطير ويقسمه على الحاضرين ويشرب الخمر الذى فى كاسه وكل يشرب الخمر الذى فى كاسه أيضا وهكذا ينتهى الفصح ويتكرر العمل فى الليله الثانية.

س: هل يوجد أيام محدودة لأخذ هذا الدم من جسد الولد المسيحى.

ج: يمكن ذبح الولد فى كل وقت غير أن الأفضل لكى يكون القربان أكثر قبولاً أن يكون ذلك فى الأيام القريبة من عيد الفصح.

وقال صمويل لقد علمت بهذه الأمور ليس من الكتب بل تلقيتها عن معلمى داود سبرين الذى توجه إلى بولونيا ولا أعلم إن كان لم يزل حيا أو مات.

ولما تكرر استجواب صمويل بيوم آخر أى ١١ يونيو سنة ١٤٧٥ قال:

إذا لم يمت الولد فى بحر العذابات فالدم الذى يخرج منه لا يفيد شيئاً.

استجواب انج

من جملة تقريرأت هذا الرجل ما يطابق لما قرره رفقاؤه وقد زاد على ذلك بأن الدم اليابس والناعم يستعلمه اليهود فى الختان لأجل برء الجرح وأن الدم لا يفيد ما لم يصر استخراجه من الولد بواسطة التعذيب ولا يوافق استخراج هذا الدم إلا بحال اشتداد الآلام.

سئل كيف كان يتحصل على الدم فى السنين الماضية.

قال: منذ أربع سنوات اشتريت من دم ولد مسيحى بقدر حجم فولة فدفعت ثمنها أربع ليرات ليد رجل اسمه إسحق كان يبيع من هذا الدم.

استجواب طوبيا

لم يتحصل منه زيادة عما تقرر من رفقاه غير إثبات كون فى سنة الغفران عند اليهود لابدلهم من دم جديد وإن الدم القديم المحول إلى شبه رماد لا يفيد وإن الدم المسفوك والمنشف والمنعم يباع من اليهود ضمن أوانى محفوظة مرفوفة بشهادات من الحاخامات توضح حقيقة كون الدم هو حقيقى.

استجواب مويز الاختيار

لما استحضر مويز وعمره ثمانون سنة وسئل أنكر مطلقا الحادثة وأيد إنكاره بالأقسام وأنه واليهود جميعهم أبرياء من هذه التهمة ومن مثلها وأن الشريعة الإلهية تحرم عليها القتل وشرب الدم وأن ذلك يظهر من عدم أكلهم اللحم الذى يبقى فيه نقط دم غير أنه فى ١٠ يونيو (حزيران) عندما تفهم إقرار رفقاه اعتمد على إشهار الحقيقة فقال: إنه يوم الأربعاء ليلة عيد الفصح عند اليهود أنا مويز وصمويل وانج وطوبيا تكلمنا مع بعضنا فى المجمع عن لزومنا لغلام لنأخذ دمه وقد رأينا بأن طوبيا يتكلف بهذا الأمر وأنه يقابل رجلين المائتين اسم الواحد عازر والآخر داود كانا حاضرين بقصد الاتجار ونازلين ضيوفاً عند صمويل فلما تكلم معهما طوبيا رفضا المداخلة بهذا الأمر وبما أن طوبيا كان طبيباً فكان يمكنه التجول فى أى محل وكان والسعى للحصول على الغلام المطلوب وهنا أخذ مويز يقص خبر استنزاف دم الولد كما أخبر عن ذلك رفقاءه ووجد فى تقريره زيادة وهى أن

الولد بقى نصف ساعة فى العذاب الشديد عندما مسكه مويز ورفيقه مصلوباً وكان اليهود يقولون وقتئذ كن متألماً كما كان الناصرى معلقا على الصليب وليحصل هذا العذاب لجميع أعدائنا وكان بعضهم يجاوبون آمين.

س: سئل مويز هل ضرورى لكم دم النصرانى.

ج: نعم أن دم النصرانى ضرورى جدا لكل رب عائلة يوم الفصح ويقدر غناه بقدر لزوم ذلك له والأغنياء يستعملونه بزيادة عن الفقراء المعذورين بعدم حصولهم عليه.

س: كيف يكون دم النصرانى ضروريا وقبل مجيء المسيح لم يكن نصارى فكيف كان يفعل اليهود إذ ذاك.

ج: نعم إن هذا أكيد ولكن وقتئذ بموجب شريعة موسى كان كل رب عائلة مأموراً أن يأخذ كبش غنم أبيض نقيا طاهراً وأن يصبغ باب منزله بدمه فالآن لم يعد ممكناً لليهود اتباع هذا الطقس الذى كان جاريا فى فلسطين فعوضاً عنه يستعملون دم الولد النصرانى وهو بدل من دم كبش الغنم الذى كان رمزا على دم المسيح فدم الولد النقى يؤخذ بدلا من دم الكبش النقى سنداً على شريعة التلمود لا على شريعة موسى.

س: هل من الضرورة حضور جميع اليهود على استنزاف الدم.

ج: كلا وبناء على نصائح العلماء أن البنات والشبان الذين لا يبلغون العمر أكثر من ثلاثة عشر سنة لا يجب أن يعلموا بهذا السر نظراً لخفة أطباعهم. اهـ.

الحكم

فى ١٣ يوليو (تموز) سنة ١٤٧٥ صدر الحكم على طوبيا وإسرائيل ومويز وصمويل وانج وموهر وبوناونطورا والعشى وفيتال فعلى بعضهم بالإعدام وعلى البعض الآخر بالنفى وكان أثناء التحقيقات والمحاكمة وقبل الحكم وبعده يبذل اليهود المال فى سبيل إخفاء الحقيقة وفى سبيل تبرئة المجرمين أو الصفح عنهم إلا أن ذلك العصر لم يكن فيه ولاة يبيعون دم الأبرياء بالمال ويدنسون الشرائع بالغايات السيئة والمقاصد العاطلة فمن المحكوم عليهم اثنان عدما بقطع الرأس أمام الجمهور وطوبيا وبعد تشهيره عرياناً على عربة جلد وعلق على دولاب التخليع وقبل أن تخرج روحه من جسده أحرق بالنار.

أما مويز بعد أن توفى بالسجن علقت جثته بأذناب الخيل وطرحت مأكلاً للوحوش وصمويل وانج ذاقا نفس العذاب الذى عذبا به الطفل فقد نزعت البشرة عنهما بالكماشات وبعد أن القيا على دولاب التخليع أحرقا بالنار.

أما باقى المشتركين بالجناية فكان جزاهم النفى والحجز على أملاكهم وبيعها لحساب الخزينة اهـ.

(ذبيحة بركام سنة ١٤٨٠)

ذكر المؤرخ فلامينوكورناليو (**Flamino cornélio**) مذبحة جرت فى مدينة بركام (**Bergame**) من إيطاليا قال إن ستة من اليهود قبضواعلى الفتى سباستيانوس بورتوبوفلو وأماتوه بالفصد لأجل أخذ دمه ولما ثبتت هذه الجناية أمرت الحكومة بأن يحرق الجانون بالنار وتم ذلك فى اليوم الرابع من شهر يوليه (تموز سنة ١٤٨٠) فى مدينة فنيز فى ساحة سان مارك. أما اليهود الذين أحرقوا فهم ثلاثة سرقة وجاك مويز والرابع شنق نفسه بالسجن والخامس توفى فيه والسادس فر هاربا.

(ذبيحة رأتيزبون سنة ١٤٨٦)

فى مدينة رأتيزبون (**Ratisbonne**) من بافيرا ألمانيا اجتمع سبعة عشر يهوديا وأخذوا ستة أولاد من عائلات شريفة وادخلوهم إلى بيت أحدهم المدعو جوسفل وكان فى هذا البيت مغارة وفيها مذبح قائمة عليه حجر على شبه سكين فى وسط جرن وهناك طفقوا بأن يعذبوا كلا من هؤلاء الغلمان بتقطيع أعضائهم النحيفة على الحجر فكان الدم يسيل إلى الجرن قال المؤرخ رادروس (**Radérus**) إن القضاة الذين تفوض إليهم التحقيق على هذه الحادثة دخلوا بيت اليهودى جوسفل فاكتشفوا على المغارة وعلى المذبح وعلى الحجر والجرن وكانت آثار الدم عليها وفيه. وبأثناء المحاكمة أقر الجانون بجريمتهم وقالوا إنهم فعلوا ذلك إتماما لفرض دينى عليهم وقصدوا أن يرسلوا الدم الذى أحرزوه إلى إخوانهم اليهود الذين لا يمكنهم فى بعض البلاد المقيمين فيها الحصول على مثل هذا الدم وقالوا أيضا أثناء المحاكمة بأن هذا الدم صار تيبيسه ليسحنوه ناعما ويرسلوه إلى الجهات وهذا ما يطابق لأقوال ناوفيطوس.

فمن يتأمل قليلا بما أتاه الحاخامات الأولون بتعاليمهم وأضاليلهم وتعصباتهم من الشرور على البشرية يكاد أن يغيب عن الرشد ولعمرى لو بلغت اللعنات عدد رمال البحر وكانت أثقل من الجبال تصب على مدافن أولئك الكفرة لكانت قليلة جدا مقابلة لما سببوه من الأضرار على الأرض وقاطنيها من مشارقها حتى مغاربها.

أما عقاب من كان من اليهود يرتكب استنزاف الدم فكان غالبا فى تلك الأعصر الحريق بالنار ولما تكررت تلك المذابح المرعبة وكان اليهود لا يتوقفون عنها ولا عن سلب الأموال بواسطة الربا لم تعد الحكومة ترى وجها لوقاية شعبها وماليتها إلا بنفى الأمة اليهودية من أرضها.

فى الاحتيال اليهودى

لما كانت السنة ١٤٨٩ ثقلت على الحكومة الفرنساوية فظائع اليهود وكثرت شرورهم وكان لويس الثانى عشر ملك فرنسا قد جعل الأوامر بنفى اليهود عمومية فى كافة أنحاء المملكة فقام أحد رؤسائهم غامور حاخام مدينة أرل وكتب إلى حاخامات الآستانة العلية يخبرهم عن أحوال اليهود والمضايقات الحاصلة عليهم من الحكومة والأمة ويطلب رأيهم فيما يجب أجراه وهذا تعريب ما أجاب به رؤساء اليهود فى الآستانة.



إخواننا الأعزاء بموسى الكليم

وصل إلينا كتابكم وفيه توضحون لنا الصعوبات والمقاومات التى وجدتم فيها الأمر الذى شق علينا حصوله وأثر فى قلوبنا نفس التأثر الذى عندكم فها هى مشورة عظمائنا وحاخاماتنا وعلماء الشريعة. تقولون لنا بأن ملك فرنسا يطلب بأن تعتنقوا الديانة المسيحية فلبوا طلبه إذ ليس باقتداركم مخالفته ولكن احفظوا على الدوام شريعة موسى فى قلوبكم.

تقولون بأنهم يقصدون الاستيلاء على أموالكم فاجعلوا أبنائكم تجارا فبواسطة التجارة تسترجعون مالكم وتضيفون عليه ما لهم.

تشكون من أنهم يبتغون الأضرار بحياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وبعضهم أصحاب أجزاخانات وهكذا تتمكنون من إعدامهم الحياة دون أن تخشوا العقاب.

تؤكدون لنا بأنهم يهدمون مجامعكم وكنايسكم فابذلوا الجهد لأن يصير أولادكم كهنة وأكليريكيين وهكذا يتسنى لكم أن تهدموا كنائسهم تشكون الظلم والاعتداءات على حقوقكم فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى وأدخلوهم بوظائف الحكومة فبهذه الواسطة تتمكنون من تضعيف قوة النصارى وتمتلكون أراضيهم وتنتقمون منهم.

لا تخالفوا ما نأمركم به وسترون بالامتحان أنكم بعد الذل تنالون المجد والعز.

عن الآستانة فى ٢١ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٤٨٩

الإمضاء

باش حاخام الإسرائيليين

بالقسطنطينية

ذبيحة تيرنو ١٤٩٤

فى تلك السنة أجتمع أثنا عشر يهوديا ويهوديتان فى مدينة تيرنو **(Tyrnau)** من بلاد المجر وأرسلوا إحدى الإمرأتين فخطفت ولداً صغيراً وأتت به حيث اجتماعهم ففصدوه واستنزفوا دمه فلما علم والداه بفقده أخذوا بالتفتيش عليه ولما كانت عادة اليهود استنزاف الدم مقررة فى الأذهان عموما فقد توجهت التهمة على بعضهم وجاءت الجنود

فدخلوا البيوت التى علموا من بعض الإفادات أن الولد أدخل إليها فاتصلوا لمشاهدة آثار الدم حيث صارت المذبحة التلمودية.

فألقى القبض على المتهمين وبعد أخذ تقريرأت الامرأتين أقرتا بالواقعة وأوضحتا ظروفها وأن الجثة قد تقطعت إربا إربا وأشارتا إلى مكان دفنها وصرحتا بأسماء رفقائها فرداً فرداً فعاقبتهم الحكومة بعضهم بالإعدام حرقاً بالنار والبعض الآخر بالنفى (بولانديست جلد ٢ صفحة ٨٣٩).

ذبيحة برسلو سنة ١٤٣٥

فى برسلو (**Berslau**) من مدن بروسيا أخذ اليهود ولدا وبعد أن حفظوه فى محلات سرية يناولونه أفخر المآكل ليسمن ألقوه قرب عيد الفصح فى برميل داخله إبر ومسأمير وأخذوا يحركون البرميل وكان الدم يسيل من جروحاته ويخرج من ثقب فيصب فى إناء مخصوص وعلى هذه الصورة التى لا يمكن لعقل بشرى أن يتصور أشد فظاعة منها مكث هذا البرىء يتعذب حتى خرجت روحه.

وفى سنة ١٥٢٣ ذبح بعض اليهود ثلاثة أطفال فى نفس مدينتى فينا وبيرنج فأوجبت هذه الفظائع نفى اليهود عموماً من بلاد المجر.

ذبيحة سابنفلد سنة ١٥٤٠

فى مدينة سابنفلد (**Sappenfeld**) من مدن ألمانيا خطف بعض اليهود يوم أحد الشعانين ولدا له من العمر ثلاث سنوات ونصف وربطوه على عمود وقطعوه له أطاريف أصابع يديه ورجليه وأبقوه هكذا معلقاً يقاسى أمر العذاب ووضعوا أوان كان الدم يسيل إليها من كافة جروحاته وبعد أن مات رفعوا جثته ودفنوها وباثناء المحاكمة أقروا بأن أخذهم لهذا الدم إنما كان ليستعملوه لشفاء بعض أمراض.

ذبيحة راف سنة ١٥٤٧

فى مدينة راف (**Rave**) من مدن بولونيا قد خطف اليهوديان مويز وإبرام الولد ميشل ابن أحد الخياطين عمره أربع سنوات واستنزفوا دمه بتعذيبه ثلاثة أيام فحكم المجلس

على الجانين بالإعدام فحرقا بالنار ثم صدرت الأوامر بطرد اليهود من مدينة راف وحرم عليهم الدخول إليها والرقاد فيها.

ذبيحة بونيا سنة ١٥٧٤

فى مدينة بونيا (**Punia**) من أعمال بولونيا التى ألحقت إلى الروسيا أخذيوأقيم اليهودى فتاة عمرها سبع سنوات يتيمة من الأب وكان ذلك قرب عيد الفصح وبعد أن ربط يديها ورجليها قطع لها عروقها وتناول الدم فى إناء وبعد أن اكتشفت جنايته ووضع تحت المحاكمة أقر بأنه أخذ هذا الدم لاستعمال دواء.

ذبيحة متز سنة ١٦٦٩

إنه يوم الأربعاء ٢٥ سبتمبر (أيلول) سنة ١٦٦٩ نحو الساعة الواحدة بعد الظهر كانت مانجاوت ويلمن امرأة جول لاموان نجار فى قرية كلاتينى ذاهبة لتستقى الماء من ينبوع بعيد عن البناء نحو مايتى خطوة وكان يتبعها ولدها وله من العمر ثلاث سنوات وعلى راسه طربوش أحمر وشعره أشقر مجهد فلما اقتربا من عين الماء بنحو عشرين خطوة رمى الولد بنفسه على الأرض فعادت والدته لتنشله فقال لها ماما أننى أقوم لنفسى وكان قوله مزحاً وضحكا فتركت الأم وداومت مسيرها مؤكدة بأن ولدها تابع لها فلما بلغت عين الماء ومضى هنيهة من الزمان لحظت بأن ابنها لم يصل إليها فأسرعت بالعود إلى المكان الذى تركته فيه فلم تجده فظنت أنه عاد لوحده إلى البيت وأسرعت لتستعلم من والده وجده وجدته وبما أنهم لم ينظروه قلقوا وخافوا أن يكون الولد قد ضاع فأخذوا بالتفتيش عليه فى جميع أنحاء القرية فلم يجدوه ثم توجهوا إلى نبع الماء ونشدوه فى كل مسيرهم ووقوفهم فما من مجيب لنداهم إلا صدى الجبال فأخذ الأب والأم والأقارب بالبكاء والعويل ثم طرق على فكرهم أن يتبعوا طريق متز فتبعوها وراؤا عليها مسافة مايتى خطوة آثار أقدام الولد ثم أختفى الأثر ولا زالوا تابعين مسيرهم حتى التقوا بخيال آت من جهة متز فسألوه إذا كان رأى ولدا على طريقه فأجابهم بأنه شاهد من بعيد يهوديا راكباً فرساً أزرق وأمامه ولد ربما كان عمره ثلاث أو أربع سنوات وأن اليهودى كان متوجهاً نحو متزواته لما رآه حاد من الطريق بمسافة رمى رصاصه فهم الأب إلى متز وسأل من كانوا عند باب المدينة فأجابه أحدهم المدعو تيبوا رانيوا بأنه نظر اليهودى والولد لكنه لا يعرف إلى أين توجه به وكان

الأب عرف من أحد أهالى قرية هاز بأن اليهودى المذكور اسمه رافائل لافى لأنه التقى به على الطريق وأمامه شىء مغطى بعباة (كان الولد كان نعس فنام على ظهر الفرس). وأنه من عادته الإقامة عند أحد أقاربه المسمى كارمون فأسرع الأب إلى منزل كارمون وسأل فقيل له بأنهم لا يعلمون شيئاً عما يقوله وأن صاحب البيت غائب فعزم على انتظاره ورأى امرأة فقال لها بأنه يفتش على ولده ثم بعد هنيهة جاءت فتاة قادمة من المدينة وكانت قد علمت بالخبر فقالت للامرأة باللغة الألمانية بأنه لا يلزم أن تقولى شيئاً وكان الأب يفهم جيداً باللغة الألمانية فتأكد لديه أن ولده عند رافائل لافى وعزم على استعمال المقتضى.

وكان رافائل لافى المذكور له وقتئذ من العمر ستة وخمسون سنة مربوع القامة شعره أسود مجعد ولحيته سوداء وكان قد سافر فى بلاد الشرق وإيطاليا وألمانيا وهولاندا لخدمة صوالح دينيه وكان مولده فى قريه كسلبنكور وكان منذ بضع سنوات جاء فقطن بولاى.

فلما أنكر هذا اليهودى قام الأب عليه دعوى (قضية) فإذ ذاك تحرك اليهود كعادتهم وأخذوا يتهددون الشهود واتصلوا للحصول على المخابرة مع المتهم فوقعت كتاباته بالأيدى وكانت من جملة الإثباتات ضده وفى إحدى هذه الكتابات المرسولة منه لرئيس مجمع متز هذه العبارات (أن خادمة رئيس السجانين قالت لى بأن اليهودى الذى يأتينى بالطعام قال لها بأنهم ربطوا الولد للمذبحة اهـ. أخبرونى ما هى درجة قضيتى وما هم عليه الشهود اكتبوا لى على أية حالة كانت لكى أحصل على اطمئنان وأرسلوا لى ورق كتابة. أن الهامان جاء اليوم إلى السجن فقال أنه سيبطل كلما تجريه الحكومة ولذلك كونوا متيقظين فى المجالس وأنا أرجو مساعدتى لأجل إخراجى من هذا العذاب وإذا ما أمكنى الرجوع لامرأتى وأولادى فعلى الأقل اجعلونى مطمئن البال من جهة معاشهم فإننى مستعد لقبول الموت كأحد أولاد إسرائيل وأمجد اسم الله القدوس وأطلب أن تتزوج ابنتى باليملة التى هى مخطوبة وأن لا تفارق والدتها وأخواتها. لقد طرحت نفسى فى التهلكة لأجل الجماعة فالله القدير يعيننى ثم إننى طلب أن يصير دفنى دفناً يهودياً و إلا فإننى لا أغفر بذلك إهمالا.

وفى كتاب آخر أرسل للمتهم يوجد ذكر بعض أمور مبهجة عن عوائد اليهود ومرسول فيه قصلة (قشة) من الحنطة لأجل وضعها تحت لسانه يوم الاستجواب والاعتقاد بها أنها تجلب عليه رضاء ورحمة القضاء وهذا تعريب بعض عبارأت الكتاب (إذا لا سمح

الله طلبت للاستجواب فقل ثلاث مرات أنا يهودى يهودى أنا يحيى اليهودى اليهودى الذى يحيى يموت اليهودى اليهودى يموت).

ولما أجتمع اليهود عند أحد عظمائهم قر رأيهم على أن يتخذوا الحيلة التى اتخذها أبناء يعقوب عند بيعهم لأخيهم يوسف وأشاعوا الخبر بين الولد الواقع التفتيش عليه قد افترسته الذئاب فلإتمام الحيلة قد أخذوا قسما من جثة الولد الرقبة مع بعض الضلوع وطرحوها فى حرش يبعد نصف ميل عن قرية كلاتينى ولأجل سهولة اكتشافه طرحوه قميص على عليقة تعلو ثلاثة أمتار عن سطح الأرض ثم أنهم اوعزوا إلى جملة من الأهالى بأن يتوجهوا نواحى الحرش حتى إذا وجدوا آثار الولد المحكى عنه يدفعون لهم إكراما مبالغ وافره.

وهكذا كان فإنه فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٦٦٩ قد وجد بعض الرعاة رأس الولد وقسما من الرقبة والأضلع فى الحرش المحرر ووجدوا معها فسطانين صغيرين الواحد ضمن الآخر وجورب صوف وقبعة حمراء وقميصاً صغيرا منشورا على عليقة ولم يكن قط آثار دم على جميع هذه الألبسة.

فلما بلغ الخبر إلى الحكومة أرسلت قاضى كشف مع والد الولد وصار عمل تقرير توضح به عن مكان موجود رأس الولد ورقبته وأضلعه وأثوابه التى عرفها الأب بأنها هى نفس الأثواب التى كان ولده لابسها يوم فقده أما هيئة الولد فلم تعد معروفة لأنها كانت متغيرة بالكلية ثم صار استنطاق الرعاة ففروا طبق ما ورد أعلاه عن وجود بعض أعضاء الجثة والأثواب ثم أن أحدهم أردف شهادته قائلاً ليس من الممكن أن تكون الذياب هى القاتلة الولد لأنه عدا عن كون الأثواب غير ممزقة ولا آثار دم عليها فانه أى الراعى لحظ دائماً بأن الذياب عندما كانت تخطف الغنم أو حيواناً آخر فأول ما كانت تأكله الرأس.

فهذه الحيلة التى كان ممكناً نجاحها فى بلاد كبلاد النمسا والمجر حيث اقتدار اليهود لم تنجح وقتئذ فى فرنسا حيث كانت المجالس مطلقة التصرف تقضى بالعدل وبحرية الضمير بدون أدنى خضوع لنفوذ أحد وقد قرر البعض الآخر بأنهم كانوا قبل وجود آثار الجثة نظروا جدعون لا فى داخلا فى الحرش وعلى ظهره قفة وقرر آخر بأن جدعون المذكور أشار إليه بأنه يذهب إلى المكان نفسه الذى عينه له وأنه يجد هناك آثار الولد.

فألقى جدعون لافى فى السجن وبوشر بإتمام التحقيقات حيث ثبت بالبينات المزكاة وبالقرابين القاطعة وبالإثباتات العقلية ارتكاب تلك الجناية الفظيعة على ولد صغير السن فحكم على رافائل لا فى أن يحرق بالنار حيا وصار إجراء إيجاب الحكم فى ١٧ يناير (ك٢) سنة ١٦٧٠ .

وبما أن رافائل لا فى قد احتمل الآلام حبا بالشعب اليهودى كما قال فقد لاحظه اليهود شهيداً وبعد موته سموه حاخاما وقادوش أما جدعون لافى فحكم عليه بالنفى.

(ذبيحة بير سنة ١٧٩١)

أنه فى اليوم الواحد والعشرين من شهر فبراير (شباط سنة ١٧٦١) وجدت جثة فتى يبلغ من العمر الثلاثة عشر سنة مطروحة فى حفرة بالقرب من قرية طاسناد (Tasnad) من أعمال اوستريا والمجر ولدى الفحص علم بأنها جثة المدعو أندريا طقال وكان هذا الفتى ابن أرملة فكان يأتى فى كل ليلة فيرقد فى فندق مختص برجل يهودى يدعى إبراهيم فلما علمت الحكومة بالأمر القت القبض على صاحب الفندق وعلى امرأته وبذلت الجد والجهد للاكتشاف على سر المسئلة فكان كلا المقبوض عليهما ينكران إلا أن الحاكم استحضر ابن اليهودى وكان له وقتئذ من العمر خمس سنوات وهاك ما قرر عنه هذا الغلام.

إنه فى إحدى الليالى جاء والدى مع رجل آخر اسمه يعقوب وكان معهما رولير حاخام القرية وكان أندريا رفيقى راقداً فى فرشته فمسكوه ونزعوا عند القميص وسدوا له فمه ويعقوب ربط له رجليه ووخزه بسكين فى عنقه ووالدى أخذماغورا ووضع الدم فيه.

فلما نظرت ذلك خفت وقلت لأمى (يا أمى لا تقتلوا رفيقى أندريا فقالت لى الولد الذى ذبحوه ليس أندريا بل الشيطان فنم يا ولدى ولا تنظر ولا تقل لأحد.

فأنا وعدت أمى بأن لا أتكلم.

وهذا ما سأله عنه القضاة

س: من ذبح أندريا.

ج: يعقوب.

س: وبماذا سدوا فم أندريا.

ج: أخذوا التراب من تحت السرير وسدوا له فمه.

س: ماذا كانوا يفعلون عند ذبحه.

ج: كان الحاخام يرتل لحناً فى كتاب كان بيده ووالدى ويعقوب يردان عليه.

س: ماذا عملوا بالدم.

ج: ما عرفت بل الحاخام أخذ هذا الدم.

فلماذا اتضحت الحقيقة وتمكن القضاة من إثبات الأمر من جوابات القتلة وتقريرات امرأة إبراهيم حكموا عليهم بالإعدام إلا أن جوزف الثانى إمبراطور النمسا صفح عنهم لعلة معلومة...

(ذبيحة لونكاز سنة ١٨٨١)

فى لونكاز من أعمال كاليسيا من بلاد النمسا استنزف اليهود فتاة اسمها فرنسيسكا وبعد إجراء التحقيقات حكمت محكمة الجزاء على القتلة مويز ريتر وامرأته استير ورفيقهما سوسكى بالإعدام وكان ذلك فى سنة ١٨٨٢ ثم نقض هذا الحكم المجلس الأعلى بعلة عدم اتباع أصول المحاكمات ورد الدعوى لمحكمة كراكر وهذه المحكمة حكمت ثانية على المجرمين بالإعدام أيضا.

(ذبيحة تيتزا أزلر سنة ١٨٨٢)

فى أول نيسان أبريل من السنة المذكورة وهو سبت الفصح عند اليهود فقد من قرية تدعى يوفالو مجاورة لمدينة تيتزازلر فتاة لها من العمر أربعة عشر سنة اسمها استير صوليموزى كانت هذه الصبية خادمة فى بيت رجل اسمه هورى قاطن قرية مجاورة للمدينة المذكورة فى ذلك اليوم أى أول نيسان أرسلتها سيدتها إلى يوفالو قريتها كى تستحضر لها بعض حاجات وكانت طريق الصبية بالقرب من مجمع اليهود الكائن فى مدينة تيتزازلر فمضى يوم ومضى آخر فلم ترجع الأمر الذى أقلق أفكار معلمها ومعلمتها فأخذا مع أهلها بالفحص والبحث عنها فما من خبر وإذا بأحد الأولاد يقول بأن رفيقه صمويل شريف أخبره وأخبر باقى الأولاد بأنه سمع أخاه موريس يخبر فى البيت أهله عن نظره صبية ذبحها الحاخامات فى المجمع وأنه شاهد ذلك من ثقب الباب فلما شاع هذا الخبر وعلمت به

الحكومة بادرت للحال بإلقاء القبض على موريس الشاب وكان له من العمر سبعة عشرة سنة وأخذ تحت الاستجواب فقال يوما إننى أرغب أن أفصح الحقيقة كما هى على أننى أخاف أن اليهود يقتلوني ووالدى أيضا يكون معهم.

وكانت الحكومة سلمت فحص الحادثة إلى مأمور اسمه مليخوريوت أما هذا الرجل فكان مديوناً لجملة من اليهود ولكى يتصلوا إلى استمالته عرضوا عليه عمل اتفاقية على كافة ديونه بشرط مساعدتهم على إخفاء حادثة قتل الفتاة ولما كان هذا الرجل من جملة الذين يبيعون دينهم بدنياهم وشرفهم وذمتهم بالذهب والفضة ارتضى بذلك غير أنه لاخفى إلا ويظهر ولا مكتوم إلا ويعلم ويعلن فلم تمض بضعة أيام حتى اشتهر أمر الاتفاقية واتصل إلى مسامع الحكومة فخاف المأمور جدا من صرامة القانون وأسرع فأنتحر وكان ذلك فى شهر يونيو (حزيران سنة ١٨٨٢) فأقيم جوزف بادى قاضيا للتحقيق فأسرع بإجراء وظيفته بهمة ونشاط فاستحضر موريس المذكور وسئل فأجاب بما يأتى :

فى أول أبريل سنة ١٨٨٢ كان ذهب ليقفل باب المجمع عند خروج الشعب منه غير أن المضحين صالمون سوارس وإبراهام بوكسهوم ولوبولد برون ومعهم هرمان ولنر أفهموه بأن يترك الباب مفتوحا لأنهم لم ينتهوا من إتمام العبادة فتركهم ورجع إلى بيته وبعد قليل قال له والده وهو فى الشباك بأن ينزل إلى الطريق ويقول إلى الابنة استير صو ليموزى لكى ترفع الشماعدين من على طاولة السبت وكانت إذ ذاك الفتاة راجعة بسرعة من يوفالو وكان نحو الظهر فلبت استير طلب الشاب ودخلت بيت شرف وتمت الخدمة التى أشاروا إليها بأن تفعلها (لأن اليهود لم يكونوا يفعلوا خدمة يوم السبت) ثم لما انتهت من عملها جاء هرمان ولنر وقال لها أن تتبعه إلى المجمع لكى تأخذله بعض حاجات فتبعته ودخلت المجمع ولم تمض بضعة دقائق حتى سمع موريس صراخا صادرا من الداخل واستغاثة فركض نحو المجمع فوجد بابه مقفولاً من الداخل فوضع عينه على ثقب القفل فوجد استير بالقميص فقط وهى عريانة حتى الوسط ومطروحة فى الأرض وفى فمها منديل وكان إبراهام بوكسهوم ولم بولد قابضين عليها وكان الحاخام سلمون ينحرها فى عنقها ونظر أيضا برون وولنر ينهضانها بينما كان الرأس مقبوضاً ليمنع من الحركة وصالمون سوارس يلتقط الدم باناء من فخار أحمر وبعد ذلك صبوا هذا الدم فى إناء كبير ولما أتم الحاضرون العمل ألبسوا الجثة

أثوابها وفيما هم على هذه الحال أسرع موريس فأخبر والدته التى أوصته بأن يحفظ السر عما رآه.

(تقرير أرملة إتيان لانجيل)

أنه فى أول أبريل سنة ١٨٨٢ بعد الظهر بقليل سمعت المرأة من بيتها المجاور للمجمع صوتين أو ثلاثة استغاثة ثم انقطع الصوت وقررت الأرملة فاكنة وجوزف باب وجوزف ارموفيك بأنهم عندما كانوا مارين فى ذات اليوم والساعة من أمام المجمع سمعوا صراخاً وبكاء ثم نظروا يهوديين فى الخارج كأنهما كانا يراقبان.

فلما رأى اليهود ما رأوه عقدوا مجمعاً ورفعوا عريضة فى ١١ يونيو سنة ١٨٨٢ إلى رئيس مجلس النظار يقولون فيه بأن كثيرين من اليهود قد اتحدوا بأن يدفعوا مبلغاً وافراً لمن يأتى بما داموازل صوليموزى حية أو ميتة أمام مجلس الجزاء فى نيراغى حازه وأنه إذا جاءت استير صوليموزى من تلقاء نفسها يدفعون لها خمسة آلاف فيورينى.



فقبل اليوم الأخير من شهر يونيو تقدم نحو ستة عشرة فتاة ادعين أنهن استير صوليموزى على أن جميع هذه الحيل والدسائس لم تجد نفعاً لأنه هاك ما ثبت بأإثناء الفحص. بعد إتمام استنزاف الدم صار نقل الجثة إلى بيت الحاخام سلمون سوارس ويوم

الخميس الذى بعد ذلك نقلت بعربة اليهودى هيتسلت إلى تيزا زاده وصار طرحها فى غاب تيس وفى الليل صار دفنها على شاطئ الغاب وبعدكم يوم صار نقلها من القبر إلى قبر آخر فى نيراغى حازه وبعدكم يوم صار نقلها إلى فاغى كالوا ومن هناك لم يعد يعرف أين أخذت لأن القبور وجدت فارغة.

فماذا فعل اليهود بعد ذلك أنهم أخذوا أثواب استير المنكودة الحظ وألبسوها إلى جثة امرأة كانت توفيت منذ عهد قريب بداء السل واحملوها فطرحوها فى النهر عند غاب تيس فلما شاع الخبر أرسلت الأطباء للكشف فثبت من التقريرأت العديدة بأن الأثواب هى نفس أثواب استير التى كانت عليها يوم فقدها أما الجثة فلم تكن جثتها مطلقاً وقد استحضرت والدة استير وشقيقتها وأقاربها وعددهم أربعة عشر شخصاً فأكدوا بأن الجثة لم تكن جثة استير وثبت بأن هذه الجثة التى وجدت فى ١٨ تموز يوليو سنة ١٨٨٥ لم تكن قط جثة صبية فاقدة الحياة من بداية أبريل بل بالتشريح ثبت موتها طبيعيًا بداء السل وإن هذا الموت حصل من بضعة أيام.

وبعد هذا الإثبات تأكد وثبت من تقرير جانكل سيميولوفيك بأنه حضر عقد مجمع فى اسزنى (**Eszeny**) حيث دارت المخابرة بين اليهود على إيجاد واسطة يتمكنون بها من تكذيب حادثة استير وفى ذلك الوقت كان يوجد فى اسبتالية وماروس إحدى المومسات ولها من العمر عشرون سنة اسمها فلوره غرفيل فماتت فاتفق الرأى على أخذجثتها وإلباسها حلة استير وطرحها فى نهر تيس بنوع أن تعوم على وجه الماء ويصير إثبات كونها هى جثة استير وهكذا تسقط كل دعوى وتتكذب جميع التقريرأت التى حصلت وهكذا صار وقد أثبت داود هرسخو نفس تقرير جانكل ثم قرر البحرى ما يبنى عن حقيقة الحال وأن اليهود أوعدوه بدفع مبالغ وافرة إذا ساعدهم على العمل دون أن يفشى السر.

ثم اتصلت الحكومة لمعرفة الذين سرقوا جثة المومسة فلوره غرفيل والذين ألبسوها أثواب استير فكل هذه الاحتيالات تبددت تجاه شمس عدالة الحكومة المجرية.

أن اليهود عرضوا على والدة استير لكونها فقيرة خمسة آلاف فيورينى إذا صادقت يكون الجثة التى وجدت فى نهر تيس هى جثة ولدها استير وقد عرضت امرأة لاون كروسبر سبعمائة فيورينى على امرأة اندرواس جوهاس وخمسة آلاف فيورينى على جوليا

صاكسولاذاى إذا حلفنا أمام الحكومة بأن الجثة التى صار نشلها من مياه تيس هى جثة الفتاة استير صوليموزى.

ثم لحظ قاضى التحقيق بأن اليهود قصدوا سرقة محضر الدعوى فأخذ عنه نسخة ثانية مصدقة قانونا فلما لم يبق من مجال لاخفا شمس الحقيقة ارتأى اليهود أن يخففوا الجرم وهاك ما كتبته جريدة الغازات اونيفير سال فى فيانا.

إنه فى اليوم الذى فقدت فيه ماداموازل استير صوليموزى مرت أمام بيت المضحى وشتمته فاغتاظ هذا الرجل المعروف بحدة طبعه وضرب الصبية على رأسها ضربة قوية فسقطت على الأرض فركض المضحى عند الحاخام ليأخذ نصائحه فقال له هذا افصد الصبية تعود حياتها إليها لأنه أغمى عليها فنقلوها إلى المجمع حيث أراد الحاخام نفسه أن يفصدها فنحرها ولكنه لم يحصل على نتيجة لأن الصبية كانت قد فقدت الحياة فمن جراء هذه الحادثة افتكروا بإخفاء الجثة وهكذا كان.

فيلزم أن يكون على بصر إنسان غشاوة كالغيمة السوداء كيلا ينظر إلى هذه الوسائط المكرية ويبصر الحقيقة رغماً عن كل اجتهاد اليهود لوجود غطا يستروها به.

فلما أن تمت التحقيقات البداية قدم قاضى التحقيق الخلاصة وهذا تعريبها.

أن الفتاة استير صمويلموزى التى لها من العمر ١٤ سنة ابنة أرملة إتيان صوليموزى فقدت فى أول أبريل الماضى من مدينة تيتزالزلر بدون أن يصير التوصل لمعرفة محل وجودها فمن حديث أحكاه الولد صمويل ابن جوزف شرف وعمره ست سنوات مع رفقائه من عمره ومن هيئة وارتباك سلمون سوارس أحد المضحيين للطائفة الإسرائيلية وقعت الشبهة بكون استير صوليموزى ربما ذهبت فريسة جناية ما .

فبوشر للحال بإجراء التحقيقات حيثما تبين ما يأتى :

أن المضحيين سلمون سوارس وأدولف جنحر ولو بولد برون وإبراهيم بوكسهوم اتهموا بناء على شهادات الشهود المزكاة وإقرارهم الثابت والذى جاء مطابقاً لواقعة الحال بقتلهم استير المذكور والحاصل من هذه التقريرات ومن الاستعلامات بأن المذكورين اجتمعوا فى جامع تينزالزلر فى ليلة ٣١ مارس (آذار) وفى صباح أول أبريل (نيسان) لانتخاب

مضحيين وإتمام فروض طقسهم وهناك قتلوا الفتاة استير صوليموزى وذلك بأنهم نحروها فى عنقها بالسكينة المعدة للضحايا وأن الفتاة صار إدخالها إلى المجمع بواسطة الخداع.

وتحصل من استجواب جوزف شرف وامرأته لينا وادولف جنجر وإبراهيم برون وصمويل لوستيج ولازار وإلياس ونيستين وثبت بالتقريرات والبينات بأن المرقومين علموا بنوايا المتهمين المنوه بهم أعلاه وعزمهم على قتل الفتاة استير صوليموزى وأن جوزف شرف ورفقاه قد اشتركوا بالجرم سواء كان بمساعدتهم عليه رأساً أو بالمراقبة حين إتمام الجناية.

فمن حيث أن المتهمين بالدرجة الأولى المذكورة اسماؤهم أعلاه قد ارتبكوا بتقريرأتهم وادعوا بعدم وجودهم حين الجناية وقالوا أنهم كانوا غائبين عن المدينة وقد اتضح الخلاف فكان ادعاهم مما يزيد إثبات التهمة الموجهة عليهم.

وحيث أن كلما جرى من المتهمين أثناء التحقيقات كان موجهاً لإخفاء الحقيقة وغش الحكومة وحيث أنه ثبتت سرقة جثة امرأة وألبست أثواب استير سوليموزى التى كانت عليها يوم فقدها وطرحت تلك الجثة فى نهر تيس.

وحيث اتضح بأن التحقيقات أخذت سلوكاً عادلاً رغما عن كافة الوسائط التى كان يستعملها المساعدون للمتهمين.

بناء عليه نأمر بإرسال المتهمين أمام المحكمة الجزئية لإجراء محاكمتهم بموجب القانون.

أعطى فى نيراغى حازه فى ٢٩ يوليو سنة ١٨٨٢ .

الإمضاء

جوزف دويارى

فحول ناظر عدلية المجر الدعوى إلى محكمة بيراغى حازه وأمر بإرسال المتهمين أمامها وكان عددهم خمسة عشر (عدا عن موريس شرف) منهم أربعة متهمون بالقتل وستة مشتركون به وخمسة اجتهدوا بإيقاف العدالة عن مجراها القانونى باستعمال جملة وسائط لهذه الغاية.

أما الشهود فكان عددهم خمسة عشر وجورنال التحقيق بلغ سبعة وعشرين كراساً.

فأقام المتهمون خمسة محامين عنهم وكان بينهم ثلاثة يهود وكان اليهود قد قرروا جمع ثمانين ألف فيورينى لإنفاقها فى هذه الحادثة وهذه القيمة تعادل مئتى ألف فرنكا.

وأما المحكمة فكانت مشكلة من رئيس وهو الموسيوكورنيس ومن عضوين هما ردسى وكريدين النائب العمومى.

فصارت تلاوة أوراق الادعانامة وقام النائب العمومى فلفظ الخطبة الآتية:

"أن المحكمة الموقرة مشعرة بوقوع جناية فظيعة ولكن ما هى يا ترى أسباب وقوعها هل هى أسباب دينية فقد أختلفت الآراء وتعددت الأقوال بمسألة كون اليهود يستعلمون الدم فى خبز الفطير.

فالآن جاء الزمان الذى فيه يمكن التوصل لكشف الحجاب عن الحقيقة ونحن لا نطلب سواها وأن تكون الأحكام منزهة عن كل تعصبات مذهبية وجنسية وأن يعاقب المجرمون ويتبرأ الأبرياء .

حينئذ استدعى حضرة الرئيس الأرملة صوليموزى والدة استير فقررت بكل جرء ورزانة ما هو مذكور بأوراق القضية ثم ختمت تقريرها بالعبارأت الآتية:

أيها السادات قضاة المحكمة إن شعائر قلبى ذاتها تدلنى على أن هؤلاء اليهود الجالسين على بنك الاتهام هم القاتلون ابنتى. فقد جاء الكثيرون من اليهود يعرضون على الدراهم العديدة لكننى رفضتها ورزلتها ولم أتمكن قط من تسكيت صراخ قلبى الحزين.

استدعى موريس شرف وكان له وقتئذ من العمر ثمانية عشر سنة ولدى سؤاله من طرف الرئاسة أجاب طبقاً لما كان قرره فى محضر الدعوى رغما عما كان يلحظ عليه من التهديدات بأعين المتهمين.

ثم طلب أحدهم بوكسهم أن يصير سؤال موريس عن السكين الذى يدعى بكون الفتاة ذبحت بها فأجاب حادقا نظره فى بوكسهم : كان بيدك سكين الضحية المعلومة.

ثم طلب سلمون سوارس أن يصير سؤاله عن كيفية ذبح الفتاة وعمن ذبحها. فالتفت موريس إليه وقال له أنت نفسك ذبحتها.

ثم تأجلت الجلسة وتبعها غيرها فتأجلت وهكذا تكررت الجلسات إلى الثلاثين.

فاذ ذاك أخذ اليهود أن يستعملوا ما لديهم من الوسائط الفعالة لتوقيف سريان القضية أو للتوصل باية حالة كانت إلى تبرية المتهمين فقد اشاعوا بواسطة جرائدهم أن هذه القضية لابد أن يتولد عنها ارتباكات سياسية مهمة وقد وضعوا أفكار وزير العدلية ضمن دائرة الارتباك ثم أخذوا يبذلون الدرهم الوضاح وقد افادت الجرائد اليهودية نفسها بأن روتشيلد تهدد الكونت زيارى وزير مالية المجر بإنه سيقطع امنية الحكومة المجرية وينزل أوراقها المالية إذا تأخر هذا الوزير عن قطع حادثة تيتزارلز.

هكذا دارت الدوائر وقلب الذهب عرش السلطة ومركز العدالة حتى اصبح المدعى العمومى كمحام عن الجانيين إذ قال فى جلس ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٣ .

أننى معتقد بأننا تجاه غلطة مهولة .. وانننى موقن بأن الخمسة عشر شخصاً المتهمين ينالون برائتهم ولذلك أطلب تبرئة ساحتهم من التهمة ومن جميع غوائلها.

فسرى هذا الخطاب بالبرق لجميع اليهود ومقابلة لذلك قد ارتفعت الاسهم المجرية بيوم واحد من ٤٩١ إلى ٤٩٥ .

فليتأمل المنصفون وليتأمل العاقلون. ولما كان القصد الوصول إلى تبرئة ساحة المتهمين كان على القضاة إيجاد الواسطة لجعل ذلك بقالب يظهر على الأقل للشعب الساذج بأنه بصورة عادلة.

وهكذا كان فإن الشهادة المهمة بالقضية كانت شهادة موريس فإذا صار إبطالها يهون إبطال الباقى وبما أن موريس لم يك بالغاً من العمر وقتئذ إلا ثمانية عشرة سنة فاعتبره القضاة غير بالغ وأن شهادته لا يبنى عليها حكم صحيح وبناء عليه قد حكم القضاة بتبرئة ساحة المتهمين.

هكذا هكذا تكون الأحكام هكذا هكذا تراعى الحقوق و إلا فلا يا أيها الوزير الخطير لم ترد استجلاب الوبال على أمتك ففديتها بدم فتاة سمحت به لليهود. وأنتم يا قضاة الشريعة اتبعتم أوامر رئيسكم فبحثتم وجعلتم بأحكامكم الليل نهارا والنهار ليلا لقد بعتم دينكم بدنياكم وطرحتم الخفا عن الحقيقة المشهورة لقد حكمتم ببراءة ساحة المتهمين ولكن هل أمكن لكم تكذيب من شهدوا ومن أعلنوا بأن استير صوليموزى المنكودة الحظ قد ذبحها المضحون اليهود وأخذوا دمها لإتمام طقسهم وهل عاد بالإمكان أن تمحى من الأذهان ذكرى هذه الحادثة المرعبة التى جاءت ما قبلها وما بعدها حوادث شتى تؤيدها.

وقعت السياسة المجرية وماليتها فى وهدة من الارتباك وشرط لإنقاذها منها محو حادثة تيتزازلر فلم يمكن الإجراء بها إلا كما جرى على أن العدل الإلهى لا تخفى عليه مظالم الحكام ولا ذنوب القضاة ولابد من يوم ينكشف به الغطا عن المكنون والمستور فما من ظالم يرقد مطمأن البال وما من غامض الطرف عن واجباته إتباع خطة العدل يعيش بالمسرات فما أحسن الذين يضحون أنفسهم حبا بخدمة الحقيقة وما أكره الذين يضحون الحقيقة على مذابح الطمع حبا بالدرهم ومن يضحون دما العباد وحقوقها على مذابح الاستبداد..

(حادثة سنة ١٨٨٨)

فى ٢١ يونيو من السنة المذكورة احتال أحد المرشحين لأن يكون حاخاما فى مدينة برسلو من أعمال بروسيا على ولد صغير له من العمر ثمان سنوات فأخذه لبيته وعراه من أثوابه وجرحه أسفل البطن فأخذمنه بقدر كأس من الدم ثم تركه وقد علمت الحقيقة وأخذالمترشح واسمه برنستين وكان له من العمر حينئذ خمسة وعشرين سنة تحت المحاكمة فحكمت عليه محكمة برسلو بهيئتها المركبة من ثلاثة قضاة منهم اثنين من اليهود بسجن ثلاثة أشهر وما جاءت سنة ١٨٩٠ حتى تمت فيها ذبيحة من أعظم الذبائح التلمودية وهى ذبيحة هنرى. عبدالنور التى أحميت ذكر ما سبقها من الذبائح وقد مرت عليها السنة وبعض الأشهر على أن صوت هذا البرىء ما زال يصرخ طالباً الانتقام لدى العدل الإلهى الذى لا توقفه الوسائط المالية فإن لم تظهر نيران غضبه ورجزه على سافكى دم البرىء فى هذا الجيل فإنها ستظهر فى الأجيال الآتية (لأن الابا يأكلون الحصرم و الأبناء يضرسون)

(ذبيحة كورفو سنة ١٨٩١)

علم الجميع ما كان من الهيجان الذى حصل مؤخراً فى جزيرة كورفو من بلاد اليونان وقد نقلت التلغرافات المنبئة بحدوثه الجرائد الأوروباوية والعربية إلا أن بعضها ذكرت الأسباب ولم تسهب العبارة فيها والبعض الآخرى ألقت على الحقيقة ستارا فلم نتمكن من الوصول إليها حتى اضطرنا الحال لمخابرة بعض أصحاب الجرائد الحرة فى أتينا فجاءتنا منها الإفادة الآتية نوردها على علاتها حتى إذا جد شىء قبل نهاية طبع هذا الكتاب نذكره فى حينه.

أن أهالى مدينة كورفو العائشين فى السكينة والهدوء نظروا فى هذه الأيام الأخيرة ماهيج أفكارهم وأقلق راحتهم فقد اكتشفوا على جثة فتاة فيها تسعة جروح وهى موضوعة ضمن كيس بين الكلس(الجير).

أما حاكم المدينة فلم ير من طريقة أقرب لتسكين ما كان مزمعا أن يحصل من الهيجان إلا أن يشيع الخبر بأن الجثة التى وجدت هى جثة فتاة يهودية وبالوقت نفسه أرسل فأعلم الحكومة المركزية بالحادثة وطلب إرسال الأوامر اللازمة مع القوة الكافية للمحافظة على الأمن العام إلا أن الشعب لم يمكث كثيراً حتى علم بالحقيقة وهى هذه أن الفتاة مسيحية وكان قد اختطفها بطريقة الخداع وسرا رجل يهودى وذلك منذ أربع سنوات وقد استنزف بهذه الأثناء دمها بطريقة تقشعر لها الأبدان فإذ ذاك هاج الشعب وطفق يضطهد اليهود المقيمين بمدينة كورفو فالتزم الحاكم أن يحيط حارة اليهود بانفار من العساكر البرية والبحرية إلا أنه رغما عن هذه القوة كان الشعب يزداد هيجاناً ويطلب لنفسه الانتقام فتمكن البعض من الدخول إلى محل الأخوية الإسرائيلية فجرحوا من كانوا فيه ثم أخذوا البيرق وأتوا به إلى ساحة المدينة حيث أحرقوه فأسرعت الحكومة فأرسلت الجنود من باتراس إلى كورفو وتصدرت التلغرافات لكافة الجهات فأرسلت الدولة الفرنساوية والإنكليزية بوارج حربية لأجل المحافظة على الأمن والمأمول بعدالة الحكومة أن يصير فحص هذه الحادثة بكل تدقيق وأن لا يجرى بها ما جرى بحادثة هنرى عبد النور وحادثة استير صوليموزى وغيرها ولا يخفى بأن ذبيحة هنرى عبد النور كانت فى أوائل شهر أبريل (نيسان) وأن ذبيحة كورفو صارت بالتاريخ نفسه.

خال بأفكار البعض بأن دم البنات لا يقصد اليهود الحصول عليه فقد أكدت الحوادث الخلاف سواء كان بحادثتى الروسيا وبورت سعيد اللتين أشرنا إليهما فيما سبق أو بحادثتى استير صوليموزى وغيرها وبحادثة كورفو هذه الأخيرة وقد جاء فى بعض شروحات التلمود بأن دم الكلبوت (أى البنات الغير يهوديات) ذبيحة مقبولة لله حتى أن استنزاف دم الفتاة الغير يهودية يكون ذبيحة مقدسة وكأشرف العطورأت وبالبخور وواسطة لاستجلاب البركة الإلهية وكفارة عن الذنوب فمن هنا يتضح بأن اليهود الذين يرتكبون مثل هذه الفظائع يسلكون على حسب شريعة مولوخ الفينيقى الذى كان يطلب قرباناً ومحرقات العذارى والأطفال.

أبعد هذا يقال بأنه من الواجب إبقاء هذه الحوادث وما شابهها تحت طى الخفا كيلا تمس إحساسات الشعب الإسرائيلى وهل عار فى الخليقة أعظم من إتباع هذه الخطة أى خطة إخفاء الحقائق والشرور متابعة ولا تكاد تمضى سنة حتى يلتزم التاريخ بتدوين حادثة بل حوادث متعلقة بالذبائح البشرية وأعمال بعض اليهود الجهلة فهنا نراجع ما سطرناه على إحدى صور صراخ البرىء.

حتى م حتى م سفك الدم متبع * تحييه آيات تلمود وتسمع
حتى م حتى م تبقى العين غامضة * وأى متى الغدر بين الناس يمتنع

وأى متى تهتم الحكومة فى عصرنا الحالى بوضع حد لهذه الفظائع فتكون لها البشرية حافظة ذكراً جميلاً إلى منتهى الأيام..

فى التلمود

جاء فى إنجيل متى فى الأصحاح الخامس عشر بأن الفريسيين تقدموا إلى يسوع وقالوا له لماذ أرسلك يخالفون تقليدات الأقدمين فأجابهم الناصرى قائلاً: وأنتم لماذاتخالفون شريعة الله لأجل إتباع التقليدات فينتج من ذلك ومن أقوال المؤرخين بأن اليهود كانوا فى ذلك العصر يتبعون التقليدات وقد أثبتت لنا الحوادث العديدة التى ذكرنا بعضها على وجه الاختصار بأن بعضهم ما زالوا تابعين للتقليدات ومن المعلوم بأنه فى عصر يسوع الناصرى كان رؤساء اليهود قسمين القسم الأول الصادوقيون وكانوا يعلمون المذهب المادى أو الهيلولى القائم بإتباع شهوات الجسد وعدم الاعتقاد بديمومة النفس ولا بوجود ملائكة ولا شياطين إلخ وكانت سلطة هؤلاء على الشعب ضعيفة جداً والقسم الثانى الفريسيون واعتقادهم مبن على حسن الظواهر وأن الإنسان مهما كان شريراً فى الباطن وأصلح ظواهره يخلص ولذلك دعاهم يسوع قبورا مكلسة داخلها جيف منتنة.

فالفريسيون كانوا متسلطين على الشعب الإسرائيلى بزيادة عن الصادوقيين وكان الفريسيون يعلمون أتباع شريعة موسى بحسب ظواهرها ويحفظون لأنفسهم تفسير التقليدات المتصلة إليهم. وحدث فى السنة السبعين للمسيح هيجان عظيم فى أورشليم فعهد إلى طيطوس القائد الرومانى أن يعاقب الثوروين فجاء بالعساكر العديدة وحاصر المدينة المقدسة فكان من ثم جوع شديد حتى كانت الأمهات تذبحن أولادهن ليأكلن من لحومهم إلى أن استولى القائد الرومانى على المدينة فهدم هيكلها حتى لم يبق فيه حجر على حجر ولما عاد اليهود إلى الثورة فى عهد الملك أدريانوس الروحانى سنة ١٣٥ مسيحية طردوا من جميع أرض فلسطين تلك البلاد التى قطنوها نيف وخمسة عشر قرناً ومن ذلك الحين تفرق شعب إسرائيل ولم يعد له لا ملك ولا مملكة فوقع الشقاق بين الأسباط اليهودية وكان الكهنوت محفوظاً حتى ذلك الوقت بين للاويين فكانوا هم الذين يحق لهم تعليم شريعة موسى وتفسيرها إلا أن بعد تفرقهم وطردهم مع باقى الشعب من الأراضى المقدسة مسكن أجدادهم امتزجوا بباقى الأمم فلم يعد والحالة هذه ممكناً لسبط لاوى المتابرة على إجراء وظائف الكهنوت ومع تمادى الأيام لم يعد يعرف لسبط لاوى مقر فنقلت وظائفهم إلى الربيين وحاخامات المجامع وفى ذلك الوقت قامت المدرسة الربية فجمعت تعاليم العلماء

الأقدمين والتقليدات فى كتاب دعى المشنا إلى الشريعة الثانية ومن المشنا اشتق التلمود كما سيأتى وأما الذى جمع هذا الكتاب بأمر وقرار الرؤساء فهو يهوذا القادوش وبقى اليهود يعتبرون المشنا اعتبارا فائقاً لاعتقادهم بأن الله سبحانه وتعالى أرسل عليه موسى الكليم شريعتين الواحدة خطية والثانية شفاهية وأن هذه الشريعة الأخيرة تسلسل اتصالها بالتقليد حتى جمعها يهوذا القادوش كما مر.

أما المشنا فهو ستة كتب مقسومة إلى ثلاثة وستين جزاء علق عليها من بعد علماء اليهود حواشى كثيرة وشروحات مسهبة دعوها باسم غاماره.

فالمشنا المشروحة على هذه الصورة كونت التلمود ولما كانت هذه الشروحات عن مصدرين أصليين الواحد من أورشليم والآخر من بابل كان يوجد تلمودان التلمود الأورشليمى والتلمود البابلى.

فالتلمود الأورشليمى أعتنى بجمعه يوحانان بمساعدة الربى صمويل وغيره وكان الفراغ من تأليفه نحو سنة ٣٠٠ بعد المسيح أما البابلى فاعتنى بجمعه الحاخام أسر بمساعدة الحاخام حاماى وتوفى أسر قبل إتمامه فتممه ولده بمساعدة الحاخام ماير وكان ظهوره على رأى بعض المؤرخين سنة ٤٨٦ مسيحية وعلى رأى البعض الآخر سنة ٥٠٥ وقال بعضهم بل سنة ٧٠٠ وربما كان إتمام النسخة الأصلية أولاً ثم ظهر غيرها بعدها مع بعض إضافات عليها.

وكتبت المشنا باللغة العبرية والغامارة باللغة الكلدانية ثم طبع التلمود البابلى مرارا عديدة وحزف منه ما استلزم العصر والظروف حذفه وقيل إن أحسن طبعة هى التى طبعت فى امستردام سنة ١٧٠٣ وهى اثنا عشر مجلداً.

وقد اعتنى أحد علماء اليهود مويز ميمانود الذى ولد سنة ١١٣١ فى مدينة كورد من فرنسا باختصار التلمود بكتاب سماه جود حاشازاكه وتحاشى أن يضع فيه كثير من الخرافات والقصص العجيبة الغريبة التى يحتويها التلمود الأصلى وكتاب هذا ستة أجزاء.

الجزء الأول: فى الزروع وغلات الأرض والعشور.

الجزء الثانى: فى السبوت والأعياد.

الجزء الثالث: فى النكاح وحقوق المتزوجين والطلاق والزنا والنذور.

الجزء الرابع: فى القضاء والأحكام واليمين والشهادة وعبادة الأوثان وما يتعلق بالآباء الأقدمين.

الجزء الخامس: فى الذبائح وفى الهياكل .

الجزء السادس : فى تطهير البيوت والأوانى والبرص وغير أمراض.

فى بعض شروحات التلمود

وكتب علماء اليهود

فى نسخ كثير من التلمود حذفت بعض الجمل وتصلح بعضها وعلى الخصوص فيما طبع فى الأوروبا بعد أن أشرقت عليها أنوار التمدن فالتى ننشرها هنا مأخوذ من النسخ الأصلية وعن ترجمات محمد أفندى أبى العافية وقت حادثة البادرى توما.

فيما يتعلق بالعزة الإلهية

أن الله بقصد التخلص من الضجر كان يبنى عوالم ثم يهدمها حتى بنى أخيرا العالم الحالى وهو فى كل يوم يطالع التلمود برهة ثلاث ساعات وقد صعد موسى الكليم مرة إلى السماء فوجد الله ينسخ التلمود بيده. لقد ندم الله على هدمه الهيكل وتفريق اليهود على وجه الأرض ومعاقبتهم ولهذا يذهب جل جلاله بأوقات مخصوصة لمحل منفرد حيث يشاهد ما يفعله الكوين (الذمى من غير اليهود) بشعب بنى إسرائيل فيلطم على صدره بيديه فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر فتضطرب المياه وترجف الأرض وتميد الجبال.

إن الله كذب بقصد الإصلاح بين إبراهيم وامرأته سارة وبناءً عليه فيكون الكذب مسموحاً نسبة للغاية.

وأن الله هو مصدر الخطية كما أنه مصدر النعمة وأنه أعطى الإنسان طبيعة ردية وسن له شريعة لولاها لما كان خطية.

أن الله لا شغل له فى السماوات إلا دوام مطالعة التلمود والمباحثة مع علماء اليهود الذين ألفو ففى ذات يوم بينما كانت المباحثة جارية وقع الاختلاف بين البارى تعالى

وعلما اليهود على مسألة أنواع البرص فكان رأى الله (وهذا لتعاسته) مخالفاً لآرائهم فبعد أن طال الجدال تقرر باتفاق الآراء إحالة فصل الخلاف إلى الربى نهامياس وكانت الأرض سعيدة بوجوده عليها فخطر إذ ذاك بفكر الله أن يرسل إليه ملاك الموت ليدعوه للسماء فلبى الملاك أمر خالقه إلا أنه بوصوله إلى الأرض وجد الربى يقرأ فى التلمود وبما أن الذى يقرأ بالتلمود لا يمكن للموت أن يدنو منه فاخترع الملاك حيلة وهو أنه صعد على السطح وبدأ بضحة أوجبت الربى أن يرفع عينيه من الكتاب فاستغنم ملاك الموت الفرصة وضربه فصعدت روحه حالا إلى السماء حيث شاهد الله باقياً بالجدال مع رؤساء اليهود فصرخ من تلقاء ذاته قائلاً كلا ليس هذا المرض برصا.

فشق على الله غلطه ولكنه لم يجسر على مخالفة أقوال ذلك العالم العظيم وبعد هنيهة سمعت ضجة وكان الله يقول : أهان أبنائى تغلبوا على عندما يرى البارى تعالى اضطهاده غير الملل لأولاده بنى إسرائيل فيرج الأرض (براخوت ص ٥٩) ويبكى ويذرف دمعتين فتسقطان فى الاوقيانوس فيسمع ضجة عظيمة فى جميع أقطار العالم وقيل أيضا أنه يصفق بكفيه فتهتز الأرض.

قال أحد علما اليهود اعترض الملائكة المولى قائلين له كتب بالتوراة أنك لا تفضل أحد على الآخر ولا ترتشى من أحد حالة كونك تتعرض لبنى إسرائيل وتفضلهم على الآخرين ونرى فى محل آخر بالتوراة أن الله يرابى لكم ... فأجابهم الله كيف لا أتعرض لبنى إسرائيل وذلك مفروض بالتوراة فإننى أوصيتهم إلا يأكلون ويشبعون فيسبحونى فزادوا على ذلك أنهم يحمدونى حتى إذا كلوا بقدر حبة الزيتون فقط فوجب على أن أرابى لهم (براخوت ص ٢٠).

سيأتى المسيح الحقيقى ويرد لليهود الملك وجميع ملوك الأرض وحكامها يقرون لهم ويخضعون للمسيحالا أنه يرفض هداياهم أما اليهود فبعد ملك المسيح يكون لكل منهم ٢٨٠٠ خادماً و ٣١٠ امرأة (عن كتاب مؤلف باللغة الألمانية) أن الله لم يخلق من روحه سوى ستماية ألف نفساً وهى كلها مخصوصة بالشعب اليهودى أما أرواح باقى البشر فهى صادرة عن الشياطين وهى تشبه الحيوانات.

أن قاين كان له ثلاث أرواح الواحدة دخلت فى الجسد قورش والثانية فى جسد جترو والثالثة فى المصرى الذى قتله موسى.

يكفرون عيسى بن إسحق ويلقبونه بالظالم ويزعمون بأنه ارتكب خمس خطايا بيوم واحد، افتعل ببنت خاطية وقتل نفسا وكفر بالله تعالى وادعى قيأمة الموتى كما يزعم البعض عند حضور المسيح ثانية وسخر بالبكورية فباعها بأكلة عدس (تبرا ص ١٢) .

وأن نفس عيسو هى التى دخلت فى جسد الناصرى.

يكفرون أيضا أسماعيل بن إبراهيم ويزعمون أن الإسلام هم من نسله فيدعون بأنه عند ولادة إسحق أخيه رأت أمه ابن هاجر يضحك فاستنتجوا من ذلك أنه يزنى ومنهم من قال رأته يقتل (راشى تفسير التلمود).

أن أحد الحاخامات تمكن من أن يخدع البارى والشيطان معاً لأنه عند ساعة موته طلب إلى الشيطان أن يأخذه حتى باب الجنة كى بعد نظر جمالها يقتبل الموت بسهولة فأجاب عزرائيل طلبه فلما بلغ الحاخام باب الجنة أسرع فدخلها وحلف يميناً معظمة بالله بأنه لا عاد يخرج منها فخاف الله من أن يجعل الحاخام كاذباً بيمينة فأبقاه فى الجنة.

قد سقط الملاك جبرائيل بخطبة عظيمة فأمر الله بجلده بمجلدة نارية قد خلق الله لآدم امرأتين.

أن داوود الملك لم يفعل لا خطيئة بقتله لأوريا ولا بزناه مع امرأته.

كان إبراهيم الخليل يتعاطى السحر ويعلمه وكان معلقاً فى عنقه حجر ثمين تشفى بواسطته جميع الأمراض فاتصل هذا الحجر لبعض الحاخامات فوزع منه على رفقائه ولقوته كانوا يقيمون الموتى جميع تعاليم الحاخامات هى من الله فإذا قال لك الحاخام بأن يدك اليمنى هى الشمال وبالعكس فصدق قوله لأن الذى يخالف قول الحاخام خطيئة قد تغفر جاء فى كتاب هوركيوم كل من يستهزئ بالحاخامات وبروسا المجامع ويعاكس تعاليمهم يلقى فى أعماق الجحيم.

فالتلمود حاو لشريعة الله المعطاة شفاهم لموسى الكليم فإذا خالف يهودى أقوال التلمود يعاقب أشد عقاب لأن الذى يخالف شريعة موسى خطيئة مغفورة أما الذى يخالف شريعة التلمود موتا يموت.

معاملة القريب

عند كافة الناس إلا من استولت عليهم حاسة التعصب توجد الشعائر البشرية الآيلة لحب القريب أما المتعصبون فعندهم كل خارج عن مذهبهم ليس بإنسان ولا يصح أن يكون لهم لا بمنزلة أخ ولا بمنزلة قريب أو صديق بل يلاحظ كحيوان فمن هذه الفئة اليهود المتعصبون الذين يعتقدون ما سطره لهم حاخاماتهم بأن الإسرائيلى معتبر عند الله بأكثر من الملائكة فإذا أساء أحد إلى إسرائيلى فكأنه اساء إلى الله نفسه إذا ضرب أمى إسرائيليا فالأمى يستحق الموت لأن باقى الأمم الخارجين عن اليهود هم من أرواح الشياطين ولذلك فهم حيوانات ولا تصح معاملتهم بالرحمة وكل مودة وحنو من قبل الإسرائيلى لنحوهم حرام إلا إذا كان القصد بها الاستنفاع منهم.

يعتبر اليهود جميع الأمم الخارجين عن دين بنى إسرائيل كبهايم وحيوانات أولاً لزعمهم أن إبراهيم الخليل شبه بالحمار خادميه الذين ضحياه لذبح إسحق بقوله لهما اجلسا هنا- أنتما والحمار كى أذهب أنا والغلام. ثانياً بدعواهم أن إبراهيم نظر الله وقال لهما أبصراه ولما لم يبصراه قال لهما اجلسا مع البهائم والحيوانات ولهذا فرض عندهم على جميع الأمم العمل المتواصل لقوله سبحانه وتعالى لا يستريحون لا الليل ولا النهار وحل عندهم قتل كل أمى (نسبة إلى ما عداهم من الأمم ليس الذى لا يعلم القراءة والكتابة) ارتاح عن عمل السبت أو يوم غيره حتى كل يهودى يسمح بعمل السبت كما هو مذكور فى سنهدرين ص ٥٨ من التلمود.

جاء فى الوصايا العشر

لا تسرق مال القريب قال علماء اليهود مفسرين هذه الوصية أن الأمى (مسلم أو نصرانى أو درزى أو كل خارج عن مذهب اليهود) ليس بقريب فإن موسى لم يكتب بالوصية لا تسرق مال الأمى ولذلك فسلب ماله لم يكن فيه ما يخالف الوصايا.

مسموح غش الأمى وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش لكن إذا بعث أو اشتريت من اخيك اليهودى شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه. ولا يغفر الله ذنباً ليهودى يرد للامى ماله المفقود لأنه بفعله هذا يقوى الكفرة إذا ابن نوح (أى اليهودى) سرق شيئاً ولو كانت قيمته طفيفة جداً يستحق الموت لأنه يخالف الوصايا التى أعطاها لبنى نوح وبما أن الله أمر برد المسروق

لبنى إسرائيل فقط فإذا أحد بنى إسرائيل سرق ورد المسروق فخطيئته مغفورة ولكن إذا أحد من غير الإسرائيلين سرق فيستحق الموت بدون رحمة.

سمح موسى بأخذالفائدة إذا اقرض اليهود الذمى مالا فحول الحاخامات هذا السماح إلى أمر فقالوا .

أمرنا الله بأخذالربا من الذمى وأن لا نقرضه شيئاً إلا بالربا وبدون ذلك نكون ساعدناه مع أنه من الواجب علينا مضرته ولو ساعدنا هو أما الربا فمحرم بين الإسرائيلين فى بعضهم بعض.

ولذلك كان الربا ملازماً لليهودى ملازمة الروح للجسد فالموت يحصل إذا حصل الافتراق.

فاينما حل اليهودى خربت البلاد من رباه ومعاملاته حملا على قواعد مذهبه التلمودى هذا إذا بقى مصرا على إتباعها ولكن كثيرون تفتحت أعينهم.

لا يخطىء اليهودى إذا تعدى على عرض الذمى لأن كل زيجة عند الذميين فاسدة لأنه جاء فى كتاب موسى ملاحظة الامرأة المصرية وهى رمز كل امرأة خارجة عن إسرائيل كبهيمة ولا يخطى اليهودى أيضا مهما فعل مع زوجته وأية طريقة اتبعها لنحوها بأمر الزواج.

إذا قصد يهودى قتل نصرانى وبطريق الغلط قتل يهوديا فخطيئته مغفورة ملاحظة للقصد. إذا نظر يهودى ذميًّا على حافة هاوية فملزوم أن يطرحه فيها.

إنجيل النصارى مصدر الخطايا فعلى كل يهودى إتلافه ولو كان فيه ذكر اسم الله.

إذا قتل أحد اليهود يهوديًّا آخر فتذهب نفس القاتل لجسد حيوان أو للنبات إلا أنها سوف تعود إلى البشرية لأن أرواح اليهود مقدسة.

يقتل الامى عند اليهود إذا سرق ولو شيئاً يساوى فلساً واحداً لأنه خالف إحدى الوصايا العشر ولا يعفى من القتل إذا رد لأن الله لا يغفر بالرد سوى ذنب الإسرئيلين.

يقتل الأمى بشرعهم على يد ديان واحد وشهادة شاهد واحد ولو كان نسيباً له ويقتل أيضا إذا ضرب امرأة حاملة وقتل حملها وأما الإسرائيلى فلا يقتل لذلك بل يدفع

دية الولد ولا يقتل أيضا فى الأحوال التى توجب القتل سوى على يد ٢٣ دياناً وشاهدين (سنهدرين ص ٥٧).

يحلل اليهود لذواتهم أموال باقى الأمم لأنهم وجدوا المصريين عند خروجهم قد خالفوا العشر وصايا بعبادة النجوم والكواكب والأبراج والزنا - والقتل - والسرقة - وأكل لحم الخراف حيا - وخصاء الإنسان وإيلاد الحيوان من غير جنسه (غماره ص ٣٩) ولهذا يعاقب من رد منهم اللقطة للأمى إلا أنه حلل لهم اختلاس أموال باقى الأمم بالحيلة والسرقة وغير ذلك لولا مخافة الحكام.

يجب على اليهودى أن يبذل مجهوده لمنع استملاك باقى الأمم فى الأرض وأن يمدحهم ولا يصفهم بالحسنات والجمال ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه (ص ٢٠ عابوره زاره).

على الطبيب اليهودى أن لا يداوى أميا مطلقا ولو بالأجرة إلا إذا خشى أسهمهم أو عداوتهم فإذا كان مبتدئا فى هذا الفن فليتعلم بمداواة باقى الأمم ولا يجوز له ذلك فى اليهود (طوريو رود المادة ١٥٨).

يجب على اليهودى إذا أمكنه أن لا يعامل الأميين لنفعهم بل لانتفاعه منهم وأن لا يسلم عليهم إلا إذا التزم خوفاً من الضرر أو العداوة وليكن سلامه مضمراً لذاته كان يقول العافية القوة لى وإذا التزم رد السلام فليرده لذاته.

يجب على اليهودى حينما ينظر قبول الإسرائيلين أن يقول فليكن مباركا الذى خلقكم بالشريعة وأحياكم بالشريعة وأماتكم بالشريعة وسيقيمكم بالشريعة ويعلم عدد جميعكم. ومبارك محيء الموتى. وأن يقول عند مشاهدته قبور باقى الملل فلتخزى أمكم لأن آخرة الأمم وحشة شبه الجبال اليابسة (برخوت بند ٩ ص ٥٨).

على اليهودي إن صادف أميا على جنبه سيف أن يجعله أن يسير على يمينه وإذا كان حاملاً عصا فعلى شماله حتى إذا سحب السيف يتمكن اليهودى من امساك يده وإذا كان فى مرتقى أو منحدر يبقى اليهودى فوق الأمى ولا يحنى رأسه لئلا يقتله الأمى فإذا سأله عن محل ذهابه فليطل عليه الطريق لكى يتهامل الأمى فى قتله ويتمكن هو من الفرار والخلاص (عابوره زاره ص ٢٥).

محرمة عندهم كتب بقية الأمم ويلزمهم إحراقها ولو كان اسم الله مذكورا بها حتى التوراة التى توجد عند الأميين ما لم يكن محررها إسرائيليا. يحرم عندهم شرع غيرهم ولو شابه شرعهم ومن يلتمس ذلك من اليهود يعد كافرا ويفرز عنهم ويبذل الجهد فى تضييع حقه ولو بشهود زور وغير ذلك من الطرائق ويقاص بما عدا ذلك من القصاصات. وإذا وجد خلاف بينه وبين أمى فيمكنه أن يحاكمه أمام الحاكم إذا أتقن الدعوى وأحسنها و إلا فلا.

وعند نهاية صلواتهم يتلو أحد العلماء قائلاً يا الله إنك عالم بإرادتنا وهى أن تكون مشيئتك ويصنع ما تريده فمن يمنعنا من ذلك فيكون من إبليس الذى يدخلنا فى التجارب. ونسألك يا الله أن تخلصنا من حكم بقية الأمم وجورهم وتنقذنا من أيديهم لنعود فنعبدك وتفعل مشيئتك من صميم القلب يا الله (براخوت ص ١٧).

حرم فى التلمود من يسكن من اليهود خلال البلاد المقدسة وهى القدس الشريف والخليل وصفد وطبريا لأنه ربما أجبر على عبادة الأصنام بالاضطهاد على غير معرفة منه وإرادة (عابوره زاره ص٨).

يحرر اليهود فى مقدمة كل كتبهم التى يطبعونها بحق الأمم إشارة تعرف بها ويتركون فيها بياضا يسودونه بخط اليد فى حق باقى الملل والمسيحيين وما حصل بعيسى وما يستحسنون ذكره فى هذا الشأن. يوضع الدم ضمن الفطير يوم وقفة العيد من يد ديان يولج بالعمل بحسب الرموز المسلمة له ولا يجوز لأحد من اليهود إباحة هذا السر وإفشاءه ما لم يضايق جدا.

كتب بأحد كتبهم المسمى (سدر هدور روت) أن اليهود يستعملون الدم ديانة منذ الأعصر القديمة ويقف الحكام على أعمالهم وجرائمهم هذه.

أن قرأ الذمى التوراة وجب قتله حالا لأن التوراة تختص ببنى إسرائيل ليس إلا (سنهدرين ص ٥٣).

إن ثبت فى الآخرة أن اليهود أتموا الوصايا فى هذه الدنية يضعون حينئذ الذميين عليها (عابوره زاره ص ٤).

يقول الرابى شمعون اقتل الصالح من غير الإسرائيليين.

أن الدم عند اليهود نجس ولكن عندهم أن الله يحب دم قربان الفصح والطهور ولهذا حللوا فيهما دم الأمى ولا يستصعبون ذلك لتفضيلهم البهائم على باقى الأمم بكونها لا تخطى وعندهم أن من لم يكن من طريقة الإنسانية ويعد انسانا ويكون وجوده فى الدنيا لمنفعة الإنسان فقط ولهذا يحرضون على قتل باقى الملل حتى الصالح منها إذا أمكن ادعا أن الله سمح لهم بذلك إذ قتل فى البحر الأحمر جميع المصريين الذين أقبلوا لاضطهاد بنى إسرائيل عندما كانوا يريدون الرجوع إلى أرض أباءهم (المشنا تفسير التلمود لموسى بن ميمونة).

وبناء على ذلك فمن المفروض عليهم والمحلل عندهم قتل كل من خرج عن دينهم من حين تجلى الحق سبحانه على طور سيناء وآمنوا به ويعتبرون كل من اضطهدهم من باقى الأمم أو أضر بأحدهم أو أهان إله اليهودية كوتنى يجب قتله لا محالة فى أى وقت أو على أى وجه كان أو على يد الحكام إذا أمكن كما هو مذكور فى سنهدرين ص ٥٨ من التلمود فى البند السابع حيث يقول: يقتل الوثنى إذا ضرب إسرائيليا لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية ولذلك قتل موسى مصريا لأنه ضرب موسويا.

يعتبر اليهودى بيوت باقى الأمم نظير زرائب لزرب الحيوانات ولهذا حرم عليهم السكنى معهم فى بيت واحد بل على اليهودى أن يستأجر البيت بكامله ليعد حينئذ مسكناً لا زريبة (عروبيه ص ٦٢).

يتنجس اليهودى إذا لمس القبور وفاقا للتوراة ما خلا قبول من عداهم من الأمم إذ كانوا يعدونهم بهائم لا أبناء آدم (بياموت البند ٦).

لا يصفح عن الأمى إذا جدف على الله تعالى أو قتل غير إسرائيلى أو افتعل بامرأة موسوية ثم صار يهوديا لكنه لا يصفح عنه إذا قتل يهوديا أو افتعل بامرأة يهودية ثم صار يهودياً (سنهدرين ص١٧).

حرم على اليهود مجامعة نساء أم بنات باقى الأمم والاقتران بهن لأنهن لا يعددن من البشر بل من البهائم والحيوانات (ص٢٥ عابوره زاره) وعندهم شاهد على ذلك فى (براخوت ص ٥٨) قال ضرب أحد علماء اليهود موسويًا لكونه افتعل بامرأة مصرية من غير ملته فشكاه الموسوى للحاكم فقال العالم للحاكم أنا ضربته لكونه افتعل بحمارة واستحضر

إيليا النبى شاهدا على ذلك فقال له الحاكم لماذا تقتله فقال له لأنه لم يؤذن لنا بذلك فافعلوا به أنتم ما تشاؤون ثم لما خرجا قال اليهودى للعالم قد كذبت وعانك إيليا على ذلك فأجابه العالم كلا ألا تعلم أن الخارجين عن اليهود هم بهائم. فعاد اليهودى راجعاً ولما خاف العالم أن يرفع ذلك للحاكم ضربه فقتله وهكذا يوجبون قتل من يفشى سرهم للحاكم ويكاشفه به أو يشكوهم له (براخوت ص ٥٨ وكتاب شلحا وعاروخ حيش مشياط بند ٣٨٨).

إذا نطح ثور يهودى ثور أمى فلا يلتزم اليهودى بشىء من الإضرار ولكن إذا حدث الأمر بالعكس يلتزم الأمى بجميع أضرار اليهودى إذا كان أو لم يكن الثور معوداً على النطح (ص ٣٦ غاماره).

حرم على اليهود الانتفاع بالخمر والخل الذى أصله خمر والدبس وباقى الأشياء المحرمة إذا كانت من عند أمى لأنهم يدعون أن الخمر كان يستعمل قرباناً للأوثان (ص٢٩) وكذلك إذا لمس الأمى هذه الأشياء الموجودة عند اليهود أو لمس إناءها فعلى الإسرائيلى أن يبيعها لأمى أو يسكبها على الأرض ويغسل الإناء جيداً (عابوره زاره ص٢٩).

حرم عليهم أن يأكلوا من خبز بقية الأمم ما لم يكن قد صنع مخصوصاً برسم البيع لئلاً يكون سبباً للمحبة بينهم وبين الأمى ولا يجوز شراء خبز أمى إذا كان قد صنعه ببيته ثم عرضه للبيع.

محرم عليهم قبول دعوة باقى الأمم والأكل من مأكولاتهم من خضروات أو لحومات وخلاف ذلك ولو كان صانعها يهوديا حتى ولا شى بيضة واحدة وبالاختصار كل ما يمكن إيجاد أدنى علاقة أو محبة فيما بينهم وبين الأمى وإذا أكلوا من مأكولاته فكأنهم يأكلون من ذبائح الموتى (عابوره زاره ص٨).

ولا يجوزون ربط بهائم بنى إسرائيل فى خان أمى خشية أن يفتعل بها لأنهم يدعون أن باقى الأمم الخارجين عنهم فساق يحبون الفسق بالحيوانات أكثر من نسائهم وهم فتاك طبعهم الرداءة والخيانة ومن حين اجتماع حواء بإبليس عندما اتخذ صورة حية وقد كان بنو إسرائيل كذلك لولا تغير أطوارهم بالحسنات من حين وقوفهم على طور سيناء وهكذا

يزعمون أن أميا أخذ يوما أوزة من السوق فافتعل بها ثم خنقها وشواها وأكلها (ص ٢٢ عابوره زاره).

أن الحسنة والصدقة الصادرة من بنى إسرائيل ترفع شأنهم وهى مقبولة بيده تعالى وأما الصدقة الصادرة من بقية الأمم فهى خطاياهم لأنهم لا يفعلونها إلا كبرياء (برا بند أول ص١٠).

محرم على اليهودى أن ينجى أحدا من بقية الأمم من هلاك أو يحفظه من اضهاد أو يخرجه من محل خطر أو من بئر وخلافها حتى ولو دفع له أجرة على ذلك (طوريو رود بند ١٥٨).

كل مولود من إبراهيم لابد من أن يرث الحياة الدائمة.

إذا صلى اليهودى ووجهه نحو القبلة يحوز على الحكمة وإذا صلى ووجهة نحو الشمال ينال الغنى.

جاء فى الأصحاح ٣٨٨ من كتاب كالا حامارأت حقا مشيتى:.

" أن اليهودى الذى يرفع شكوى على أحد أبناء ديانته لصالح أجنبى فيحصل لأخيه اليهودى من ذلك ضرر واليهودى الذى يشكو اخاه للحكومة فيحصل لأخيه من ذلك عقاب أو موت فيستحق ذلك المشتكى نفسه القصاص الذى سببه لأخيه اليهودى ولو كان هذا أقبح شخص فى العالم.

إذا عزم يهودى على اتهام يهودى آخر بأمر يسبب له المجازاة الإعدامية وعلم يهودى ثالث بهذا العزم والقصد فهو ملزوم بقتله ومن يقتله لهذه العلة فذنبه مفغور وإذا لم يتمكن من قتل ذلك المفترى فالواجب عقد جمعية للوصول إلى هذه الغاية وجميع اليهود القاطنين فى تلك الناحية يلتزمون بالمساعدة على نفقة العمل.

فى الحلف

يجوز لليهودى الحلف فلا يخطىء هذا إذا حول اليمين باطنا إلى عهد سابق يعاهد الله به بأن كل يمين يضطر لحلفه فى الأيام المستقبلة لا يكون مخطئا به وفى كل مدة يوجد فى مجمع اليهود الغفران العام الذى يمنح لهم فيمحو كل ذنب ارتكبوه.

هذا ما قاله الرابى إسماعيل فى التلمود فى رسالته بابا كامينا فصل هاغوزل .

إذا جاء نصرانى وإسرائيلى أمامك بدعوى ما فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلى رائجاً بحسب سنة اليهود أفعل ذلك وقل للنصرانى هكذا تقضى شريعتنا وإذا أمكنك ذلك وفقا لشريعة النصارى فاجعل الإسرائيلى رائجاً وقل للنصرانى هكذا تقضى شريعتك فإذا لم تتمكن على كلا الحالين من أن تجعل الإسرائيلى رائجاً فيصير استعمال الغش والخداع بحق هذا النصرانى.

تقسم اليهود

إن اليهود لم يقبلوا جميعهم هذا العهد الجديد (التلمود وفروعه) ومكثوا تابعين كتاب موسى وهم القراؤن أما الذين قبلوا كتاب الحاخامات فهم التلموديون أو الربيون.

وعدد اليهود الآن فى جميع أنحاء العالم فنحو السبعة إلى الثمانية ملايين تقسم كما سيأتي:

عدد	
٧٥٠٠٠٠	فرنسا مع الجزاير
٥٠٠٠٠	إيطاليا
١٢٠٠٠٠٠	النمسا والمجر
٥٠٠٠٠٠	بولونيا
٧٠٠٠٠٠	ألمانيا
٣٢٠٠٠٠٠	الروسيا وقد تناقص هذا العدد الآن بسبب الاضطهادات
٥٠٠٠٠٠	رومانيا
١٢٠٠٠٠	فى الشرق عموما عدا عما يدخل إليه الآن من يهود الروسيا
٧٤٢٥٠٠٠	

وهذا العدد الآن يقابل عدد اليهود الذين كانوا قاطنين فى اليهودية عند محاربة طيطوس الرومانى.

أما اليهود من حيث المذهب فثلاثة أقسام:

القسم الأول: التلمودين وهم الذين يعتقدون اعتقادا تاما ويؤمنون أمانة عمياء بما يقوله الحاخامات ويذكره التلمود وهذا القسم لا يخالط النصارى إلا لغاية يقصدها.

القسم الثاني: هم اليهودى القراؤن الذين مع عدم اعتقادهم بالتلمود وأقوال الحاخامات يتبعون شريعة موسى إتباعا معقولاً خاضعين للتمدن مستنيرين بضياء

المعارف فهم مع عدم اقرارهم بصحة دين النصارى لا يقرءون أيضا بصحة اعتقادات الحاخامات الواهية.

القسم الثالث: المنفردون وهم اليهود الذين يحفظون مطلق الحرية بأفكارهم لا يقيدون أنفسهم باعتقاد مخصوص وهم يهود بالاسم فقط وإذا خضعوا لشريعة التطهير فذلك من قبل مراعاة شرف المذهب وهم يتزوجون بالنصارى ولا يرفضون تعميد أولادهم ولا يستهجنون الاختلاط مع باقى الأمم ومعاشرتهم.

أما اليهود (ولانقول ذلك إلا عمن كانوا متعصبين) فإنهم منذ صلبهم يسوع الناصرى ما زالوا يستحلون الدم المسيحى فقد أثبت لنا التاريخ أن اليهود قد طرحوا تلاميذ المسيح فى السجون (ثانى يوم العنصرة) ورجموا القديس اسطفان بالحجارة وقطعوا رأس يعقوب وكان شاوول ينتقل من مدينة إلى أخرى باسم رؤساء المجامع يقيد بالحديد الرجال والنساء الذين كانوا يلفظون اسم يسوع ويتبعون تعليمه. أليس اليهود الذين حركوا ضد النصارى فى روميه اضطهادات نيرون وتراجان وغيرهما بمدة ثلاثة أجيال. أليس اليهود الذين أرسلهم أدريانوس إلى أسبانيا فاستأسروا من كان فيها من غير اليهود وشرعوا فى تطهير بعضهم غصبا وقتل البعض الآخر. أليس هم الذين كانوا سبب مذبحة واضطهادات النصارى فى الإسكندرية سنة ٣٤٢ أليس اليهود الذين قوموا ملك العجم صابوركى يضطهد النصارى فكان العدد الذى قتل منهم من سنة ٣٤٢ إلى سنة ٣٧٩ ستة عشر ألفا وهكذا أجروا فى أنطاكية وقيصارية ولما استولى شوزرواس ملك العجم سنة ٦١٣م على أورشليم وباع النصارى إلى اليهود كأسراء قد ذكر المؤلف تيوفانوس بأن اليهود ذبحوا منهم نحو تسعين ألفا.

فمن كان من اليهود غير مستنير بضياء العلم والتمدن الحقيقى ومن كان منهم عارياً عن روح العدل ومن كان منهم لا يفتح أعينه إلا لقراءة التلمود ولا أذنيه إلا لسماع أقوال المتعصين فماذا يمنعه عن ارتكاب فيظعة سفك الدم وهو يعتقد إن بالأمر ذبيحة لله وإتمام فروض دينية أنزلت عليه من السماء.

فبعد كلما أتينا بذكره هل يبقى لحظة الإنكار محل وهل لا يجب أن تضمحل أوهام الذين يحاولون إقناع الناس بأن سفك الدم عند اليهود أو بالأحرى عن بعضهم المتمسكين بشريعة التلمود غير ممكن حصوله وهل لا يجب أن تبدل هذه الخطة بخطة إعلان الحقيقة

ونصح الأمة اليهودية أن تتروى بالحقائق وترفع من عقول أبنائها خرافات كان فى الزمن القديم غير ممكن نقضها لأن المعارف والعلوم لم تك عامة كما هى الآن ومن المعلوم أن نسخ هذه العادة السيئة وابدالها بقربان آخر مصدره النقاوة والطهارة لأفضل جداً من سفك دم الإنسان ولعمرى من يقرأ ويعلم ما يجريه بعض اليهود الجهلة ولا تتحرك بفؤاده شعائر الشفقة وأننا لواثقون بأن ما من أب يهودى وأم يهودية يطلعان على ما كتبناه بهذا الصدد ويطرحان بعيداً عنهما روح التعصب إلا ويشمئذان من هذه الفظائع وعلى الخصوص إذا كانا يتصوران أولادهما المحبوبين منهما ويضعان أحدهم بالفكر بمقام أولئك الأولاد الذين استنزف اليهود دماهم فإنهم بهذه الحالة لا شك يلعنون ألف مرة من سن هذه الشريعة الكافرة ومن يتبعها.

وأننا لا نقول لليهود اتركوا ديانتكم كلا فإن ذلك ليس من خصائصنا ولا نقول لهم إنكم لفى ضلال فليس الأمر من متعلقاتنا بل إننا نقول لهم بلسان البشرية بلسان التمدن بلسان الشفقة أن يساعدوا مبادينا محو واستئصال هذه الشرور من الهيئة الاجتماعية.

ها أن العالم المتمدن يسعى فى تخفيف آلام الحيوانات الغير الناطقة كيلا ينسب إلى الناس التوحش والهمجية فكي يسمح التمدن الحالى بزيادة تعذيب الجنس البشرى الناطق.

وكيف تسمح القلوب الكائنة فيها شعائر الحنو والشفقة بأن الأولاد الأبرياء الأنقياء الذين لا يعلمون من الدنيا شرا تستنزف دماهم لغاية تضاد روح التعقل وروح الحقيقة لغاية وهمية واهية لا أساس صحيح لها. انهضوا انهضوا يا بنى إسرائيل من غفلتكم لقد سقطتم مراراً فضربتكم يد العناية حتى تعودون فلا تصروا على عمل المنكر عقلا والمنهى عنه شرعاً وارجعوا عن غيكم والضلال أخاطب بهذه الألفاظ بعضكم لا كلكم فإننى لا أتصور قط بأن عمومكم يسلم مع الجاهلين ويسرى وراء الضالين ويتبع خطوات الناقصين.

أما جاء الآن العصر الذى فيه وجب على بنى الناس أن يعتقدوا بأنهم كلهم من جبلة واحدة وبأنهم أبناء الإنسانية لا يجب أن تفرق بينهم المذاهب ولا أن تشتت شملهم ولا أن تحيدهم عن محبة بعضهم ولا أن تقطع رباطات ألفتهم كيفية الاعتقاد الدينى فلكل حرية أن يعبد خالقه على ما يشأ بشرط أن عبادته هذه لا تأتى أخاه بالإنسانية بضرر لا بماله ولا بعرضه ولا بحياته نعم فى العصر الذى نحن به وفى اليوم الذى به نرقم هذه السطور على

صفحات التاريخ نرى العالم حتى تزال عن أعين بعض الناس براقع الوهم وبراقع الجهل وبراقع التعصب الذميم.

ألا يكفى بنى الناس ما يلاقونه على هذه الدنيا من صعوبات اكتساب المعاش ومن الأحزان والأكدار التى تأتيهم بها الطبيعة لقاء بعض ما يذوقونه من حلاوة المعيشة فيها حتى يختلقوا لبعضهم أنواع العذابات.

وأننا نكرر هنا ما قدار كررناه مراراً بأننا لا ننسب إلى الشعب اليهودى كله محبة الانتقام من الإسلام والنصارى وبغضهم فإن كثيرين من الإسرائيلين لا وجود لهذه البغضة فى قلوبهم وكثيرين من الإسرائيلين لا وجود لهذه البغضة فى قلوبهم وكثيريهم منهم أيضا لا يستعملون الدم ولا يعرفون بكيفية استعماله ولا بالوصية التى تأمر به وبعضهم أيضا يجهل حقيقة وجود ذلك غير أنه لا زال موجودا فيما بين الإسرائيلين أناس تعلموا منذ نعومة أظفارهم بغض الإسلام والنصارى ولا زالوا يعلمون ذلك لأولادهم أناس ختم الله على سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة لا زالوا يعتقدون ويعلمون غيرهم أن يعتقدوا بوجوب سفك دم الأطفال وغيرهم فإننا بإشهار هذه الأمور لا نقصد أن نقود لا الإسلام ولا النصارى إلى معاملة هؤلاء اليهود بالقساوة أو لمقابلتهم بالبغض كلا بل ما نقصده هو أن يطلع أولئك اليهود على معرفتنا أسرارهم ليرتدعوا عن غيهم ونقول للنصارى إذ ذراك اغفروا لهم لأنهم لم يكونوا عالمين بما كانوا يفعلون على إننا نحرص جميع الأمهات بملاحظة أولادهم فلربما وجد فى مدينة يقطنونها أو قرية يسكنون بها بعض من اليهود المتعصبين المتغفلين الأعمياء البصيرة والبصر يفتكون بالأولاد ويأخذون دمهم نعوذ بالله من شر هؤلاء الشياطين الذين لم يكونوا على الأرض إلا ليفعلوا الشر ويفتنوا ويلقوا عليها فسادا ويبقوا عليها تايهين وضالين ومضلين.

الخاتمة

ظن بعض الناس وعلى الخصوص بعض أصحاب الجرائد أن القصد من كتاب صراخ البرىء الطعن والتنديد برجال الأمة الإسرائيلية وعظمائها وعلى الخصوص بأغنيائها الذين لا يتوقع مس كرأمتهم. فقال بعض أصحاب هذه الجرائد ممن يحبون صوالحنا إننا سلكنا بما يعاكسها ويقيم دون إشغالنا فى المستقبل حواجز قوية.

والحال لو تمعن هؤلاء وغيرهم أى كان بما تضمنه صراخ البرىء لحصروا مقاصده بما يأتى :

إظهار السيئات وكشف الحجاب عن الفظائع وعن سفك الدم وعن تصرف بعض الذين استعملوا السلطة والنفوذ فى سبيل إرضاء خواطر أغنياء الدرهم وطلب إجراء العدالة بحق المجرمين ليس إلا .

فماذا يطلب صراخ البرىء هل ظلم الأبرياء لا لعمرى وهل يتحصل من عبارأته أنه يستدعى من الحكومة اضهاد الأمة اليهودية فى كل بقعة من الدنيا أو هل يستلفت أنظار أولياء الأمر إلى سد باب الرزق عن الإسرائيليين الذين يأتون ألوفا ألوفا لأرض فلسطين إما بقصد الالتجاء فيها وإما بقصد الاستيلاء عليها إتماما لما جاء بأقوال علمائهم بوجوب استرجاع ملكهم وملاحظة باقى الأمم كحيوانات عندهم كلا ثم كلا هل يطلب صراخ البرىء فى بوق حريته أن يشدد الاضطهاد على اليهود بقصد الاستيلاء على أموالهم التى نسب البعض حصولهم عليها بالرباء والغش والخداع على طرق شتى كلا ثم كلا هل يطلب صراخ البرىء أن يبتعد الأمم الإسلامية والنصرانية والدرزية وغيرهاعن اليهود كابتعاد الأصحاء عن المبتليين بالامراض الوبائية كلا اذن ما يطلب صراخ البرىء يطلب إلى الحكومة العادلة إلى حكومة الجيل التاسع عشر أن تتفحص أعمال الأشرار الذين يهرقون دم الأبرياء والذين لاعتقادات شيطانية يهدمون بناية الله ويعذبون الأطفال الأنقياء التى تمثل صورتهم على الأرض صورة الملائكة فى السماء أنقياء الضمير جميلو الهيئة يتطرحون بين أيدى سافكى دماهم كالنعجة بين يدى الجزار ويرقدون على سرير الذبح كرقادهم بين أيدى أمهاتهم إلا أنه بدلا من الحنية الوالدية يشاهدون قساوة وحشية وعوضاً عن قبلات أمهاتهم يشعرون بذلك السكين وبتلك الإبر والمناخر المؤلمة. ترى يا بنى الجيل التاسع عشر ويا

حكومته أن صراخ البرىء مخطئ لمدافعته عن هؤلاء الأطفال الأبرياء وهل مثل هذا السفر يستحق بأن تقام فى سبيله العقبات حاشا وكلا أن العدالة لا تقضى عليه.

يطلب صراخ البرىء إلى حكومة الجيل التاسع عشر أن تلقى أشد العقابات على سافكى دم الأطفال غير ناظرة لمن يدافعون عن أولئك المجرمين قساة القلوب قساة الرقبة غير مائلة لغناء المدافعين عنهم ولا لعظمتهم إلخ.

فليس هم أكثر من بشر وليست أموالهم إلا زائلة كزوال أجسادهم التى عما قليل تتحول إلى تراب كباقى أجسام الناس وهل يجب على من تولوا رقاب العباد أن توقفهم مثل تلك الاعتبارأت عن إجراء العدالة أساس الملك والعمران يطلب صراخ البرىء إلى أغنياء اليهود وعلماءهم وعظماءهم وحاخاماتهم أن يعلنوا فى كتبهم وجرائدهم وفى مجامعهم السرية والعلنية وجوب محو واستئصال كل عادة قديمة تأول إلى الإضرار بالغير لأن الناس كلهم إخوان بالبشرية فهل بما يطلبه ما يمس ناموسهم وكرامتهم وعظمتهم كلا ثم كلا .

ما كان يونان النبى مخطئا لإظهاره لداود الملك خيطته أمام عينيه وتوبيخه عليها من قبل الرب وعلى قتله لأوريا واتخاذ امرأته بالزنا فإن توبيخ يونان قاد داوود الملك لإصلاح سيرته فتاب إلى الرب واستحق أن يكون بين أصفيائه.

فأنتم يا بنى إسرائيل ويا نسل داود الملك أنتم بنو ملوك الأرض وأنبيائها أنتم من أصل الأسباط التى كانت لله شعبا خاصا فإلى متى إلى متى عن طريق الحق تحيدون وعن صراخ البرىء والمظلوم أذناكم تميلون صوت البرىء يصرخ فى الجيل الحاضر والأجيال المستقبلة حيث اليد التى كتبته والأيدى الظالمة التى تقصد الغدر والفتك بمؤلفه وهو لا يعد الحياة الدنيا إلا رمادا تذريه الريح تكون قد صارت ترابا فى الرموس أما النفس فلا أنتم ولا ملوك الأرض تحكمون عليها واليد التى كتبت صراخ البرىء فى بوق الحرية لا تحافظ إلا عليها وأن الله لا يهدى القوم الظالمين.

تنبيه

إن ما صادفناه من العقبات وما طرأ على مؤلف صراخ البرىء من المقاومات التى يعلمها كل من اطلع عليه وتمعن بظروف الأحوال وما ورد علينا من الطلبات إلحاحا بإظهار

الجزء الثانى والثالث دفعة واحدة كل ذلك جعلنا أن نقتصر على ذكر ما كان بالفكر ذكره من محررأت الجرائد والكتابات المبأدلة بحادثة الذبيح هنرى عبد النور من تلغرافات ومخابرأت خطية كما أن الفرصة لم تسمح لنا بانتظار ورود الصور التى أرسلنا لنقشها فى الأوروبا فاقتضى التنويه طالبين العذر من الناس ومن الله النظر لحسن مقاصدنا من نشر هذا المؤلف خدمة للحق وهو السميع المجيب.

وإننى أرفع الشكر إليكم أيها الأصدقاء الذين مدوا إلى يد المساعدة بإبلاغى الأخبار الصادقة والذين اعتنوا بطبع هذا الكتاب الخيرى نعم إن أسماءكم لم تنشر إلا أنها مكتوبة حيث لا تمحى عند من لا يضيع لديه عمل ولا يضيع للصالحين أجرا.

عن القاهرة فى ١٠ يونيو (حزيران) سنة ١٨٩١

كاتبه حبيب فارس

شرح الرسومات

فى الأجزاء الثلاثة من صراخ البرىء

١ - صورة ملاك رمزا على البرارة وبيده بوق الحرية وهو فوق مدينة الشام حيث تمت ذبيحة هنرى عبد النور وفى هذه الصورة مدفن الذبيح وزهرة الذنبق رمزاً على النقاوة والطهارة. وكأن الملاك يصرخ ببوق الحرية قائلا :

حتى م حتى م سفك الدم متبع * تحييه آيات التلمود وتستمع
حتى م حتى م تبقى العين غامضة * وأى متى الغدر بين الناس يمتنع

ورسم عين الله ناظرة إلى مدينة الشام ولمدفن الذبيح هنرى عبد النور حيث وضعت الحكومة عليه الحراس كيلا تتمكن والدة هذا الفقيد المسكين من الاستيلاء على اليد الموجودة فيها علامات الاستنزاف وفى هذا الرسم صورة ملاكين يدل كل منهما بيده على عرق من السوسن كأنهما يقولان : هكذا يفعل الظالمون على الأرض بمن كان نقيا طاهراً ثم يخاط بأن الظالمين بهذين البيتين :

يا سافكين دما ذكيا اجزعوا * عين الإله ترى بأعمق ظلمة
أين الفرار من العدالة ويلكم * ذا صوت رب صارخ فى الجنة

أما والدة هنرى الذبيح فهى ساجدة عند لحد ولدها تقول له وهى تأكله.

هنرى حبيبى أين أنت لعلنى * اطفى غليلى ساعة بتكلم
لاذاقت الحيات مثل مصيبتى * كلا ولا فهم وما لم يفهم

٢ - رسم الذبيحة وفيها صورة اثنين من الحاخامات وإحدى النساء وهنرى عبد النور ملقى على سرير الذبح مربوط اليد اليمنى وأحد الحاخامات يقبض على ساقيه والآخر على يده اليسرى وسكين الذبيحة بيده وآلة الاسبيرأتور التى امتصت الدم الباقى بجسد

الذبيح بعدما خرج منه إلى الماغور ثم رسم المجلدة التى كان يُضرب بها الولد ليتحرك الدم فيه وينسكب بسرعة فكان هذا البرىء يصرخ وينادى قائلاً :

أودع عيشـــة قـــد ذقـــت فيهـــا * مـــرارة علقـــم يـــوم الـــوداع

فليـــت المـــوت بـــين يـــدى أمـــى * بعيـــدًا عـــن عـــذاب بنـــى الافـــاعى

٣ - صورة البئر التى وجدت جثة هنرى عبد النور وفيها محل مأوى العربات وصورة الجثة المستخرجة من البئر ورجال الشحنة واقفون للحرس عليها ثم صورة الأم الحزينة وبعض النسوة ورفيقاتها وبعض اليهود ينظرون عن بعد ما عساه يكون من أمر الحكومة.

٤ - صورة الإله مولوخ إله الفينيقيين الذى كان يطلب قربانا ومحرقة العذارى والأطفال وهو صنم من نحاس كان يحمى بالنار ثم تأتى الأمهات بأطفالهن فيأخذهم خداموا الصنم ويطرحونهم فى جوفه والكهنة يصرخون بالأبواق وبعضهم يدقون الطبول لعدم سماع صراخ الأبرياء خوفاً من أن قلوبهم تشفق عليهم أما فى ذبايح العصر الحالى فالقطن والمناديل تسد أفواه الأبرياء ولو علا صراخهم فالقلوب صخور جامدة.

٥ - تمثال الحقيقة وهى جالسة على صخر لا يتزعزع وواضعة يدها على بوق الحرية ناظرة إلى دمشق الشام مكان المذبحة وعلى جهة أخرى التوراة وهى تقول إلى الحكام :

راعـــوا العدالـــة يـــا قضـــاة بحمكـــم * فالعـــدل أشـــرف خطـــة الإنســـان

أن تحكمـــوا بالعـــدل تلقـــوا راحـــة * وعلـــى الأســـرة ترقـــدوا بأمـــان

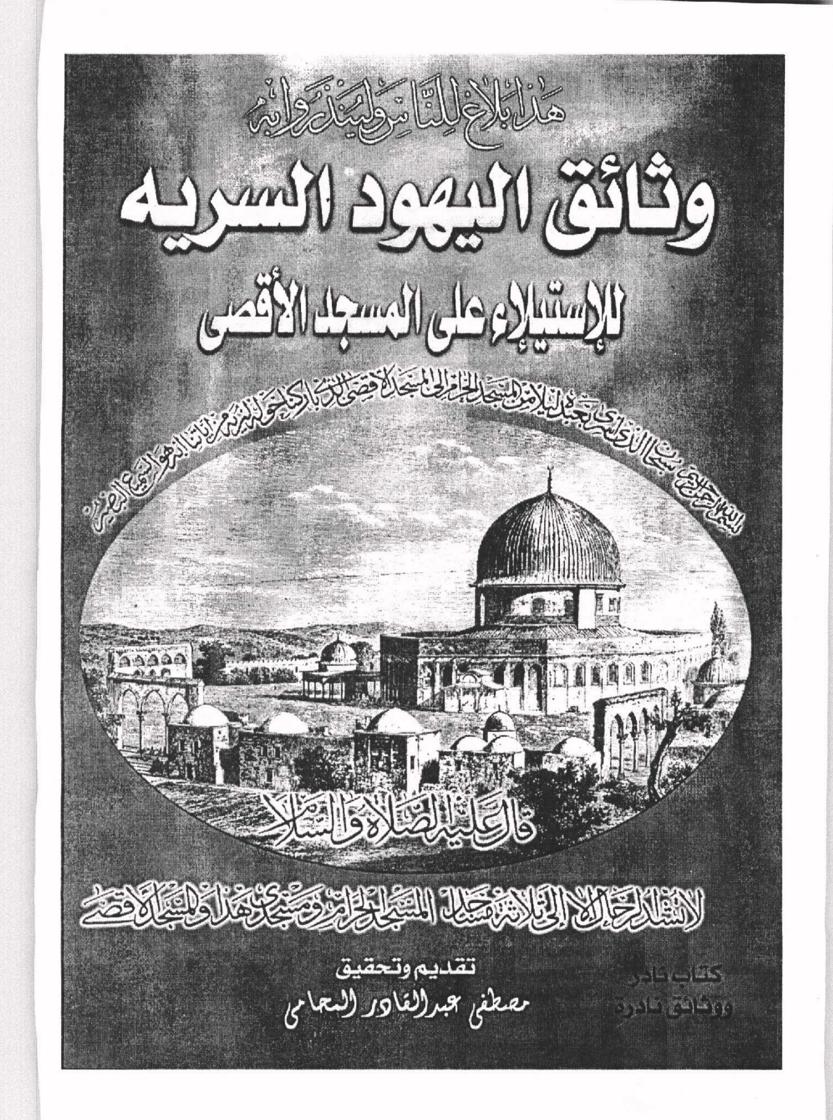
فى هذا الكتاب

.الوثيقة الخطيرة التى تثبت خطط اليهود لإعاده بناء الهيكل مكان الحرم

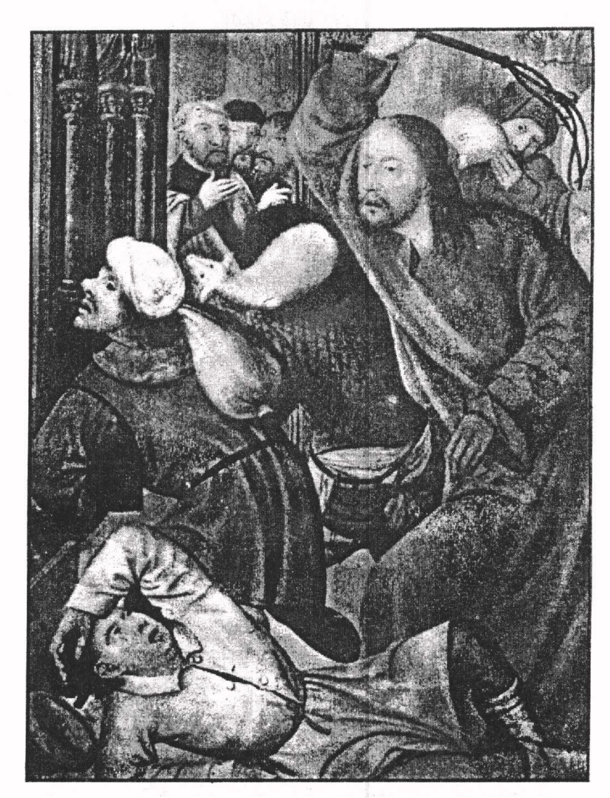


. وثيقة المطالبة الرسمية بتسليم الحرم الشريف لكهنه اليهود

. الصور المزيفة التى يوزعها اليهود عن المسجد الأقصى
فى جميع أنحاء العالم



هذا بلاغ للناس ولينذروا به
وثائق اليهود السريه
للإستيلاء على المسجد الأقصى
بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير
قال عليه الصلاة والسلام
لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى
تقديم وتحقيق
مصطفى عبد القادر المحامي
كتاب نادر
ووثائق نادرة



□ **المسيح يطرد الصيارفة من المعبد**
وقد جعل الرب بيته للعبادة وانتم جعلتموه مغارة لصوص ، (لوقا - ٢٣) هكذا صاح المسيح فى تجار اليهود والصيارفة وهو يطردهم من المعبد بعد دخوله القدس تحقيقا لنبوة زكريا .



ستنكرنى ثلاثا قبل أن يصيح الديك
فى أثناء تناول المسيح والحواريين عشاءهم الأخير فى القدس قال المسيح لبطرس : ستنكرنى ثلاثا قبل أن يصبح الديك هذه الليلة .



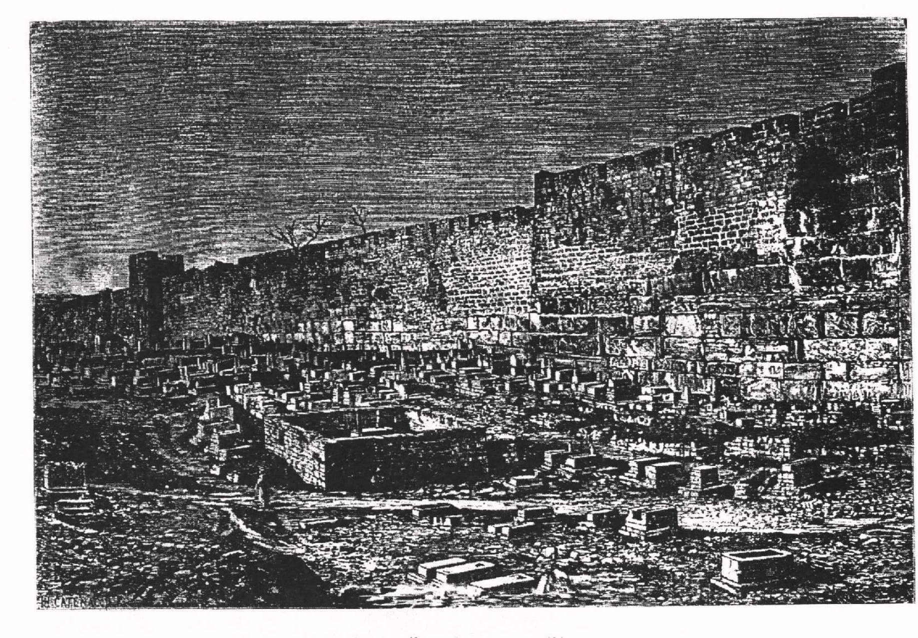
يهوزا يقبض ثمن خيانته
كان يهوذا أحد حواريى المسيح ، ولكنه خانه وسلمه لأعدائه من كهنة اليهود وقبض ثمن خيانته ثلاثين شاقلا من الفضة (الشاقل هو عملة اليهود فى القدس القديمة) وهذا هو ثمن العبد عندهم .



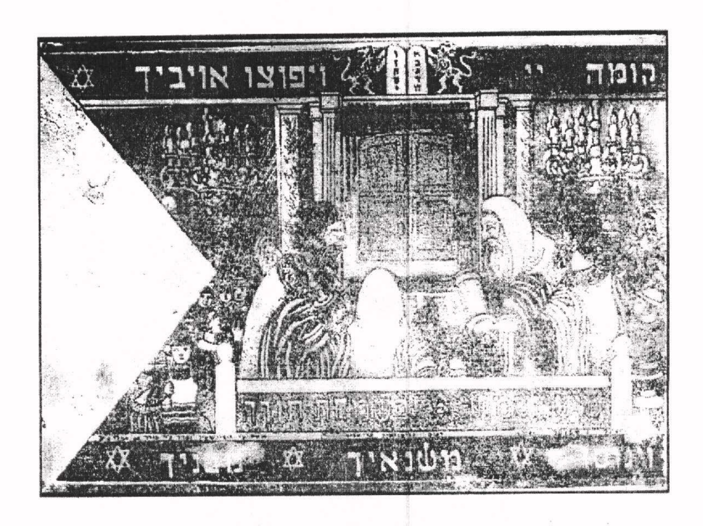


قبلة يهوذا
بعد أن خان يهوذا سيده المسيح ، راح يقبله قبلة النفاق والغدر .. وأصبحت قبلته مثلا على سلوكه

لم يستطيع يهوذا أن يتحمل فداحة جرمه وخيانته فذهب إلى شجرة فوق جبل الزيتون المطل على القدس وشنق نفسه هناك



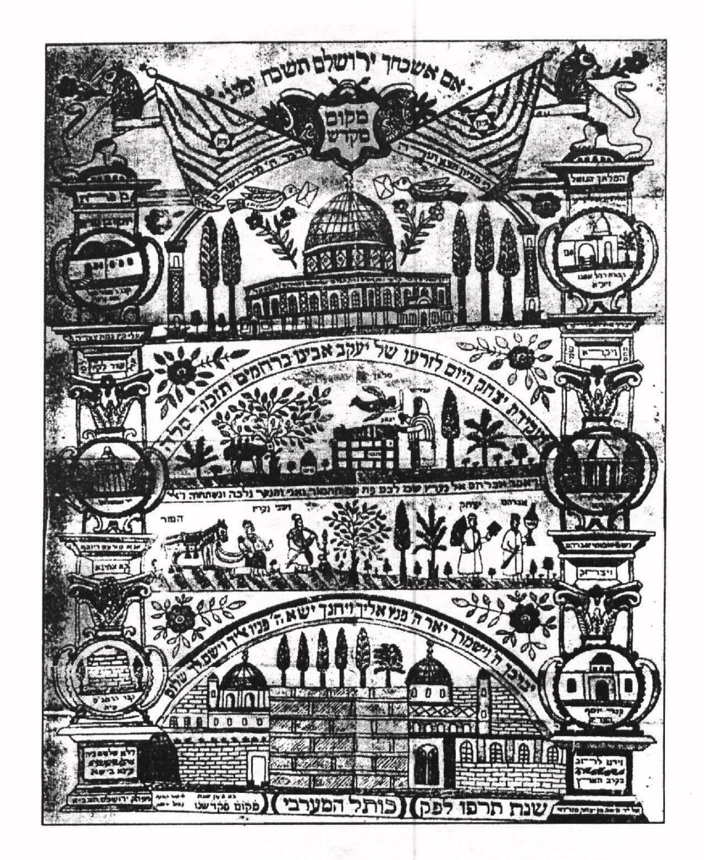
سور القدس من الجهة الشرقية



يوزع اليهود هذه الصورة من الورق السميك
رسم على أحد وجهيها البراق الشريف
وفيه باب يدخل منه إلى الحرم الشريف
على شكل كنيس يهودى



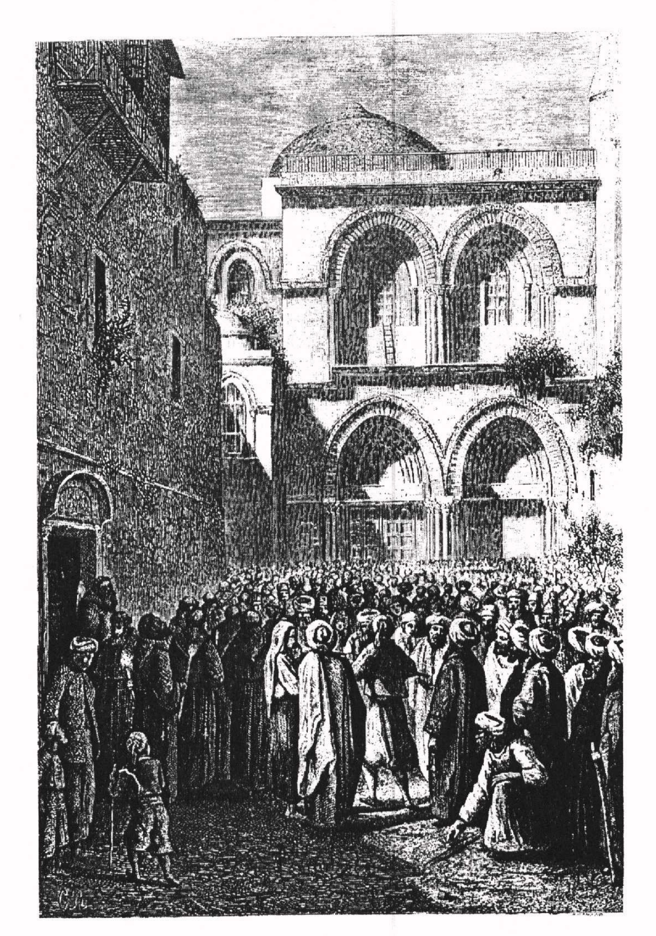
صخرة بيت المقدس المشرفة وفوقها الشعار اليهودى والأعلام الصهيونية
وعلى الشعار والأعلام كتبت أمانيهم باللغة العبرية



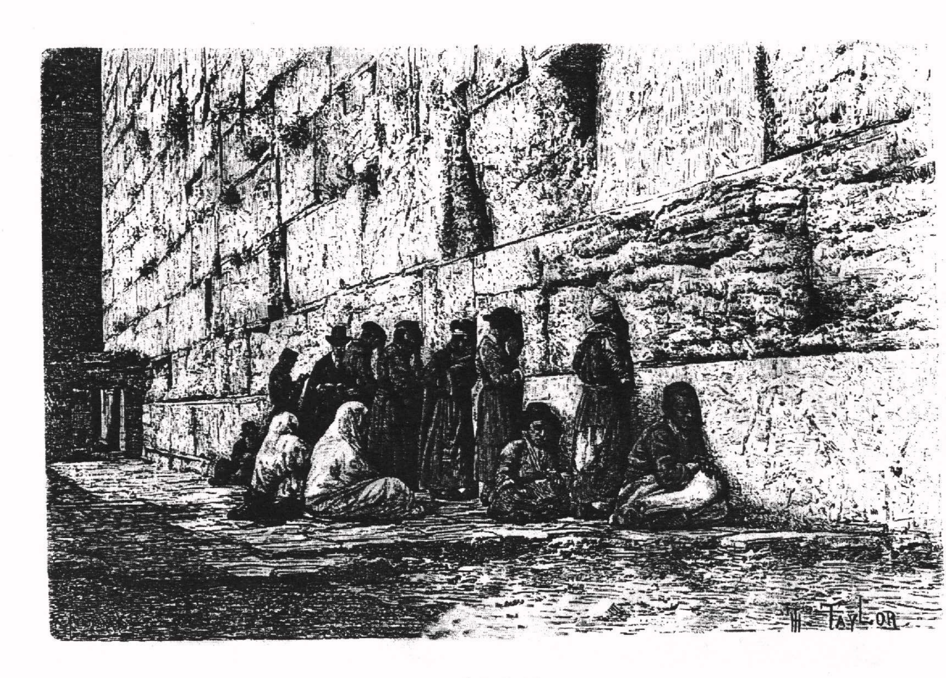
قبة الصخرة المشرفة وبعض أماكن إسلامية أخرى
وضع عليها الشعار اليهودى


الصخرة المقدسة
على قمة جبل الطور


الحاخام الأكبر
وأسفار موسى



حفلة عيد الفصح



حائط المبكى

فهــــــرس

صفحة